حبيب جرجس

سر التقوى

https://coptic-treasures.com/

« بالاجماع عظيم هو سر التقوى » (١ تى ٣ : ١٦)

سر التقوى

« سفر تذكرة للذين اتقوا الرب وللمفكرين في اسمه »
(ملا ٣ : ١٦)

تأليف

حبيب جرجس

مدير المدرسة الاكليريكية للاقباط الارثوذكس

طبعة ثانية منقحة — ١٦٥٦ — ١٩٣٩

مطبعة سمير تليفون ٤٣٠٤٦

https://coptic-treasures.com/

https://coptic-treasures.com/

حضرة صاحب القداســة والغبطة البابا الأنبا يوأنس
بابا وبطريرك الـكرازة المرقسية

https://coptic-treasures.com/

صورة المؤلف وقت تأليف الكتاب

https://coptic-treasures.com/

https://coptic-treasures.com/

لجنة التأليف والترجمة والنشر

بالمدرسة الاكليريكية بمهمشة بمصر

كلمة اللجنة

بسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد . آمين

لما كان لسائر كليات العالم ، لجان خاصة لنشر مؤلفاتها، رأت المدرسة الاكليريكية — جرياً على سنتها فى العمل على كل ما يؤول إلى مجد الله ونهضة الكنيسة المجيدة — أن تقوم بتأسيس هذه اللجنة ، لتساهم بنصيبها فى تزويد أبناء الكنيسة القبطية بما ينميهم في الحياة الروحية ، ويثبتهم على العقيدة الارثوذكسية .

ولقد رأينا أن نفتتح أعمال هذه اللجنة، بأعادة طبع كتاب « سر التقوى » لحضرة العالم اللاهوتى الجليل الأستاذ حبيب جرجس رئيس المدرسة الاكليريكية ، ذلك السفر النفيس الذى ألح علينا الكثيرون بنشره ، لما حواه

https://coptic-treasures.com/

من اختبارات روحية عميقة ، ونظرات قيمة دقيقة ، تسمو بالمرء للمثل الأعلى ، وتحلق به في سماء المجد . وهو لا يستغنى عنه كل مسيحى ، وتعتز به كل مكتبة ، ويحتاجه كل من يبتغي الفضيلة وينشد التقوى . وقد نال ثقة جميع آباء الكنيسة الأجلاء . وضعه مؤلفه الجليل فى سنة ١٩٠٠ ، ونشره تباعاً في مجلته الكرمة سنة ١٩٠٤ ، وطبع على حدة ١٩٢٢ ولما نفدت طبعته نقحه لاعادة طبعه فى هذه السنة .

وللجنة وطيد الايمان فى أن تواصل إداء رسالتها المقدسة ، بفضل ما تلقاه من بركة وعطف حضرة صاحب الغبطة سيدنا البابا المعظم ، الأنبا يوأنس بابا وبطريرك الكرازة المرقسية ، وحضرات أصحاب النيافة المطارنة الأجلاء ، والآباء الكهنة الموقرين ، وسائر الجمعيات والهيئات القبطية ، ومؤازرة أفراد الشعب القبطي الكرام .

ولربنا المجد الدائم إلى الأبد . آمين م؟

اللجنة

توت ١٦٥٦ — سبتمبر ١٩٣٩

https://coptic-treasures.com/

الفصل الأول

يسوع هو الباب والطريق والحق والحياة

قال الرب « إن الذي لا يدخلُ من الباب الى حظيرة الخراف ، بل يطلُع من موضع آخر ، فذاك سارقٌ ولص ، أنا هو الباب إن دخل بي أحد فيخلصْ ويدخلْ ويخرجْ ويجدْ مرعى » (يو ١٠ : ١ و٩) « أنا هو الطريق والحق والحيوة ، ليس أحدٌ يأتي الى الآب الا بي » (يو ١٤ : ٦) « أنا الكرمة وأنتم الأغصان ، الذى يثبت فيَّ وأنا فيه ، هذا يأتي بثمر كثير ، لأنكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً » (يو ١٥ : ٥)

هذا هو كلام الرب ، وهو الحق بعينه ، فانك لا تستطيع الدخول الى حياة النعمة إلا من هذا الباب ، ولا تقدرُ أن تسلكَ طريق الفضيلة وتسير فيه إلا اذا انتهجت هذا الطريق * تضلُّ ان لم تجعلْ يسوع نُصب عينيك ، فليكن هو الباب الذى تدخل منه، والطريق الذى تسلكه ، والحقَّ الذي تبتغيه ، والحياة التي تتطلبها ، لا تحوّل نظرك عنه ، ولا تمِل بقلبك الى شيء آخر غيره .

https://coptic-treasures.com/

لما هاجت الحيّات السامة على [redacted] فى البرية ، أمر الربُّ موسى أن يصنع حيةً نحاسية ويرفعها ، فكان كلُّ من لدغته حية ينظر اليها فيبرأ حالاً من سمها ، ولم يكن ذلك الا رمزاً الى يسوع فادينا ، الذي عُلق على الصليب « وكما رفع موسى الحيّة فى البرية ، هكذا ينبغى أن يُرفع ابن الانسان لكى لا يهلك كلُّ من يؤمنُ به ، بل تكون له الحياة الأبدية » (يو ٣ : ١٤ و١٥) ها أنت فى برية هذا العالم المملوء بالحيات الكثيرة المميتة ، ولكن إن نظرت الى يسوع تنجُ من كل داءٍ ، وما دمت متطلعاً الى يسوع لا يصيبك شر ، ولا تقدر الحية القديمة — أى إبليس — على ضررك ، فوجه نظرك الى يسوع وحدق فيه بعينيك وتطلع بفكرك نحوه ، أشغل قلبك بالتأمل فى جماله ، فتستنير بضياء الحق الأزلي ، ويستضىء قلبُك ولبُّك بشعاع النور الإلهى ، وتصير أبهى جمالاً من الشمس ، وأسطع نوراً من القمر ، ثم تجد باب النعمة مفتوحاً أمامك ، وطريق الحياة معبّداً لك .

وكما قبلت الرب يسوع ، أُسلك طريقه وسر على نوره ، واعتمد على بره ، وليكن إيمانك به راسخاً متيناً ، وتعلقك به أكيداً وطيداً ،

https://coptic-treasures.com/

فهو نصيبُ راحتك وميراثُ خلاصك ، وعربون مجدك ، وقل مع الرسول بولس « لى الحياة هى المسيح » (فى ١ : ٢١) لأنى مت بالناموس للناموس لأحيا لله ، مع المسيح صُلبت ، فأحيا ، لا أنا ، بل المسيح يحيا فىَّ ، فما أحياه الآن فى الجسد ، فانما أحياه فى الإيمان ، إيمان ابن الله الذى أحبنى وأسلم نفسه لأجلى » (غل ٢ : ١٩ و ٢٠)

الفصل الثانى

يسوع لنا كل شيء فى كل شيء .

طُف كلَّ مكان وأبحث في كل جهة ، فانك لا تجد شيئاً يعزيك ويملأ قلبك رجاء وفرحاً وسلواناً غير يسوع وحده ، لا تجد أبداً أحلى من منطقه ، ولا أعذب ، ولا ألطف من حديثه ، ولا أرق ، ولا أسمى ، ولا أعظم من كلامه ، حضوره مفرح ، ومؤانسته لذيذة مستطابة ، فتانة للعقول ساحرة للألباب ، سلامه وافر ، وتعزيته عجيبة * ما أجمل تردده على القلب ، وما أحلى زياراته للنفس ، هناك

https://coptic-treasures.com/

في الباطن يناجي أحباءه ، ومن ذاق هذه اللذة مرة لا يستطيب بعدها لذة ، لأنه يسبي العقل بعذوبته ، ويسترقُّ القلب برقة صوته ، ومن تمتع بنجواه لا يسلوها أبدَ الدهر * يسوع نبعُ الحياة الابدية يسوع مفيض البركات واللذات الحقيقية ، يسوع هو الذي يُفعم القلب فرحاً وخشوعاً ، يسوع هو عمانوئيل الله معنا . يسوع هو القوت السماوي والطعام الروحي ، هو شجرة الحياة ، من يأكل منها لا يموت ، بل يحيا الي الأبد ، هو الشرابُ العذب ، من يشرب منه لا يعطش أبداً * اسمه سلاحٌ ، في وقت الشدة ، وتُرس منيع ، يتقى به الخطر والضيق ، وهو أشعةٌ من نور تسطعُ في الظلمة المدلهمة ، ومرهم تعزية يأسر القلوب في كوارث الحياة وآلامها الممضة ، هو عكازٌ تستند عليه الشيخوخة ، وحصنٌ أمين تتحصن به الشبيبة ومركبة نورانية يركب فيها الأطفال في النعمة ، وهو طبيب يداوي ذوي الأسقام ، وعونٌ للمجربين ، وعزاءٌ للمحزونين .

باطل كل شيء إن لم يكن يسوع مبدأه ونهايته ، باطلة العبادة إن لم تكن في يسوع وباستحقاقه ، باطل الوعظ ، إن لم يكن الغرض منه يسوع ، باطلة التلاوة والمذاكرة والحديث إن لم يكن

https://coptic-treasures.com/

مدارها يسوع ، باطلة العذوبة والسلوان والراحة ان لم تبتغَ فى يسوع وحده ، باطل كل شيء ان لم يكن يسوع فيه ، باطل كلُّ أمر ان لم يتكرر فيه اسم يسوع مراتٍ متوالية ، القلب الذى لا يدخله يسوع يكون قاسياً ، والفؤاد الذي لم يشرَّب بحبه يكون جامداً ، والعواطف التى لا تحنُّ انعطافاً وتتحرق شوقاً الى يسوع هى عواطف جامحة ، فلا حياة إلا فى يسوع وبيسوع .

فما أجمل اسمك يا يسوع ، وما أعذبه ، فما هو إلا ضوء تبعثه المحبة ، وقوت دسم يستطيبه القلب ، انه لاسم جليل عظيم يفيضُ عذوبة ، يقطر جلالاً ، ويسيل دعة وكمالا ، إن فؤادي لا يستعذبُ شيئاً ان لم يكن اسمك المحبوب فيه ، ولا يستحسن تأليفاً ان لم يجد اسمك مرسوماً فى ثنايا سطوره ، كل طعام مر فى فمى ان لم يصلح بهذا الملح ، ويسكب عليه هذا الزيت ، اسمك يشجع ويعزى فى الضيق ، وينير فى ظلام المخاطر ، حتي فى ساعة الموت يخلص كل من يدعو به * فيا قلبي دع كل انسان يتمتع بما يشاء ، ويشغف بمن يحب ويهوى ، واستأثر أنت بسلوتك وعزائك ، إذ لا يفرحك غيره . ولا تجد اللذة إلا فيه وباطلٌ كلُّ شيء سواه .

https://coptic-treasures.com/

أيها الحبيب دع كل شيء ، وتمسك بيسوع وحده ، لأنه لنا عونٌ فى كل شيء وبه ننال كلَّ شيء ، فهو الذي اذا ملكته حصلت على كل شيء ، فان كنت مريضاً ترجو الشفاء فهو الطبيب الناصح والدواء الناجع ، وان شكوت مرارةَ الحياة فهو يحولها لك الى سعادة لا تنتهى وعذوبة لا تحد ، وان كنت مثقلاً بأوزار الخطيئة فهو برُّك تكتسى به ، وتتقدم الى الآب فلا يرى فيك شيئاً من العيوب ، لأن في دمه تختفى آثامك وفى آلامه تستتر عيوبك ، وان كنت ضعيفاً فالتمس العون منه فهو القوة التى لا تنتهى ولا تحد ، وإن خشيت الموت فهو الحياةُ ، وان اشتهيت البلوغ الى السماء التى هى الوطن الحقيقي ، فهو الطريقُ والحقُّ والحياة ، وان افتقرت فهو الغنى ، وان التمست الطعام فهو القوتُ الحي الباقي الى الأبد ، وان خفت الظلام فهو النور الحقيقى الذى يضيء فى الظلمة ، وان تلاطمت عليك الأمواج وعصفت بك الأنواء فيده تنتشلك ويمينه تخلصك ، كما انتشل بطرس من الغرق وهو بين لجج البحار وغمرات الأمواج ، عينه دائماً تحرسك وتلاحظك ، ويده تهديك وكلامه يرشدك ، وكل ما تشتهيه وتريده وترغب فيه وتبحث عنه سواء كان

https://coptic-treasures.com/

طبيعياً أم فايق الطبيعة ، تجده مدخراً فى يســــوع فهو كنز النعم وينبوع كل خير وسعادة .

الفصل الثالث

عذوبة محبة المســــيح

طوبى لمن يدركُ حبَّ يسـوع ، وسعيدٌ من يذوق عذوبته « ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب ، طوبى للرجل المتوكل عليه » (مز ٣٤ : ٨) محبةُ العالم كلها غرورٌ وخداع ، ومحبة يسوع وحدها ثابتةٌ ، وصادقة ، وأمينة ، وهادئة، ورصينة ، لا تتغير ، ولا تزول ، ولا تتقلبُ أبد الدهر ، كلُّ ما فى الخليقة زائلٌ ، مآله الى الزوال ، وأما يسوع فهو أزلى ، أبدى لا يتغير ، وهو المستحق المحبة وحده دون كل الخليقة بأسرها * فأحبَّ يسوع فوق كلّ شيء ، فوق كل خليقة ، وفوق كل عذوبة بشرية ، وفوق كل رجاء ترجوه ، وفوق كل سلوة تشعر بها ، أحبَّه كما أحبك ، أحبَّه بلا قياس . أحبَّه

https://coptic-treasures.com/

حباً غير متنــاه ، مغبوطٌ من يصل الى عُمق هذه المحبة . وويل لمن يؤثر شيئاً كائناً ما كان عليها ، من انسكبت محبة الله على قلبه صــار سعيداً وحصل على كل شيء . من يحبُّ يسوع يصير معه واحداً ، وتصيرُ السماء سماءه ، والملكوتُ ملكوته ، ويملك معه الى الأبد .

فيا أيتها المحبة المقدسة ، محبة يسوع الفتانة ، ألا فليشتعل لهيب نارك في قلبي ، ولتنفذ سهامك إلى فؤادي وأحشائي ، فان فنائي فيك أحبُّ اليَّ من الوجود بدونك ، ان السعادة كلها في الاستغراق في بحر هذا الحب ، فذوبي وافني يا نفسي ، واسبحْ يا قلبي في مياه هذه المحبة الصافية ، يالها من نار مقدسة ، نار محبة لا توصف . ويالها من عذوبة لا يدرك كنهها. محبة الله نارٌ مقدسةٌ محرقة ومذيبة ، ولكنها منعشة ولذيذة ، ومرطبةٌ للروح ، تحرق وتذيب الشر ، وتنقي القلب وتنظفه ، وترفعه الى العلا . فيا أيتها المحبة الخالصة تعالى ، والتسكني، وتستريحي في قلبي ، ليطمئن ويسكن اضطرابه ، ادخليني الى مرعاك الخصيب ، أضيء ، أشرقي ، ارتفعي ، استعري ، أروي غلتي ، بردي حرقتي ، هدئي لوعة أشــواق التائقة اليك ، قوديني وقربيني نحوك، لأني أشتاق الى الوصول اليك . لقد جرحني سهم من سهامك

https://coptic-treasures.com/

فلا يبرأ دائى ولا يحيا موات قلبي . ولا يهدأ روع فؤادى . ولا تخمد النيران المتأججة فى أخشائى ، إلا بنفاذ كل سهامك فىَّ * ويا ملكة الفضائل ، ومالكة القلوب ، يا من تملكين بالعدل والسعادة فى يمينك ، املكى عقلى وقلبى وفؤادى وشعورى وإحساسى ، واستولى وتسلطى على كل ما فىَّ ، وحوّلى كل عاطفة فىَّ اليك ، وأفنينى بكليتى فيك ، حتى لا أحس ولا أشعر الا بك ، فوق كل شىء ، وفي كل شىء

الفصل الرابع

تطهير القلب وإعداده لسكنى يسوع

إن الصوف فى مبدئه يقبل التشكل باى لون أردته ، هكذا الفضيلة التى يعتادها الانسان في إبان شبابه ، هى كالفجر المؤذن بانبلاج صبح بهي * ان نفسك كجنة شهية ، فنظفها وأعدّها لقبول النعمة لتصلح لسكنى يسوع ، أوصد بابها دون كل أفعى خبيثة لئلا تنفث سمها فيها ، إحرص عليها من الذئاب ، اسهر عليها فتنمو وتزهر ، وتمتلىء

https://coptic-treasures.com/

أثماراً شهية وتفوحُ منها رائحة زكية . فيأتى يسوع ويترددُ فيها ويتخذها مسكناً لجلاله الأقدس .

ان طرق بابك ضيف عزيزٌ ذو مقام سام ، هيأت له مسكنك ، وأعددت له منزلك ، ونظفت كل ما فيه ، ورتبت سريرك ، وهيأت رياشك ، وأحضرت أواني ثمينة لائقةً به ، وبخرت كل أدوات البيت بروائح عطرية * فهل يليق أن يزورك الملك ويدخل منزلك ، وهو لا يزال قذراً تعلوه الأوساخ وتسكن فيه الحشرات ، وتتصاعد منه الروائح الكريهة ؟ نفسك هى المنزل ، والضيف الكريم هو الملك عمانوئيل « الله معنا » فكيف تدعوه ليحلّ فيك هو وجميع ملائكته ، وقلبك لا يزال متعلقاً بدنس العالم ، وروائح الخطية ما فتئت تنبعث منه ، والأرواح الخبيثة والأفكار الشريرة ما برحت تحلق فى جوه .

نقِّ قلبك أولاً ، ونظفه، واسهر عليه ، وصنه من نجاسات العالم وشهواته ، وأنثر عليه رياحين الفضائل ، وعطْره بالنعمة ، وحينئذٍ تستطيع أن تدعو العريس السماوى ليرقد عليه كسرير أخضر (نش ١ : ١٦) لا تدع رائحة العالم تنتشر فى جوانب قلبك ، طوبى

https://coptic-treasures.com/

لك ان هيأت ذاتك ليسوع ، ما أسعدك ان زينت نفسك وتعهدتها وأعددتها لسكنى العريس الإلهى والختن السماوي يسوع المسيح *
شقى وتعيس من يترك نفسه في حمأة الإثم ، تلوثها الأدران وتحوط بها الأشواك وتحف بها المعاطب ، الثعالب ترعاها ، ووحوش البر تسكنها ، والذئاب وبنات آوى تدوسها وتفسدها

إحترس ولا تدع العالم يغرك ، لا تجعل للشهوات سبيلاً الى قلبك ، لا ترتض أن يجاورك ، ويسكن فى قلبك غير يسوع وحده ، ومتى هيأت فى قلبك مكاناً له يأت اليك ويريك سلوانه الروحى ، وتعزيته القلبية ، ويمنحك سلاماً يفوق كل عقل ، ويهبك فرحاً روحياً لا ينطق به ، ويعاشرك معاشرة لا تجد الذ منها ، فهيء قلبك لاستقبال هذا العريس ، لكى يوافيك ويسكن فيك ، لانه قال « الذي عنده وصاياي ويحفظها فهو الذي يحبنى ، والذى يحبنى يحبه أبى ، وأنا أحبه وأظهر له ذاتى ، إن أحبنى أحد يحفظ كلامي ويحبه أبى واليه نأتى وعنده نصنع منزلاً » (يو ١٤ : ٢١و٢٣)

لا تدع قلبك يعلق به شيء غير يسوع وحده ، ليكن هو عندك كل شيء ، وليكن هو مركز خلجات نفسك ، ومتى ملك يسوع

https://coptic-treasures.com/

قلبك ، وملكته أنت فى داخلك ، حينئذ تكون قد ملكت كل شيء وحصلت على السعادة الحقيقية ، ولا تحتاج بعد ذلك الى شيء لانك ملكت الذى بيده كل شيء . كلّ ما فى العالم يزول ويؤول الى الفناء ، ولكن يسوع لا يتغير ولا يهرم ولا يزول ولا ينتهى

الفصل الخامس

يســـــوع يشبع النفس

افتح مخدع قلبك ليدخل يسوع فتتوفر لك الراحة الكاملة ، لأن كل شيء باطل بدونه ، ولن تجد من يخفف عنك أثقال الحياة سواه ، فيه تجد السعادة ، وعنده تتمتع بالحياة الابدية ، وسلامة الضمير ، فان كنت فقيراً يغنيك بغناه ، أو مريضاً يشفك من أمراضك العصيبة ، أو حزيناً فيسكبْ عليك من دهن الفرح والابتهاج ، ويمسح كل دمعة من عينيك ، أو جائماً يشبعك من خيراته ، أو عرياناً يكسك ثوب البر الذى لا يبلى ولا يتدنس ، أو

https://coptic-treasures.com/

فى ضيق يفرّج عنك كربتك ويحوّل لك كل شـدة الى رخاء ، وكل شقاء الى سعادة ، وكل تعب الى راحة ، وكل ترح الى فرح ، لو كنت فاقد الاعزاء وعادم النصراء ، فهو لك نعم الرفيق وحبذا الصديق ، لا يتغير ولا يفنى الى الابد ، وهو ان كنت تخشى الموت فانه معك فى الطريق ، ويجعل لك ذلك اليوم فجر الحيـاة الابدية ، فلذْ به لا تغمرك اللجج ، ولا تفغر عليك الهاوية فاها ، لا تضرك الشمسُ بالنهار ، ولا القمر بالليـل ، وإذا عصفت بك الأنواء ، أو هبت عليك الرياح ، لا يمسك أذاها ، ولا تدركك الظلمة ، بل تمشى فى النور ، فتمسَّك به واصيخ سمعك اليه ، أحبه يمينك ويحفظك من كل شر وأذىً ، أسرع وافتح فؤادك ليســوع ، لا تتأخر ولا تتوانَ ، ها هوذا مقبل اليك ، فاستعد للقائه ، لا تتصامم عند سماع صوته ، ولا تقسِّ قلبك لئلا تندم حين لا ينفعك الندم

قال الرب : إنى قريب من الذين يدعوننى ، قلتُ أطرح ذاتى عند قدميك ، أنا عبدك يا يسوع الصــــالح متضرعاً ، أن ترحمنى وتفرحنى وتعزينى ، ها هوذا قلبى أفتحه لتدخلَ فيه وتملأه من لذاتك غير المحدودة

https://coptic-treasures.com/

الفصل السادس

تهيئة النفس ذاتها لسكنى العروس الإلهى

أحبي يا نفسى النعمة ، وإبغضى الخطيـة ، إتبعى النور وجانبي الظلام ، تنبهى ، تيقظى ، قومى استنيرى ليشرق الرب عليك بنور الصبح المبهج ، غضى الطرف عن خداع العالم وغرور الحياة ، وسدى أذنيك عن صوت الخطية ، أوسعي للنور مكاناً فى قلبك لفرح الروح ، وافتحى أبوابك لتدخل أشعة الحق ، فهذا يعزيك ويفرحك وينزع حزنك واكتئابك ، ويؤهلك للخلاص ، ويعطيك عربون الراحة والحياة الأبدية ، ويحجب عنك ظلمة الخطيئة ويكسر شوكة الموت ، ويضعف قوة إبليس ، فافحصى قلبك بتأنٍ ، وفتشى ضميرك بتدقيق ، كي ينكشف كلُّ خفى مستور فيك لتطرديه بنعمة الروح ، وحينئذ تفتحين بابك لسلام الله الذى يفوق كل تصـور ، المنتظر الدخول اليك ليسعدك ويمنحك الراحة والسلوان والعذوبة الفاتنة لـكل العقول والألباب ، تهطلُ كالمطر نعمته عليك ، ويشرقُ نوره

https://coptic-treasures.com/

فى قلبك . ويضىء صـــبحه حولك . فيستنير ظاهرك وباطنك ، وتـكونى حرة من عبودية الخطية ، أطردى الوحوش الـكاسرة من قلبك ، وانفضى غبار الإثم من مسكنك ، وهيىء المسكن للعريس المقبل ، وليسكن معك ، انتظريه بسرور وبهجة ، بعد قليل يأتى اليك ، أرقبيه ، سيقبل قريباً ، ولن يبطىء

أنظرى يا نفسى وتطلعى ، أنصتى ، هلاّ تسمعين صوته المفرح ، ها هو آتٍ ببهائه فى مركبة ، قوته وجلاله بين هُتاف شـجىّ ، ما أجمله وأبهى سناء طلعته ، ها قد اقبل العريس فاخرجى للقائه ، أقبل يا إلهي تعالَ يا مخلصى « تعالَ أيها الرب يسوع » (رؤ ٢٢ : ٢٠) « ليقبلنى بقبلات فمه لأن حبك أطيب من الخمر ، لرائحة أدهانك الطيبة ، اسمك دهن مهراق لذلك أحبتك العذارى ، اجذبني وراءك فنجرى ، نبتهج ونفرح بك ، نذكر حبك أكثر من الخمر ، بالحق يحبونك » (نش ١ : ٢ — ٤) « كالتفاح بين شجر الوعر كذلك حبيبى بين البنين ، تحت ظله اشتهيت أن أجلس ، وثمرته حلوة لحلقى ، أدخلنى الى بيت الخمر ، وعلمه فوقى محبة ، اسندونى بأقراص الزبيب أنعشوني بالتفاح فانى مريضة حباً ، شماله تحت رأسى ويمينه تعانقنى »

https://coptic-treasures.com/

(نش ٢ : ٣ و٥) « حبيبي لى وأنا له ، الراعي بين السوسن الى أن يفيح النهار وتنهزم الظلال » (نش ٣ : ١٦ و١٧)

الفصل السابع

تكريس القلب ليسوع

لستَ لنفسك ، وإنما أنت لله الذى أبدعك وصورك كما أنت ، كل ما عندك وفيك ولديك إنما هو من الله ، فمن العدل أن تحيا لمجده * إنَّ من خلقك يريدك ، والذي صنعك يطلب قلبك ، فكرّس له ذاتك . وسلم له قلبك ، قال الرسول « إنكم لستم لأنفسكم ، لأنكم قد اشتريتم بثمن ، فمجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى لله » (١ كو٦ : ١٩و٢٠) كرّس قلبك ليسوع خصوصاً فى إبان شبيبتك ، فتفرح وتسرَّ طول أيام حياتك ، وتكون فى شيخوختك سعيداً ، لأنك تكون قد ادّخرت لنفسك فرحَ الروح ، وسكينة القلب ، وهدوء الضمير ، وقهرت شهواتك

https://coptic-treasures.com/

وميولك ، وما تدخره من شيء في سني حياتك الأولى يكُنْ لك ذخراً مدى حياتك

إن الرب لأجلك صُلب ، ولأجلك احتقر ، ولأجلك سلّم نفسه ، فسفك دمه ، وقد أشركك في مجده وأوحدك في ذاته ، فماذا تردّ للرب من أجل كل حسناته (مز ١١٦ : ٣) إنه لا يريد منك مكافأة ، إذ هو غني كثير الإحسان ، ولا يطلب منك شيئاً سوى قلبك ، ومهما أعطيته عدا ذاتك لا يقبله ، ولا يرضى به ، هو غني عن عطاياك ، ولكنه يريدك أنت ذاتك ، فسلمه قلبك وحده ، فأنت خليقته ، فاذا أعطيته ذاتك فلست بالمتفضل أو المنعم عليه بشيء ، فكل شيء له ، وإن سلمته قلبك فقد أسلمت كل شيء عندك ، رغائبك ، وميولك ، وعقلك ، وفكرك ، وارادتك ، وحواسك ، وكلّ شيء تشعر به أو تحسه في ذاتك ، وإن أعطيته قلبك لا يغتصبه منك ، بل يأخذه ويطهره ، وحينئذ تعود مرتقياً اليه متصلاً به ، وكل أفكارك عنده ، فاذا أنت مغتبط سعيد ، شأن كل متّحد معه ومرتبط به ، فاذا كان قد وهبك ذاته فهل يصعب عليك أن تسلمه ذاتك وقلبك ، لا تبقِ لنفسك شيئاً ، بل ليكن كل شيء لله

https://coptic-treasures.com/

وحده ، سلّم ذا تك تنَل ربحاً أوفر وجزاءً أعظم ، هو ملكوت السموات ، اعط نفسك لله ، فتملك الله نفسه

إن تكريس القلب ليسوع يوجب عليك السير فى أثر خطواته ، والسلوك فى طريقه ، والركوض الى محبته وشفقته ، وحنانه وغيرته ، وتواضعه وطهارته ، ويقتضى منك أن تكون سجيتك الصفح والغفران لأعدائك ، وشيمتك الشجاعة والامانة والجرأة ، والانتصار للحق ، ومساعدة المتضايقين والمنكوبين ، وتكون لك شركة مع الله ، وبالجملة يكون لك روح المسيح لتحيا له لا لذاتك ، لانه «مات لأجل الجميع كى يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذي مات لأجلهم وقام » (٢ كو ٥ : ١٥)

إنك حين تقدمُ قلبك ، وتكرسه لله تعالي ، تعلن أنك لست لذاتك قط ، بل كل ما لك وفيك وعندك هومن حقوقه تعالى ،وليس لك أن تدَّعى بحق لذاتك مطلقاً ، فليس لك حق فى نفسك ، ولا فى عقلك ، ولا فى فكرك ، ولا فى إرادتك ، ولافى عواطفك ، ولا فى انفعالاتك ، ولا في جسمك ، ولافى أي عضو من أعضائك . لا حق

https://coptic-treasures.com/

لك في لسانك ، ولا في يدك ، ولا في قدميك ، لا حق لك في حواسك أو في نظرك أو في سمعك ، أو في شمك وذوقك ولمسك ، اذ قد أنكرت نفسك ونسيت كل ما يخص ذاتك ، وزهدت في كل شيء وصرت ملكاً لله وحده ، فاجعل يسوع وحده غرضك الى الأبد ، ولا تنظر الى السعادة في سواه ، واتخذه مخلصك ورئيس ايمانك ومكمله ، ملتصقاً به وحده ، متكلاً عليه دون سواه ، ولتكن نفسك طوع إرادته في كل شيء ، دون أن يكون لك إرادة في شيء ، يعاملك بمقتضى مشيئته ، سواء أفرحك أم أحزنك ، رفعك أم أخفضك كيف شاءت مسرته ، فانك ملك له وطوع يمينه وكل شيء كائن له كما يشاء

واعلم أيضاً أن جسدك هو مسكن الروح القدس ، وليس آلة للشهوات ، فيجب أن تستخدم كل قواك لمجد الله ، تستخدم قدميك تسعى بهما للخير والرحمة ، ويديك لفعل الاحسان ، وعينيك لرؤية البائسين والمحتاجين ، وأذنيك لسماع أنين المنكوبين والمكلومين ، وليكن كل شيء فيك واسطة لتمجيد الله . قال الرسول « لا تقدموا اعضاءكم آلات إثم للخطية ، بل قدموا ذواتكم لله كأحياء من

https://coptic-treasures.com/

الاموات وأعضاءكم آلات بر لله » (رو ٦ : ١٣) لتكن الذاكرة خزانة لكلمة الله ، والعقل والفكر والضمير والمخيلة والوجدان والقوة الحاكمة فينا كلها مكرسة لله ، مسخرة لمجده الأقدس .

الفصل الثامن

عدم تعلق القلب بالعالم

لا تدعْ قلبك يميل إلى الدنيا ويفتتن بحبها ويتعلق بأباطيلها ، بل تخلّص من كل هوى ، وكن حراً ، ليكن كل شيء عندك في العالم كأنه لا شيء ، قال الرسول : « فاقول هذا أيها الأخوة أن الوقت منذ الآن مقصر ، لكي يكون الذين لهم نساء كأن ليس لهم ، والذين يبكون كأنهم لا يبكون ، والذين يفرحون كأنهم لا يفرحون والذين يشترون كأنهم لا يملكون ، والذين يستعملون هذا العالم كأنهم لا يستعملونه لانهيئة هذا العالم تزول» (١ كو ٧ : ٢٩-٣١)

https://coptic-treasures.com/

من جعل الرب نصيبه ، وذاق حلاوة الإيمان به ، وشعر بسلوانه ، وأشرب قلبه من حبه ، لا يستطيب بعد ذلك محبة العالم ولا يتعلق بما فيه ، أمعن فى البحث فانك لا تجد انسانًا شغف بالعالم ونال السعادة . هبك امتلكت كل شيء ، ووضعت قلبك على كل شيء ، أليس منزلك القبر كغيرك ومثواك الرمس ، الست تنزل اليه معرّى من كل شيء ، تستوى فى ذلك مع اكثر الناس فقراً ، وأشدهم بؤساً ؟ جرّد ذاتك من كل تعلق دنيوى تستمتع بالراحة وتشعر بسلوان لذيذ ، ما أتعس الساعة التى فيها يتعلق قلبك بالعالم ، وما أشد نكدها وكدرها : تشعر بثقل وتعب وتحس بهم وقلق كثير ، ما أسعد الوقت الذى فيه تفكر فى الله وتجعله نصيبك ، إذن تكونَ في راحة واطمئنان وينأى عنك الغم والهمّ ، ويفارقك الملل والضجر ، فلا تدع بهرج الدنيا وزخرفها يكدران صفوك وسعادتك

إن طريق العالم ضيق على رحبه ، لانه لايشبع للانسان رغبة ، ولا يكف له شهوة ، اما طريق يسوع فرحب ومفرح ولذيذ ، وسعيد من يسير فيه ، قف بعيداً عن العالم ولا تلتفت إلى زخرفة بهرجه وغروره .

https://coptic-treasures.com/

إن العالم يخاطبك بالرقة ويكلمك بالملاينة والملاطفة، ويناديك بالحب، ويغريك بالخداع ، ولـكنه كاذب وغاش غرور ، يريك الحياة زهرة نضرة ، حتى أن أهويت بيدك تقطفها لا تجد سوى الشوك ، فثبّت رجاءك في يسوع ، وارجُ السعادة الأبدية فيه وحده ، فيعاف قلبُـك التعلقَ بأمور العالم ، ماذا يعطيك العالم إزاء ما يهبُك الرب ، ليس فى العالم شيءٌ يستحقُ المحبة أكثر من يسوع ، وليس من شك أن ما فيه زائل ومحفوف بالتجارب والآلام ، والعـالم كله قد وُضع فى الشرير (١ يو ٥ : ١٩) إن بغضك لأمور العالم لأصعبُ من أىّ محاربة ، فلا تخف ولا تجزع في الابتـداء ، ولا تلن قناتك إذا اجتذبك العـالم إلى محبتـه ، بل حارب وناضـل وتجنب مشتهياتك ، وتناسَ كل آلامك ، وليكن مثلك كمثل السفينة تشق عباب البحار ولا تصل إليها المياه ، « لا تحبوا العالم ولا الأشياء التى فى العالم ، إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب ، لأن كل ما فى العالم شهوة الجسد ، وشهوة العيون ، وتعظم المعيشة ، ليس من الآب بل من العالم ، والعـالم يمضى وشهوته ، وأما الذى يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد » (١ يو ٢:١٥ — ١٧) .

https://coptic-treasures.com/

مالك أيها القلب تجدّ فى أثر السعادة فى هاته الحياة؟ وأنت تعلم ان ليس فيها سعادة أو سلام ، انها لأوهام وأباطيل تدعوك إلى محبة العالم، فتجعل الحياة شقاء لا يفارقك فيها التعب والألم ، ولا يزول عنك الهم والقلق . إبحث وفتش هل تجد شيئاً يستحق أن تتعلق بأهدابه ، وتتمسك بأسبابه. وهل ترى ما هو أجدر بحبك الخالص غير يسوع ، فلا تضع قلبك على شىء فى هذا العالم ، لا على الأموال فقد يفسدها الصدأ وينخرها السوس ويسرقها اللصوص ، فضلاً عن أنه ليس فى استطاعة مادة حقيرة إشباع نفس خالدة مخلوقة على صورة الله ، ولا على الأولاد فربما اخترمتهم المنية ، واستأثر بهم الموت تاركين لك الحسرة والشقاء ، ولا على كرامة أنت فيها فأنها لا تدوم ، لأن الزمان قلّب ، ولا على الأصدقاء فقد يغير الزمان قلوبهم ، وليس فى استطاعتهم خلاصك . حقاً ان آمال الحياة باطلة وكلها أكدار . فالتفت إلى يسوع وحده ، وليكن تعلقك به دون غيره ، فهو وحده يشبع نفسك ويسد كل احتياجاتك بحسب غناه فى المجد ، وهو لا يدعك تخور عند الضيق ، ولا يُهمِلك وقت الحزن ، ولا ينساك فى الشدة، ولا يتركك

https://coptic-treasures.com/

حين الهرم ، بل يكون لك فى كل زمان ومكان حصناً حصيناً ، وحرزاً منيعاً ، لأنه هو هو أمس واليوم وإلى الأبد . لا تتكل على إنسان مهما كانت قوته ، ومهما كانت صداقته ومحبته ، لأن كل بشر ضعيف وكل إنسان سيذوق الموت ، لا تجزع ولا تحزن إذا عاداك إنسان ، سواء أكان محبوباً عندك أم عدواً لك ، فان الإنسان متغير كالريح ، ومتقلب كالزمان ، اجعل كل ثقتك فى يسوع وليكن اعتمادك عليه وحده ، فليس لأحد فى الدنيا راحة ، وما أنت إلا غريب فى هذه الديار ، فيا نفسى لا تزالين فى غم وشقاء ، ولن تبارحك التعاسة والاكتئاب ولن تكفكف دموعك إن لم تستريحى فى الله فى كل شيء وفوق كل شيء .

https://coptic-treasures.com/

الفصل التاسع

عدم محبة العالم للوصول الى الله

إن شئت أن تكون سعيداً وكاملاً ويحل الله فيك ، فاحتقر كل ما فى العالم من الشهوات الباطلة ، والنزعات الدنيئة ، وجانب النعيم الدنيوي واللذة البشرية ، واعدّ كل ذلك شيئاً مزدرى به ، ومتى شعرت بمرارة لذات العالم الباطلة ، تذوقت تعزيات يسوع الحلوة واستطبت لذتها . لا تستطيع أن تحدق بعين إلى فوق ، وبالأخرى إلى أسفل ، ولا يمكنك أن تذوق محبة الله وأنت متمسك بعد بمحبة العالم ، ولا تقدر أن تتمتع بالروحيات وأنت منعطف الى الجسديات ، إحتقر وابغض وارفض كل شهوة دنيئة من صميم قلبك ، وليسترح فؤادك فى الله وحده ، استأصل من نفسك حب الخليقة فتهيء فى قلبك مكاناً لانطباع الحب الإلهى ، إن الله لا يرتضى بقلب دنسه حب العالم وحلت فيه شهواته الردية ، مسكناً له يحل فيه . كيف تتلذذ بصوت الله فى ضميرك وأنت مسلم قيادك إلى العالم ، يزعج قلبك بأصواته

https://coptic-treasures.com/

المفزعة ، إعلم أن الرب يريد قلباً نقياً كاملاً خالياً من حب العالم ، لا متدنساً به ، ولا مائلا إليه ، حتى يستأثر به وحده وتنطبع فيه صورته .

الفصل العاشر

بطلان العالم وكل ما فيه

تأمل في الخليقة ، وتبصر فيما فوقك وتحتك ، وارجع البصر يميناً وشمالاً ، ترَ خلائقَ لا تحصى وكائناتٍ لا عدد لها ، هذه كلها خلقت من العدم وسيأتى يوم ترجع فيه إلى العدم مرة أخرى ، أرأيت تلك الأجسام النضرة ، وهاتيك العيون النجلاء ، وذلك اللسان الفصيح ، وذاك الوجه الصبوح ، وشاهدت الأقدام السريعة الحركة ، والأيدى النشيطة ، هذه كلها سوف تأتى عليها ساعةٌ تبحثُ عنها فلا تجدُها ، فستحول إلى تراب وتصير إلى رماد ، وتعود إلى العدم كما كانت .

https://coptic-treasures.com/

فأينما وجهت فكرك وايان تأملت بعقلك فى كل أجزاء الوجود ، لا تجد شيئاً ثابتاً بل تجد كل شيء باطلاً وقبض الريح ، وما العالم إلا كقصبة خضراء ، تسر الناظر بجمال ظاهرها وتبهج العين بنضارتها ورونقها ، حتى إذا كسرتها وجدتهـا فارغة جوفاء ، وكالأناء الفارغ متى قرعته سمعت طنينه . هكذا العـالم متى اختبرته وجربته ظهر لك بطلانه .

فـكل ما في الوجود زائل ، الجاه ، الغنى ، المجد ، اللذات ، وسائر الأشياء التى يزدهى بها الإنسان ويحصل عليها ، إن هى إلا باطلة وقبض الريح ، لأنها سـوف تنتهى وتزول ، ولا بد أن يتركها الإنسان طوعاً أو كرهاً . فـكل شيء باطل : باطل الاعتماد على العالم ، باطل طلب الـكرامات ، باطل هو حب السمعة والصيت ، وباطل هو السعى وراء الأباطيل ، كل ما هو موجود لابد أن يزول ، لأن العناصر لابد أن تسترد جزئياتها ، أين آباؤنا وأجدادنا ؟ أين الملوك ومن شادوا القصور ؟ أين الفلاســفة والحـكماء ؟ أين العلماء والمخترعون ؟ أين القواد العظام والأبطال الجبابرة الذين أذلوا العباد

https://coptic-treasures.com/

ودوّخوا البـلاد ؟ أين الممالك العظيمة والدول القديمة ؟ قد ابتلعت هؤلاء الهاوية ، واخترمتهم المنية .

هل استطاع أحدٌ أن يحمل منه شيئاً مما كان يفخر به في هاته الحياة ؟ هل يقدر الملك الجالس على عرشه أن يقول عند موته هلمى معى أيتها القصور التي شـــيدتك ! ورافقني ياعبدي في سفرى إلى طريق الأبدية ، مَنْ مِن الأغنياء صحب معه درهماً واحداً ، أو عبداً من عبيده ، إملك ما شئت وتنعم كيفما أردت ، واعلم أنه لابد أن يأتيـك يومٌ تخرج فيه من العالم ويدك فارغة ، « عرياناً خرجت من بطن أمي وعرياناً أعود إلى هناك » (أي ١ : ٢١) « لأننا لم ندخل العالم بشيء ،وواضح أننا لا نقدر أن نخرج منه بشيء» (١ تي ٦:٧) « كما خرج من بطن أمه عرياناً يرجع ذاهباً كما جاء ولا يأخذ شيئاً من تعبه فيذهب به في يده » (جا ٥ : ١٥) . ان الزمان ماضيه وحاضره ومستقبله ، لا يشعر بالبقاء ولابد له من الفناء ، فالماضي غار في بحر العدم ، ولا وجود له ، والمســـتقبل مجهول غير معروف ، والحاضر وقتي ان دام ســاعة يتغير بعدها ، فطوبى لأولئك الذين

https://coptic-treasures.com/

احتقروا كل شيء لأجل المسيح ، وسعوا فى طريق الخلاص ، سعيد من نفض يده من العالم وترك كل شيء وعاش كغريب على الأرض ، خير للانسان أن يكون فقيراً لا غنياً ، وصغيراً لا كبيراً ، ومتواضعاً لا متكبراً ، من كان ذا ضمير سليم طاهر ، فذلك أفضل ممن يعرف أعمق الأسرار وغوامضها وهو متكبر . فيا أيها الإنسان مالى أراك مهتماً بما هو زائل ، متغافلاً عما هو دائم . كفاك غروراً وبهتاناً . افتح عينيك اللتين أغمضتهما الخطية ، وغض ألحاظك عن غرور الحياة ، وعدّ كل شيء باطلاً كأنه لا شيء .

https://coptic-treasures.com/

الفصل الحادى عشر

التأمل فى حياة يسوع يعلّم احتقار العالم

تأمل فى حياة مخلصك تجدها مثالاً جليلاً لاحتقار أباطيل العالم، فاقتد به واجتهد أن تسير فى أثر خطواته، وتنتهج طريقه فى حياته، فتجد علماً وكمالاً وحكمة وفطنة لغلبة أباطيل العالم، واحتقاراً لمباهج الحياة، ومعرفة بغرور الدنيا أكثر مما يعرف الفيلسوف الحاذق بأبحاثه وتأملاته فى الخليقة، كثيرون يتبعون يسوع فى الطريق من بعيد، ولكن ما أقل الذين يسيرون معه ويتبعون خطواته وهم منه مقتربون، كثيرون مسيحيون بالاسم ولكن المسيحيين بالفعل قليلون.

إن حياة مخلصك كتاب ثمين، إذا قرأته وأنعمت النظر فيه وقفت على كل فضيلة سامية، وسجية طاهرة، وتعلمت كيف ترفض، كل أباطيل الدنيا وتحتقرها، ففقره يمثل لك تفاهة لذات الحياة، وذلك المذود الحقير والمغارة المزدرى بها يعلمانك دناءة الأشياء

https://coptic-treasures.com/

الزمنية ، وحيثما تفرست فى حياة ابن الله تجلت لك حقيقة بطلان العالم ، فقد كان فى ولادته ، وفى حياته ، وفى مماته ، مثلاً لبغض شهوات العالم ، وصار من أجلك ، وهو القدير غير المتناهى فى الشرف ، مهاناً فقيراً ومحتقراً مخذولاً . أبعد ما رأيت من سيرته ، وعلمت من خلائقه ، تحرص على ما فى العالم . إنّ رفقة لما نظرت اسحاق زوجها من بعيد ماشياً على الأرض ، نزلت من فوق جملها وأخذت البرقع وتغطت (تك ٢٤ : ٦٤ و٦٥). أيتها الطبيعة البشرية إخجلى وإستحى وإنزلى من ترفعك ، لتخفضى من غلوائك ولتقفنّ مطامعك ، وتتردى ثوب الخجل ، واهبطى من مركبة المجد الباطل ، ويانفسى طئى بقدميك كل أمجاد العالم وازدرى كل ما فيه واقتفى آثار مخلصك ، وإجلسى كمريم عند قدمى يسوع واسمعى كلامه ، لتختارى لنفسك النصيب الصالح الذى لن ينزع منك (لو ١٠ : ٣٩ و ٤٣) .

https://coptic-treasures.com/

الفصل الثـــانى عشر

الاتحاد بالله

أن الطفل الرضيع عندما يهب من نومه ، يبكى إن لم تكن أمه بجواره ،ويحاول الوصول اليها ، وهو على أشد ما يكون من الصراخ والعويل ، وأمه تشفق عليه لدى سماع صوته وتسرع اليه فتكفكف دموعه ، وتأخذه بيديها ، وتحتضنه إلى صدرها ، فكن أنت كطفلٍ صغيرٍ لا تستريحُ ان لم يكن الله معك ، وتكن أنت معه ، وإن لم تقدر أن تصل اليه فاصرخ كالطفل باكياً بدموع غزيرة ، وحينئذٍ يشفق عليك ويرق لحالك أكثر مما تفعلُ الأمُّ ، ويقبل إليك ليحملك على ذراعى الرحمة ، ويظللك بجناحى النعمة ، ويقتبلك فى حضنه الحنون ، ويغذيك بالغـــذاء السماوى ، ويوحدك فيه فى كل شىء .

كلما ثبتّ فى الله حصلت على شرف النسبة اليه تعالى ، وعلى قدر ازديادك في النعمةِ والقداسة ، يكون ازديادك فى الشبه به ، النفس

https://coptic-treasures.com/

المتصلة بالله تتحد فيه روحاً وعقلاً وإرادةً وفكراً وتصوراً ، وتكون معه فى كل شيء ، ولا تبحثُ أو تفكر إلا فيه ، ولا تتصور سواه ، ولا تريد غيرَ ما يريده ، وهى وإن كانت بجسدها عائشـةً تسعى على الأرض إلا أنها بروحها وعقلها وفكرها فى السماء ، واقفةٌ أمام عرش النعمة وكرسى الرحمة الإلهية ، وهى تسير على الأرض مطمئنة وسعيدة ، لأنها تعلم أنها وارثةٌ مجداً يفوق العقول ، وتثق بأنها ميراثُ الرب والربُّ ميراثُها .

من شاء أن يتحدَ بالله فليحبه فوق كلّ شيء ، ويقف قلبه عليه ، ويفضـــله على الوالدين ، والأولاد ، والاخوة ، والزوجة ، والأقارب ، والأصدقاء ، « مَن أحبَّ أباً أو أُماً أكثرَ منى فلا يستحقُّنى ، ومن أحبَّ ابناً أو ابنة أكثر منى فلا يستحقنى » (مت ١٠ : ٣٧) الطير لا يستطيع الطيران والارتفاع فى الجو بغير جناح ، وأنت بطبيعتك البشرية لا تقوى على الصعود إلى الملأ الأعلى ما لم تتحدْ بالطبيعة الإلهية اتحاداً حقيقياً ، فان الطبيعة البشرية خاطئة أثيمة ، وهى وحدها دنســة ذليلة ، عاجزة عن كل شيء ، ولكنها إن اتحدت بالله تطهر ، وترتفع فوق ذاتها ، وتصير مقدسةً

https://coptic-treasures.com/

غير خاضعة للآلام والعوارض الدنيئة ، كلما ازدادت شوقاً الى الله وصوبت كل قواها لطلبه ، ازداد ميلاً اليها وقرباً منها، حتى يتحد بها ويسكن اليها ، لأنه ناظر اليها ، معاين رغائبها مطلع على ميولها . فاطلبه من كل نفسك ومن كل قلبك ومن كل قوتك ، تجده حاضراً لديك ، وحينئذ ينكشف الستارُ المسدل على عقلك ، وترى الرب جهرة ، وتتمتع بمرأى جماله ، وتشبع من حلاوة سلوانه ، ويعطيك الغلبة على أعدائك ، وينقذك من أيدى مطارديك ، ويحميك من الشرور المحيطة بك ، ويكونُ لك كل شيء فى كل شيء . فيكونُ لك طريقاً ، وباباً ، وحياةً ، ونعيماً ، واكليلاً ، ومأوى ، ومنارةً ، وسلاحاً ، وحكمة ، وبراً ، وسلاماً .

https://coptic-treasures.com/

الفصل الثالث عشر

حاجتنا الى النعمة وطاعة القلب لفعلها

اننا فى هذه الحياة وسط حروب ومنازعات لاتسكن ولا تهدأ ، وفى قتال مستمر ، لاينقطع ، وتتناوب افئدتنا فى كل لحظة عوامل الإغراء، ودوافع الإثم ، فالجسد يشتهى ضد الروح والروح ضد الجسد . وهذان يقاوم أحدهما الآخر (غل ٥ : ١٧) وهذا ماحدا ببولس الرسول أن يتأوه ويصرخ قائلا « أرى ناموساً آخر فى أعضائى يحارب ناموس ذهنى ،ويسبينى الى ناموس الخطيئة الكائن فى أعضائى ، ويحى أنا الانسان الشقى من ينقذنى من جسد الموت هذا، اشكر الله بيسوع المسيح ربنا » (رو٧:٢٣-٢٥) فالخطيئة قد خلفت فينا، جزوراً دنسة بذورها فاسدة، فأصبحت طبيعتنا ضعيفة ومائلة الى الشر منذ حداثتها . ولم يبق فينا من القوة سوى إرادة ضعيفة واهنة ،ومعرفة حقيرة كشرارة مخبوءة تحت رماد، وصار العقل مغشى بظلام دامس ، فعجز عن اتمام ما يراه نافعاً ،

https://coptic-treasures.com/

وحجب عنه ضوء الحرية ونور الحق الإلهي ، لذلك نرى الإنسان مهما بلغ في التمسك بالفضيلة فلا تزال الشهوة تغريه والجسد يضاده ، فليت شعري ماذا تفعل نفوسنا الضعيفة فى حرب هذه صفتها ، وهي بين عوامل تتجاذبها وأهواء تلاطمها وتقاومها ، لا تفشل ايها الحبيب ولا تجبن فاننا نستطيع كل شيء فى المسيح الذي يقوينا (فى ٤: ١٣) اصغ واستمع صوت الرب «تكفيك نعمتى لأن قوتى فى الضعف تكمل» فما عليك الا أن تجيب بقول الرسول «بكل سرور أفتخر بالحرى فى ضعفاتى لكى تحلَّ على قوةُ المسيح ، لذلك أسر بالضعفات ، والشتائم ، والضرورات ، والاضطهادات ، والضيقات لأجل المسيح ، لأنى حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوى» (٢ كو ١٢: ٩ و ١٠)

ففى وسط هذه الحرب الضروس ، يعطيك الرب نعمة من لدنه ، ويشتد ساعدك بها فى الانسان الباطن فتغدو قادراً على قهر كل قوات الطبيعة ، وانها لهبة فائقة يهبها الله لنا تفعل سراً فى القلب رويداً رويداً ، وتغير العواطف شيئاً فشيئاً ، وتسير الحواس فى الداخل ، الى الكمال

https://coptic-treasures.com/

وكما انك لا تشعر بنمو الشجرة ، ولا بفعل الطعام فى جسمك ، هكذا النعمة تؤثر فى قلبك قليلا وتعمل فى نفسك شيئاً فشيئاً ، الى ان تصير رجلاً كاملاً الى قامة ملء المسيح ، وانت لا ترى «الريح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها ، ولكنك لا تعلم من أين تأتي ولا الى اين تذهب هكذا كل من ولد من الروح » (يو٣:٨) وهو تعالى يوزع مواهبه حسبما يشاء ، وبقدر ما يريد وكما يرى صالحاً لكل واحد. ليست طبيعة الأرض كلها واحدة ، فكل بقعة تنبت زرعاً ، وتثمر غرساً ، هكذا الله يفيض نعمته على قلوبنا حسب حكمته ،« فانه لواحد يعطى بالروح كلام حكمة ، ولآخر كلام علم بحسب الروح الواحد ، ولآخر إيمان ، ولآخر مواهب شفاء ، ولآخر عمل قوات ، ولآخر نبوة ، ولآخر تمييز الارواح » (١كو١٢:٨ــ١٠)

إن الرب لم يشأ أن يطبع القداسة فينا طبعاً لا يمحى ، بل النعمة تفعل فينا فعل الطبيعة. إن لم يكن العود ،جافاً لا يصلح للايقاد ولا تستعر فيه النيران ، هكذا أنت يجب أن تكون مستعداً لفعل النعمة ،معداً نفسك لها مهيئاً إياها لقبول مواهب الروح .أنمُ فى النعمة

https://coptic-treasures.com/

واَحى بها ، لانك بدونها تكون عقيماً ، وبها تثمر ثمر الخلاص والبر ، لتكن معك ليلاً ونهاراً ، فى حال الشدة وحال الرخاء ، فى أوقات التعزية وفى زمان اليبوسة ، لأنها تهديك وترشدك ، وتصونك وتحفظك ،وتقويك وتساعدك ، ومتي تأيدت بها وسرت بارشادها ، تعد قادراً على ما لا تقدر عليه الطبيعة ، وهى تحولُ لك المر حلواً ، والشدة رخاءً ، واليبوسة ليناً ، والملوحة عذوبة ، والوعر سهلاً ، والخزى والمذلة فرحاً وسروراً ، وتصيرُ لك سلاحاً وقوة ودرعاً وعربوناً للخلاص الأبدى ، وتعلمُك الحقَّ ، وتلقنُك الحكمة والأدب ، وتعزيك فى الضيق ، وتنيرُ لك الطريق ، وتطردُ عنك الغم والحزن ، وتزيل الخزى والخوف ، وترافقك على الدوام ، وتقودك الى الطريق الصالحة ، وتحوّلكَ الى صورة الله

https://coptic-treasures.com/

الفصل الرابع عشر

اغتنام الفرصة واستماع صوت الله لقبول النعمة

النعمة لا تفعل فعلها فى العقول المشتتة والقلوب الموزعة ، بل تطلب الروح الرزين الهادىء ، والقلب الوديع السليم . اذا دعاك الرب فاسمع صوته واصغ الى امره ، وبادر لملاقاته لأنك لا تحصل على الخلاص إلا أن أطعت صوته ، إن الله يريد أن يخاطب قلبك فكن مستعداً دائما لاستماع صوته ، لاتقسّ قلبك عند سماع صوته المفرح بل قل مع صموئيل « تكلم يارب لان عبدك سامع » (١صم ٣ : ٩) كن كالشمع ليناً قابلا لصورة النعمة ، ولاتكن قاسياً لايؤثر فيك فعلها ، ولا تتمرد على الروح القدس لئلا تسمع « ياقساة القلوب وغير المختونين فى قلوبكم واذانكم فى كل حين ، حتى متى تقاومون الروح القدس كما كان آباؤكم كذلك انتم » (اع ٧ : ٥١)

إن الرب لايمنحك نعمه فى كل حين ، فاغتنم الفرصة لكى تقبل مواهبه ، ان الله لايتفقدك فى كل وقت ، فاصغ لصوته عند ندائه إياك ،

https://coptic-treasures.com/

فقد قيل : ان ملاكا كان ينزل ويحرك الماء أحياناً ، وكان من ينزل أولا يبرأ من مرضه (يو ٥: ٤) فاياك والتهاون والاهمال . ان لم تسمع الآن صوته وقسيت قلبك فسيأتى وقت لا يسمعك فيه ، لا ترفضه لئلا يرفضك ، لا تحتقره لئلا يهملك ، لا تكن كالشاب الغنى الذي دعاه المخلص فمضى حزينا ، لانه كان ذا أموال كثيرة (مت ١٩ : ٢٢)

لما ولد المخلص شاع خبره فى انحاء البلاد ، ووصل صوته الى كل اليهود ، ولكن لم يذهب ليسجد له سوى رعاة فقراء كانوا يحرسون غنمهم (لو ٢ : ١٥) ومجوس أقبلوا من جهات بعيدة (مت ٢ : ١) وحين بدأ فى التبشير لم يقبله أولا الا صيادون فقراء من عامة الناس . لا تفضل الإصغاء لصوت العالم وتصم أذنيك عن صوت يسوع . لا تلتفتْ الى شهوات العالم وتترك دعوة النعمة ونداءها ، ولا تدع نفسك تتعلقُ بالعالم . لماذا تقيد ذاتك بهذه القيود والسلاسل الصعبة . تحرر من هذا النّير الثقيل ، ولا تخدعنّك أباطيل الحياة ولذّاتها ، لئلا ينقلب فرحها ترحاً ، وحلوها مراً . لا يغرنك سراب

https://coptic-treasures.com/

العالم الخلاب فتصير أسيراً ذليلا ، بل دُس بقدميك كل شهواته ، واعتبر غناه فقراً ومجده احتقاراً وعزه هواناً .

إن صوت الرب مفرح ولذيذ وسعيد من يستمعه ويطيعه« انى اسمع مايتكلم به الله الرب ، لانه يتكلم بالسلام لشعبه ولاتقيائه » (مز ٨٥ : ٨) فاسمع وكن فى سلام . اصغ وتلذذ بالراحة ، أنصت بعقلك فتملك هدوء الضمير ، وترى سلام الله مقبلا اليك « على مرصدى أقف وعلى الحصن أنتصب وأراقب لأرى ماذا يقول لى وماذا أجيب » (حب ٢: ١) احرص كل الحرص على النعمة ، واحذرْ من السقوط ، واهرب من كل مايسوقك الى الخطأ وانتبه لئلا تفقد النعمة وحذار أن تضيع ما اكتسبت وتندم على ما فعلت .

https://coptic-treasures.com/

الفصل الخامس عشر

جزاء من لا يسمع صوت الرب ورفضه

قال الرب يدعو الجميع « أيها العطاش هلموا الى المياه والذى ليس له فضة تعالوا اشتروا وكلوا ، هلموا اشتروا بلا فضة وبلا ثمن خمراً ولبناً ، استمعوا لى استماعاً وكلوا الطيب ولتتلذذ بالدسم انفسكم » (أش ٥٥ : ١و٢) «اطلبوا الرب ما دام يوجد ، ادعوه وهو قريب » (: ٦) « هوذا الآن وقت مقبول هوذا الآن يوم خلاص » (٢ كو ٦ : ٢) « اليوم إن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم » (مز ٩٥ : ٧و٨) هذا ما ينادي به الرب ورسله كي يسمع اهل العالم صوته ، ولكنْ من الناس من لهم آذان لا يسمعون ، ولهم قلوب لا يفقهون ، أسدلوا على عيونهم وبصائرهم ستاراً حتى لا يسمعوا ولا يهتدوا ، تعساً لهم سوف يندبون وينتحبون ، حين يأتيهم وقت فيه يصرخون ولا من يسمع ، ويستغيثون وليس

https://coptic-treasures.com/

من يرحم ، لانهم رفضوا الرب ولم يطيعوه ، فهو أيضاً يرفضهم ولا يعرفهم .

«الحكمة تنادى فى الخارج فى الشوارع تعطى صوتها ، تدعو فى رؤوس الأسواق ، فى مداخل الأبواب ، فى المدينة تبدي كلامها ، الى متى أيها الجهال تحبون الجهل ، والمستهزئون يسرون بالاستهزاء والحمقى يبغضون العلم ، ارجعوا عند توبيخى هأنذا أفيض عليكم روحى أعلمكم كلماتى» (ام ١ : ٢٠-٢٣) بذلك يعظهم يسوع بصوته الحنون وفى كل حين يدعوهم ، وإلى اى شىء يدعوهم ؟ الى الراحة والسعادة ، والاطمئنان والسلام ، فيتصامون ويتلاهون بالأكل من خرنوب العالم ويظنون أنهم يتلذذون ، وبينما هم كذلك إذا بصوت آخر يرعبهم حين لايستمعون الى نداء الرحمة ولا يصيخون الى صوت العدل ، قائلا : «لانى دعوت فأبيتم ، ومددت يدى وليس من يبالى ، بل رفضتم كل مشورتى ، ولم ترضوا توبيخى ، فأنا أيضاً أضحك عند بليتكم ، أشمت عند مجئ خوفكم ، اذا جاء خوفكم كعاصفة وأتت بليتكم كالزوبعة ، اذا جاءت عليكم شدة وضيق ،

https://coptic-treasures.com/

حينئذ يدعوننى فلا استجيب ، يبكرون اليّ فلا يجدوننى . ابغضوا العلم ولم يختاروا مخافة الرب ، لم يرضوا مشورتى ، رذلوا كل توبيخى، فلذلك يأكلون من ثمر طريقهم ويشبعون من مؤامراتهم ، لان ارتداد الحمقى يقتلهم ، وراحة الجهال تبيدهم ، اما المستمع لى فيسكن آمناً ويستريح من خوف الشر » (ام ١ : ٢٤ ـ ٣٣) قال ارميا : «من اكلمهم وانذرهم فيسمعوا ، ها أن أذانهم غلفاء فلا يقدرون أن يصغوا ، ها أن كلمة الرب صارت لهم عاراً لا يسرون بها ، هل خزوا لأنهم عملوا رجساً ، بل لم يخزوا ولم يعرفوا الخجل ، لذلك يسقطون بين الساقطين ، فى وقت معاقبتهم يعثرون قال الرب » (ار ٦ : ١٠و١٥) إن الرب يتبرأ من مثل هؤلاء ويقول « أصغيت الى صوت الذين لم يسألوا ، وُجدت من الذين لم يطلبونى ، قلت هأنذا هأنذا ، بسطت يدى طول النهار الى شعب متمرد ، يقول قف عندك لا تدنُ منى ، هؤلاء دخان فى أنفى ، نار متقدة طول النهار ، ها قد كتب أمامى لا أسكت بل أجازي فى حضنهم ، أما أنتم الذين تركوا الرب فانى أعينكم للسيف ، وتجثون كلكم للذبح ، لأنى

https://coptic-treasures.com/

دعوت فلم تجيبوا ، تكلمت فلم تسمعوا ، بل عملتم الشر فى عينى واخترتم ما لم أسر به ، لذلك هكذا قال السيد الرب ، هوذا عبيدى يأكلون وأنتم تجوعون ، هوذا عبيدى يشربون وأنتم تعطشون ، هوذا عبيدي يفرحون وأنتم تحزنون ، هوذا عبيدى يترنمون من طيبة القلب ، وأنتم تصرخون من كآبة القلب ، ومن انكسار الروح تولولون » (اش ٦٥ : ١ ـ ١٤) « هم اختاروا طرقهم وبمكرهاتهم سرت أنفسهم ، فأنا أيضاً اختار مصائبهم ، ومخاوفهم أجلبها عليهم ، من أجل أنى دعوت فلم يكن مجيب ، تكلمت فلم يسمعوا » (اش ٦٦ :٣، ٤) «الجلوس فى الظلمة وظلال الموت موثقين بالذل والحديد، لأنهم عصوا كلام الله وأهانوا مشورة العلى ، فأذل قلوبهم بتعب ، عثروا بلا معين » (مز ١٠٧ : ١٠ ـ ١٢) « لأنه ما هو رجاء الفاجر عند ما يقطعه ، عند ما يسلب الله نفسه ، فيسمع الله صراخه اذا جاء عليه ضيق » (اى ٢٧ : ٨ و ٩)

فويل لمن لا يسمع صوت الرب ، وويح من يعترض سر النعمة ومن يقاوم الحق ، ويُغلق باب قلبه عن دخول النور فيه ، سيمكث فى الظلام الى الأبد ، ويستقرّ عليه غضب الله ، وسيحس شدة

https://coptic-treasures.com/

وضيقاً فى نفسه ، وسيكون كالبحر المضطرب الذي لايهدأ ولا يعرف السلام

الفصل السادس عشر

وجوب توجيه كل الرغبة والثقة فى الله وحده

ليكن الله رائدك ، واليه توجه كل ثقتك ورغبتك وأقصى أمانيك ، مِمَّ تخشى إن جعلت اعتمادك كله على الله . لاتخف شيئاً ، فبه يسعد حالُك ، وينعمُ بالُك ، وبدونه تصير دائما فى شــقاء وتتقطع نفسك حسراتٍ ، وتتقلبُ على جمرات الألم ، ليكنْ هو سلوانك وبغيتك ، فلا شيء على الأرض يقض مضجعك . اجعله رجاءك ومعزيك فتجد كل شيء سهلاً أمامك . لا تنفعُك الأموالُ ، ولا يفيدك الأحباء والأصدقاء ، ولا يمنحك السلوان شيء على الأرض إن لم يكن الله معك ، تلتمس أمورك منه وحده . هل يقدر القوى أن ينجيك ، أو المشيرالحكيم أن يهديك الطريق ، أو الاصدقاءُ أن يعزوك فى أوقات المحن والضيق ، أي أمر يفيدك

https://coptic-treasures.com/

فى هاته الحياة ان لم يكن يسوع معك ، لا أحد يستطيع أن يسعدك ، ولا يقدر قوى أن ينقذك ، ولا يمكن مكان أن يسترك ويصونك . فان كان معك صار ساعدك وناصرك وحافظك ومرشدك وقوتك وعزاؤك ومنتهى آمالك وغاية سلوانك . كل ما يتراءى لك نفعه فى هاته الحياة وأنه السبيل لنيل السلام والسعادة بدون الله ، هو فى الحقيقة غش وخداع ، وفى واقع الأمر تعب ونصب ، فوضع الثقة كلها فى الله وتوجيه الرغبة اليه وحده هو غاية الحياة وأقصى ماتصبو اليه النفوس .

انظر وتطلع أيها الحبيب ، ها هى ذي أمامك خلائق لا تحصى وكائنات لا تقع تحت حصر ، ولكنها كلها عدم ، ومن العدم جاءت ، والى العدم تعود ، فهل تطلب سلامتك وراحتك من عدم لاثبات له ولا دوام لوجوده ، هذه الكائنات التى تراها غاية فى الزهو تختال جمالاً ، وتتيه عجباً ، سوف تتوارى عن العيون بسرعة ، وتغور الى العدم مركزها الذي خرجت منه ، أما الذى لا يتغير فهو الله وحده ، فهو باقٍ الى الأبد ، تزول الكائنات وتفنى كل الخلائق ، ويدوم الله وحده ، كل شىء يتغير ويحوله الزمان ،

https://coptic-treasures.com/

والله وحده هو هو أمس واليوم والى الأبد ، لايتغير ولا ينتهى ، وسنوه لن تفنى أبد الآباد ودهر الدهور

فيا أيتها الخلائق الدنيئة والكائنات الحقيرة ، توارى من أمام عينى تجاه مجد إلهى ، واضمحلى ولا تعودى تتراءين أمام ذهنى ، عندما أتدبر بفكري واتجه بعقلى وحسى للتأمل في الله وحده

يا لهُ من تأمل لذيذ وتدبر عذب مقدس ، هذا الذى به يوقن القلب انه ليس فى هذه الحياة ما يريحه بين كل هذه الخلائق وأن الحياة تكون ثقيلة متعبة إذا تعلق بكائنات مآلها العدم ونصيبها الفنـــاء .

فلتبتهج نفسك بالله وحده ، وعندئذ يتلألا لك مجد أنواره . آه يارب ها أنا ذا مستطيب ما تذوقت من عذوبة محبتك وحدها ، يا لها من نار أشهى من كل لذات الحياة الحسية ، وحبذا لو أرانى مستغرقاً فيها ، ناسياً ذاتى، غيرشاعر الا بوجودك فىَّ ، ها أنا ذا ولهان معنىً لا أدرى ماذا أفعل ، وليس لي سوى الاستغراق بكليتى فى نيران هذا الحب ، التى لا تفتأ تحيني بسعيرها ، ويتأجج لهيبها المضطرم فىَّ ، ولا أبتغى ولا أشتهى ولا أهوى سوى الغوص فى بحر هذا

https://coptic-treasures.com/

الحب الأقدس السامى ، الذي يصطحب بصوت فتن عقلى وسبى لبي قائلا : إن موضوع حبى : الله وحده ، الله وحده ، إلى الأبد ، إلى الأبد

الفصل السابع عشر

عدم طلب السلام من العالم

قال الرب « سلاماً اترك لكم ، سلامى أعطيكم ليس كما يعطى العالم أعطيكم أنا » (يو ١٤: ٢٧) ما أحلى هذا القول ، وما أعذبه ، ما أحسن السلام وما أسعد من يملكه ، كثيرون يبتغون السلام ، ويسعون للحصول عليه ، ولكن ما أقل الذين ينالونه ، كثيرون تعبوا وجدّوا ولم يظفروا بشيء منه ، وما ذلك إلا لأنهم يطلبونه من غير طريقه ، ويأتونه من غير أبوابه ، ولا يزال العالم يخدع كثيرين موهماً أياهم بأنه مصدر السلام والراحة ، يقول للغنى : ما بالك تقف عند حدّك ، سِرْ فى طريقك واملأ خزائنك واجمع الكثير من هذا الأصفر الرنان ، وضع قلبك عليه ، واسجد له تجد

https://coptic-treasures.com/

الراحة ، فيسمع هذا المسكين صوت الغرور ، ويفنى أيامه ، وحياته في جمع الأموال ، وهو فى حرصه واهتمامه به يحرم نفسه من التمتع بما يجمع . ثم يخرج أخيراً من هذه الدنيا ويدخل حياة الأبدية عارياً عن السلام ، والعالم أيضاً لا يبرح يخدع الانسان يوسوس له قائلا : ما بالك حزيناً كئيباً ، ألا تمتع باللذات ولتشبع نفسك منها وتثلج صدرك بشهيها ، وهكذا يزين لكل واحد سعادة موهومة وسلاماً كاذباً ، وينصرف بهم من خداع إلى آخر ، ويحكم كيده لهم بمسرات باطلة يموه بها على العقول . فيظنها الشرير في شره ، والبخيل في جمع ماله ، والجبار في قوته ، والشره في شراهته ، وصاحب الكرامة في مرتبته ، بيد أنه ليس واحداً من كل هؤلاء ينال السلام الحقيقي ، لأن العالم لا يضفي على الناس بشيء سوى قلق وهم وغم وضجر وتبكيت للضمير ، مع أوجاع ونكبات لا حد لها ، هذا هو سلام العالم كله « لأن في طرقهم اغتصاب وسحق وطريق السلام لم يعرفوه » (رو ٣ : ١٦ و١٧) وما العالم إلا كأنبياء اسرائيل الذين كانوا يتنبئون لأورشليم ويرون لها رؤى السلام ولا سلام (حز ١ : ١٦) وما مثل هؤلاء إلا كما

https://coptic-treasures.com/

يحلم الجائع أنه يأكل ثم يستيقظ وإذا نفسه فارغة ، وكما يحلم العطشان أنه يشرب ثم يستيقظ فاذا هو رازح ونفسه مشتهية (أش ٩ : ٨) هكذا يكون الذين يطلبون سلامهم من العالم، الذى لا يستجيب لهم بشيء إلا الاتعاب والأوصاب، فهل بعد ذلك تطلب سلامك فى القلق والانزعاج ، كيف تقول للأمواج سكنى اضطرابى ، وللزوابع هدئى روعى ، لعمرى ان كل ما فى العالم ، من غموم وهموم ، وأكدار وأحزان ، وأمراض وأوصاب ، وويلات وتجارب، تنتاب الانسان فى كل أدواره ، يُنذرُ بأنْ لاسلامَ فى العالم، وها هى ذى أصوات التنهد والأنين والصياح والعويل،وزفرات النواح والنحيب ، تنبئُك عن الحق ، وتكشف لك عن ذلك الباطل الذى يسميه الناس سعادة ، فالسعادة لا تسكن فى دار تعب وشقاء ، وان من يطلب السلام من هذا العالم لأشبه بطائر يرفرف فوق أمواج المياه إلى أن يعييه الطيران ، ويتعبه السير ، ولو أتيح لك أن تملك زمام العالم وتمتلك ناصيته لما نعمت بالراحة فيه ، لأن نفسك مخلوقةٌ على صورة الله لا يوافقها شيء آخر ، لأن الله قد خلقها ليسكنَ ويحلَّ فيها وحده ، فهو سلامها الحقيقى دون غيره

https://coptic-treasures.com/

يانفسي لن تبرحى شقيةً ، ولن تزالى فى عناء ووصب ، وفى قلق واضطراب فى برية هذه الحياة ، إلى أن تستريحى في الله الذى هو فوق كل شيء ، فوق كل مافى الأرض ، وفوق كل مافى السموات ، لأنك أنت يارب سلامى الحقيقي الذى يفوق كل عقل (فى ٤ : ٧) فى هذا السلام ارتاح وبسلامةٍ أضطجع بل أيضاً أنام ،، (مز ٤ : ٨)

الفصل الثامن عشر

طلب السلام والراحة فى الله وحده

من طلب السلامَ والراحةَ من العالم ، لا ينال سوى القلق والاضطراب ، لأن من خواص العالم التقلبَ والتغيرَ على الدوام ، وأما السلام الحقيقى فيستمد من الله الذى ليس عنده تغيير ولا ظل دوران (يع ١ : ١٧) من التصق بالعالم ووضع سروره وثقته فيه فلن يحصلَ على سلامٍ إلى الأبد ، بل يظلُّ قلقاً مدى حياته ، لا تزال أيها الحبيبُ قلقاً تعباً إذا وضعت ثقتك فى غير الله ، أو

https://coptic-treasures.com/

أحببت سواه ، ولكن إن مكنت محبتك وسلامك فى الله فلا يستطيع شىء أن ينتزع منك سلامك أو يكدرَ صفوَ راحتك ، فلا المشقاتُ ولا الآلامُ ولا الأوجاعُ ولا المظالمُ ولا شىء قط ، تظلم به حياتك ، أو ينغص عيشك ، بل فى كل ذلك يلازمك السلام وتدوم لك الراحة .

إن شؤون هذا العالم متغيرة طبعاً ، فمن يجعل سلامه متعلقاً بها يصير متغيراً مثلها كلَّ يومٍ من حالٍ إلى حالٍ ، ولا يجدُ سلاماً قط ، إذن لا يمكن أن تجد سلامك في الخيراتِ الأرضية ، ولا فى كثرة الأموال ، ولا في القوة والصحة ، ولا فى الكرامة والجاه العالمى ، ولا فى شىء آخر من أمور هذا العالم ، ولكنك تجده فى الله وحده ، إن الأمور الدنيوية لا تثير أشواقك ، ولا تشبعُ نفسك ، لأنها ليست الطعام الحقيقى للنفس ، وإلا فحدثنى لماذا لا يشبع البخيل من جمع المال ؟ أليس ذلك لأن المال ليس طعاماً للنفس ، من كان فى سفينة في بحر أولى به وأسلم له ، ألا يطلبَ طعامه وشرابه منه ، بل يجب أن يحمل معه زاده ، هكذا أنت فى العالم ،

https://coptic-treasures.com/

لا تطلب من العالم طعامَ نفسك الأبدية ، لأن لها طعاماً آخر ليس من هذا العالم بل من السماء .

إن طلبت الفرح والسلام والراحة من لذات العالم بكيت فى النهاية وحزنت ، وإن ظننت سرورك في هذه اللذة أو فى تلك ، فلست إلا فى وهم وخداع ، وإن توهمت سعادتك فيما يتفق مع هواك، فاعلم انك قد حدت عن جادة الصواب، لأن الذي تحبه وتسرّ به اليوم تكرهه غداً حتى تود ألا تراه ، فلقد أقبل الاسرائيليون أولاً على المن بشوق ورغبة ثم ما لبثوا أن صدوا عنه ، وضجروا منه ، وتمنوا الرجوع إلى مصر مفضلين أكل البصل والثوم . إنك لن تفوز أبداً بسرور وسلام ما دمت منتظراً ذلك من العالم ومترقباً له من أمور فانية زائلة ، ولكن إن وضعت سرورك وسلامك فى الله ، يدوما دون أن يعتريهما تغير أو انقلاب

وما دام الانسان بعيداً عن الله فهو مضطرب النفس ، مبلبل الفكر، ولن يحصل على السلام الحقيقى ، فاقتربى يانفس الى الله لتصلى إلى سلامك وسعادتك

https://coptic-treasures.com/

يا إلهى إننى فى قلق ما دمت بعيداً عنك ، فاقترب مني واجذبني نحوك ، لأنى اشتاق إلى أن أتمتع بسلام بنيك الذي يفوق كل عقل ، إننى فى تعب وشقاء فى وسط منفاى ، فرطب فؤادى بسلوانك ، وقربنى إلى سلامك ، فى أرض غربتى ، فى هـذا الوادي وادى الشقاء ، لا تلتفتى يانفسى الى أمور هذا العالم القابلة للتغير والفنـاء لئلا تحيدى عن طريق السلام ، ووجهى أشواقك وألحاظك وكل ما فيك إلى الله وحده ، فتحصلى على السلام والهدوء والسكينة الـكاملة ، التى لا يشوبها كدر ولا حزن ولا تعب . واعلمى أن لا شىء فى العالم يملأ رغائبك ويشبعها ويضفى عليك السرور غير الله وحده ، فلا تجولى وتطوفى فى أمـكنة ليس فيها الا سراب ، ولا تـكلفى الأشياء غير طبائعها ، فتتوقعى الخير أو تطلبى السعادة من غير الله ،الذى هو وحده يغنيك عن كل شىء

---

https://coptic-treasures.com/

الفصل التاسع عشر

فيما يجلب السلام الحقيقي والراحة الكاملة

إن السلامَ الحقيقي التامّ ليس إلا هدوءَ الضمير وطمأنينة القلب ، والحصولَ على السعادة ، والدوام عليها ، بين تيارات العالم وتقلباته ، أثبت فى الله لتظفرَ بهذا السلام ، اترك ما إذا فقدته حزنت عليه وتوجعت لفقده ، ولا تعلقْ قلبك بما يتألم له خوفاً من ضياعه ، وضع كل ثقتك فى الله وحده ، لا تتداخل فيما لا يعنيك ولا تهتم بما لا يخصك ، ولا تَلهُ بأمور باطلة ، وابتعد عن الخصام والمنازعة والحسد وعن كلّ مامن شأنه أن يفقدك السلام ، استأصل العادات الرديئة منك ، وليكن ضميرُك طاهراً ، ونيتُك سليمةً ، ورغبتك مقدسة ، ولا تسيءْ الظنّ بأحد ، وخالفْ هواك ، واقمع شهواتك وألجم آلامك ، وقاومْ حواسّك ، واضبط ميولك لتجدَ راحةً وسلاماً ، فانّ السلام فى مقاومة الأهواء ، وعدمِ الاستسلام لها ، لا فى طاعتها والانقياد لها .

https://coptic-treasures.com/

التفتْ إلى الله ، وسلمهْ قلبك ، وأخْضعْ له إرادتك ، وأحبَّه فتظفرَ بالسلام والسعادة ، كن وديعاً أنيساً محباً للصلح فتكون ابناً للسلامْ ، طهرذاتَك من كلّ دنسٍ ، واقتلع من قلبك بذورَ كل شر ، فتشعر بسلام الله ، احتقرْ كل ما فى العالم من الشهوات الرديئة ، ولا تعلقْ قلبَك بشيء مما فيه ، لأنك ان لم تحتقر لذاته ومغرياته وتطلب الله وحدَه ، فلا تظفر بسلامٍ مدى حياتِك

من يحزْ السلام ، فهو خير ممن يملك العالم بأسره . وأفضل ممن حذق كل العلوم ، وبرع فيها . كن صبوراً قويّ النفس ذا ضميرٍ سليم ، فيكون السلام فى قلبك ، فان الصبور يرتاح ويطمئن إلى اللهحتى إذا المت به الشدائد ، وأحاطت بهالكوارث والآلام ، والضمير الشرير دائماً فى خوفٍ وجزع ، وقلقٍ وفزعٍ ، حتى من أتفه الأشياء وأحقرها ، إذ ليس لديه ما يصد عنه عادية الدهر .

إن شهواتك ورغائبك تحاربُك وتحاول أن تنتزع منك سلامك ، فلا تظن أن العدو بعيد عنك ، بل هو فى بيتك ، وساكنٌ معك ، فحدّ من شهواتك ، واضبط كلّ خلجاتك ، وحينئذ تصيرُ آمناً

https://coptic-treasures.com/

على سلامك ، ادخل إلى ذاتك ، واقتل كل ميولك المنحرفة ، عند ذلك تشعر بحلاوة ما هو مر لديك الآن .

العُثُّ يُتلفُ الصوف ، والسوس يُفسدُ الخشب ، هكذا الشهوات الجامحة ، والرغائب المنحرفة تُتلف وتفسد وتستأصلُ أصلَ السلام من القلب ، فاضبط كل حواسك ، فتتمتع بالسكون والدعة ، وكن هادئاً ساكناً فتكون فى طمأنينة وراحة ، واعلم أخيراً أن روحَ الله القدوس لا يسكنُ إلا القلب الوديعَ السليمَ الهادىء .

https://coptic-treasures.com/

الفصل العشرون

فى تسليم الذات لإرادة الله

من شأن المحب الحقيقي أن يقبل على ما يريده المحبوب ، ويكره ما لا يريده ، هذا هو المثل الأعلى فى الحب ، فلا يمكنك أن تبلغ الغاية فى محبة الله ، إلا إن طابقت إرادتك إرادته ، وليس شيء أحسن ولا أكمل من إرادة الله ، فكلما اتحدت إرادتك بإرادته صارت إرادتك اكمل وأفضل ، إن الله أكمل موجود ، فاتبع إرادته، فتتقدس وتكمل إرادتك ، قل فى كل شيء ،لتكن مشيئتك ، ولتتم إرادتك

إن كل ما يحدث فى العالم ما عدا الخطيئة ، إنما يتم بسماح من الله ، فما عليك إلا أن تقبل بشكر وسرور كل ما يحدث لك لأنه من قبله تعالى ، ومتى سلكت هذا الطريق ودربت على ذلك ، لا تحزن ولا تضجر ولا تمل ولا تنزعج ، بل تظل فى أمان وهدو وسكون وتعيش على الأرض بسلام

https://coptic-treasures.com/

سلم ذاتك تسليماً كاملاً للرب ، وضع نفسك في يد القدير ، فتطابق إرادتك إرادته تعالى ، فتسليم الذات لله تعالى ، والاتكال الكامل عليه ، أصل كل سلام ، ومصدر كل سكون وهدوء ، وينبوع كل سعادة وخير ، واستودع ذاتك يد العناية الإلهية تصرفك كيف شاءت ، وتقلبك أنى أرادت ، وبذلك تدل على أنك لاتريد أن تعيش لذاتك بل لله . إن كانت إرادتك مطابقة لارادته، فلا تعمل أى عمل إلا تنفيذاً لمشيئته ،ولاتشتهي شيئاً آخر سوى أن تكمل إرادة الله فيك ،حينئذ تكون فرحاً فيوسط المآزق، ولايرتاع قلبك لدى الشدائد ،ويفرح بك الرب ويعطيك اللذة الحقيقية ،لأن الله يحب من يتبع مشيئته ، وقد مدح داود النبي على ذلك وقال عنه ، « وجدت داود بن يسى رجلاً حسب قلبي الذى يصنع كل مشيئتى » (أ ع ١٣ : ٢٢)

إنك بخضوعك ومتابعتك لإرادة الله ، تحصل على كبت كل ميولك الرديئة ، وإماتة سائر شهواتك الدنيوية إذ تكون بجملتك مستغرقاً فى هذه المشيئة ، وتكون قد أفنيت إرادتك الشهوانية ،

https://coptic-treasures.com/

وبمقدار ما تنكر ذاتك تزداد اتحاداً بالله ، فأزل من طريقك كلّ ما من شأنه أن يحرمك هذا الخير الأعظم ، ويمنعك الاتحاد بالله الذى هو الخير المحض

إن ملكوتَ الله برٌّ وسلام ، وفرح فى الروح القدس (رو١٤: ٧) ولن تحصل على هذا الفرح وذاك السلام ما لم تسلم ذاتك لإرادة الله، وتخضع مشيئتك لمشيئته ، فتنال عربون السعادة ، وتحصل على فرح الروح الدائم ، وتنعم بنعيم القديسين ، الذين يتممون مشيئة الله فى السماء لا يعتريك قلق . ولا ألم من قبل الأمور الزمنية ، ولو اختلفت الأمور ، أو زلزلت الأرض ، أو تقلبت عليك الحوادث ، أو تغيرت الأحوال ، أو حلت المصائب والأوجاع ، فانك فى هذه كلها لا تشعر إلا بارادة الله ورضوانه ، وتتحول كل أحزانك إلى تسلية ، وينقلب ترحك إلى فرح ، واكتئابك إلى سلوان وتعزية ، وضيقك إلى عذوبة وسلوة ، ومتاعبك إلى سرور وعزاء .

هذه حال القديسين الذين استحالت كل أتعابهم وتجاربهم الى فرح وسعادة ، لأنهم استودعوا كل قلوبهم إرادة الله فحازوا رضوانه

https://coptic-treasures.com/

الكامل ، وما أجمل أن يسكنَ القلب فى السلام والراحة ، فيما بين عواصف التجارب ، وأوجاع الآلام المرة المحدقة بالانسان من كل جانب ، ومثله فى ذلك كالعليقة المتقدة فى اللهيب ولم تحترق ، وكالفتية فى أتون النار ولم تؤذهم .

فعلمني يارب أن أصنع ما تقضى به مشيئتك، وان انقاد لما تريد، واجتنب ما لا تحب، فذلك كل عزائى وسلوانى وغاية آمالى « ولكنى دائماً معك ، أمسكتَ بيدي اليمنى ، برأيك تهدينى وبعد الى مجد تأخذني ، من لى فى السماء ومعك لا أريد شيئاً فى الأرض ، قد فنى قلبي ولحمى، ونصيبي الله الى الدهر ، لانه هوذا البعداء عنك يبيدون ، تهلك كل من يزنى عنك ، أما أنا فالاقتراب الى الله حسن لي، جعلت بالسيد الرب ملجأى » (مز ٧٣ : ٢٣ ـ ٢٨)

الفصل الحادى والعشرون

فى إتمام إرادة الله كلُّ الفرح والسرور

إن تسليم الذات لله ، والخضوع لمشيئته ، لما يكسبنا نعمة عظمى ، بها نقدرُ على احراز الفضائل ، آمنين كلّ ما يطرأ علينا ، اذ نكون بين يدى العلىّ وفي حراسته وتدبيره .لاتتوهمْ أنك تحصلُ على الراحة والسلام إذا أنت تممت إرادتك ، لأن سلامك في رضوان الله ومشيئته . ويد الله تهدينا أكثر مما نهدي أنفسنا ، وعين الله تحرسنا أحسن مما نسهر على ذواتنا ، ومشيئة الله أقدس من مشيئتنا ، وهو تعالى يريد لنا الخير الخالص والسلام الكامل أكثر مما نريد لأنفسنا ، اشتهى بنو اسرائيل فى البرية أكل اللحم ، وطلبوا اتمام مشيئتهم ، فصارت ارادتهم سبب هلاكهم ، أمطر عليهم لحماً مثل التراب ، وكرمل البحر طيوراً ذوات أجنحة ، وأسقطها فى وسط محلتهم وحوالى مساكنهم ، فأكلوا وشبعوا جداً ، وأتاهم بشهوتهم ،

https://coptic-treasures.com/

لم يزوغوا عن شهوتهم ، طعامهم بعد في أفواههم ،فصعدعليهم غضب الله وقتـــل من اسمنهم وصرع مختارى اسرائيل (مز ٧٨ : ٢٩ — ٣١)

إن السعادة العظمى التي يتمتعُ بها القديسون في السماء . انما هى في استغراقهم في حب الله ، وهنـــاك ينزلون عن كل مايخص ذواتهم ، حيث يكون الله فيهم الكل في الكل ، فلا يتطلعون الى شيء آخر غيره وحده ، فان سلكت سبيل الله ، ووحدت ارادتك بارادته ، فقد حصلت على عربون راحة القديسين وسعادة السمائيين وأنت على الأرض .

اقبل واحتمل بصبر جميل كل ما يأتيك من الله ، مسرة أو تجربة ، رخاء أو شدة ، وأذعن لكل ما يعرضُ لك كأنك كنت تتوقعهُ وتريدهُ لنفسك ، فان فعلت ذلك وجدت راحة وسلاماً ، ولا يؤلمك ما عساه أن يعرض لك ، لأن التجربة أو المحنة التي يريدها الله لك أحسنُ من الخير والسرور اللذين تريدهما لنفســك ، وان تبعت ذلك فلا الشدة تقلقك ، ولا التجربة تُضجرك ، ولا

https://coptic-treasures.com/

يدفع بك إلى الزهو والعجب ، ولا الإهانة تؤلمك ، ولا يكون لأي حادث من الحوادث أثر فى نفسك ، بل تكون فى سلام ، على حال واحدة ، فى كل شيء ، وسواء أقبل عليك أمر مفرح أو جاءك شيء محزن ، فانك تقبلهما بفرح وشكر وصبر جميل ، وحينئذ لا ترى حزيناً ، ولا مكتئباً ، ولا ضجراً ، ولا متضايقاً ، بل يظهر عليك السرور والسلام والسكون والهدوء العظيم .

الفصل الثانى والعشرون

أمثلة على ارادة الله وسماحه تعالى

قال المخلص له المجد « الكأس التى أعطانى الآب الا أشربها » (يو ١٨ : ١١) وقال لبيلاطس « لم يكن لك علىَّ سلطان البتة لو لم تكن أعطيت من فوق » (يو ١٩ : ١١) وقال الرسل بنفس واحدة فى صلاتهم : « القائل بفم داود فتاك ، لماذا ارتجت الامم وتفكر الشعوب بالباطل ، قامت ملوك الأرض واجتمع الرؤساء معاً ، على

https://coptic-treasures.com/

الرب وعلى مسيحه ليفعلوا كل ما سبقت فعينت يدك ومشورتك أن يكون» (اع ٤ : ٢٦ و ٢٨) قصد هيرودس قتل المخلص فقتل ألوفاً من أطفال بيت لحم ولكن لم تقدر يده أن تصل إلى يسوع ، لأن ساعته لم تكن قد أتت بعد ، أراد اليهود قتله مرات عديدة ولم يقدروا ، لأنهم لم يعطوا سلطاناً فى ذلك الحين . أخذه أهل الناصرة مدينته ليطرحوه من فوق إلى أسفل ولكنه جاز فى وسطهم ومضى (لو ٤ : ٣٠) رفع اليهود الحجارة كى يرجموه ولكن أمسكت أيديهم فلم تتحرك ، وطلبوا أن يمسكوه فخرج من أيديهم (يو ٨ : ٥٩ و ١٠ : ٣٩) ولكن لما جاءت ساعته التى رسمها وعينها قال لهم : « هذه ساعتكم وسلطان الظلمة » (لو ٢٢ : ٥٣)

طلب شاول أن يميت داود ولكن لم يقدر على ذلك ، لأنه لم يعط سلطاناً من الله ، ولأن الرب لم يدفعه ليده (١ صم ٢٣ : ١٤) فلا يمكن أن تحل علينا تجربة أو يصيبنا شيء ما لم يسمح الله ويأذن به

قصد إخوة يوسف أن يهلكوه ، ولكن الله بعث به الى مصر

https://coptic-treasures.com/

لحياة كثيرين ، ولذلك قال لأخوته : الآن لا تتأسفوا ولا تغتاظوا لأنكم بعتموني الى هنا ، لأنه لاستبقاء حياة أرسلني الله قدامكم ، ليجعل لكم بقية في الأرض ويستبقي لكم نجاة عظيمة ، فالآن ليس أنتم أرسلتموني الى هنا بل الله (تك ٤٥ : ٥ و ٧) وقال أيضاً لا تخافوا لأنه هل أنا مكان الله ، أنتم قصدتم لي شراً أما الله فقصد به خيراً ، لكي يفعل كما اليوم ليحيي شعباً كثيراً (تك ٥٠ : ١٩ و ٢٠) الرب أبطل مؤامرة الأمم ، لاشى أفكار الشعوب ، أما مؤامرة الرب فالى الأبد تثبت ، أفكار قلبه إلى دور فدور (مز ٣٣ : ١٠ و ١١) في قلب الانسان أفكار كثيرة لكن مشورة الرب هي تثبت (ا م ١٩ : ٢١) إذ ليس حكمة ولا فطنة ولا مشورة تجاه الرب (ا م ٢١ : ٣٠) قال الرب رأيي يقوم وافعل كل مسرتي (أش ٤٦ : ١٠) كل ما شاء الرب صنع في السموات وفي الأرض ، وفي البحار ، وفي كل اللجج (مز ١٣٥ : ٦) وهو يفعل كما يشاء في جند السماء وسكان الأرض ولا يوجد من يمنع يده أو يقول له ماذا تفعل (دا ٤ : ٣٥)

https://coptic-treasures.com/

افعل ما تريد ، واسعَ فى مناكب الأرض كيفما شئت ، ولكن لابد أن تتم ارادةَ الله ، ومهما استخدمت من الوسائط لانفاذ مشيئتك وأبطال مشيئة الله فلابد أن تنفذ ارادته وتتم مشورته .
سأل يوسف رئيس السقاة وهو فى السجن أن يذكره أمام فرعون ، وكان من الأمور الهينة أن يخرج الله يوسف من سجنه ، ولكن الله تعالى لم يرضَ بذلك ولم يشأ خروجه إلاَّ بذلك المجد ، ليكون سيداً على أرض مصر ، لهذا نُسى يوسف وترك مسجوناً الى أن أتى زمان قدره الله لنفاذ مشيئته ليخرج بالشرف الباذخ .أرسل قيس ابنه شاولَ لينشد أتنه الضالة بعد أن فتش عنها وعبثاً حاول أن يقف على أثرها ، ولما اتجه مع شاب إلىالنبي صموئيل يسأله عنها ،كلم الله النبيّ بأنه سيرسلُ له من يملك على اسرائيل ، ذهب ليبحث عن الأتن فوجد هناك ارادة الله بأنه يملك على اسرائيل « فيا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه ، ما أبعدَ أحكامه عن الفحص ، وطرقه عن الاستقصاء ، لان من عرف فكر الرب أو من صار له مشيراً (رو ١١ : ٣٣ و ٣٤) قال الرب لان أفكارى ليست أفكاركم ولا طرقكم طرقى ،

https://coptic-treasures.com/

لانه كما علت السموات عن الأرض ، هكذا علت طرقي عن طرقكم ، وأفكاري عن أفكاركم (اش ٥٥ : ٨ و ٩)

كان شاول يسطو على الكنيسة ، وكان يدخل البيوت ويجر الرجال والنساء ، ويدفع بهم الى غياهب السجن ، ويتناول تلاميذ الرب قتلا وتهديداً ، فمضى برسائل من رئيس الكهنة ليضطهد الكنيسة ، ولكن اقتاده الرب في الطريق وأرسله لبشارة الأمم الى الإيمان (أع ١ : — ٩) أمسك شاول الملك جبة صموئيل فتمزقت بلا قصد ، ولكن ذلك كان إشعاراً بأن الله تعالى مزق منه مملكته (١ صم ١٥ : ٢٨) أخيش أخرج داود من بيته بخبثٍ وكراهةٍ من أصحابه ، ولكن الله دبر ذلك لكي بخروجه يلحق بالفلسطينيين ويحاربهم (١ صم ٢٩ : ٦) ولم يقلق الملك أحشويرش ليلاً ويقرأ في التاريخ الا بارادة الله ، ليخلص مردخاي من شر هامان (أس ٤ : ١٤) فلا يمكنك أن تعرف مقاصد الله الأزلية السامية ، ولعل ضيقاً يكون من ورائه خير عظيم ، فالأولى أن تسلم له كل شيء ليجري حسب مقاصده تعالى ، فتفوز بحراسته وعناية تدبيره ، فهو

https://coptic-treasures.com/

الرب ما يحسن في عينيه يفعله (١ صم ٣ : ١٨) واذا لم يتم أمر حسب مرادك فلا تضجر بل اشكر الله ، وقل : نعم يارب فلتكن مشيئتك لانه هكذا صارت المسرة أمامك « الق على الرب همك فهو يعولك ، لا يدع الصديق يتزعزع الى الأبد » (مز ٥٥ : ٢٢) فتواضعوا تحت يد الله القوية لكي يرفعكم في حينه ، ملقين كل همكم عليه لانه هو يعتني بكم (١ بط ٥ : ٦ و ٧)

لقد أحببتني يا يسوع إلهي بهذا المقدار ، حتى أسلمت ذاتك لأيدي القساة لأجلي ليفعلوا كما يريدون بك ، فليس بعظيم يارب إن سلمتك ذاتي تسليماً مطلقاً ، لأكون بين يديك تصنع بي ما تشاء وتفعل بي ما تريد ، انك لا تريد لي الا كل خير وسعادة ، فها أنا ذا أنسى ذاتي ، واترك نفسي لعنايتك وتدبيرك ، لتذكرني وتهتم بي وتسيرني كما تريد ، وها أنا ذا يارب أرضى بهذا البدل ، الذي لا يمكن أن يكون لي أسعد منه بشكر جزيل

https://coptic-treasures.com/

الفصل الثالث والعشرون

في الخضوع لإرادة الله في زمن الشدة أكثر من زمن الرخاء

إن أجمل تعزية تجدها في نفسك هي حين تنكر ذاتك ، وتسلمها تسليماً مطلقاً بين يدي الله ، وتتحد به اتحاد المحبة والخضوع لإرادته ، لاسيما في زمن المحنة والشدة ، انك لمحتاج كثيراً أن تروض ذاتك على هذه الفضيلة ، خصوصاً في أوقات التجارب والاوصاب ، وعند حلول المصائب والأمراض ، لتظهر محبتك لله في الشدة والرخاء ، وتكون راضياً في كلا الحالين .

إن شكر الله في زمن الرخاء والتسليات وقبول الإحسان منه تعالى أمر طبيعي ، ولكن اظهار ذلك في زمن المحنة خاص بالذين يحبونه ويتذوقون عذوبة سلوانه وتعزياته ، لان الشكر لله في مثل هذا الأوان له نغمة عذبة ، وصوت جميل في أذني الله تعالى .

https://coptic-treasures.com/

بعد ما جلد الرسل ذهبوا فرحين ، لانهم حسبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل اسم يسوع (أع ٥ : ٤١) وهذا ما جعل الرسول أن يقول « قد امتلأت تعزية وازددت فرحاً جداً في جميع ضيقاتنا » (٢ كو ٧ : ٤) «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح ، أبو الرأفة واله كل تعزية ، الذي يعزينا في كل ضيقاتنا ، حتى نستطيع أن نعزي الذين هم في كل ضيقة ، بالتعزية التي نتعزى نحن بها من الله ، لأنه كما تكثر آلام المسيح فينا كذلك بالمسيح تكثر تعزيتنا أيضاً » (٢ كو ٢ : ٣ و ٥) ألا ترى أيوب الصديق وقد حلت عليه التجارب والبلايا يتلو بعضها بعضاً : نهبت مواشيه ، وهدمت بيوته ومات أولاده وبناته ، وعمت جسده القروح والأوصاب من هامته الى أخمص قدميه ، ثم هو كان يقول : الرب أعطى والرب أخذ فليكن اسم الرب مباركاً (اى ١ : ٢١) قال الرسول « ولكن تذكروا الأيام السالفة التي فيها بعد ما أنرتم صبرتم ، على مجاهدة آلام كثيرة من جهته ، مشهورين بتعييرات وضيقات ومن جهة صائرين شركاء الذين تصرف فيهم هكذا ، لانكم رثيتم لقيودي أيضاً ،

https://coptic-treasures.com/

وقبلتم سلب أموالكم بفرح ، عالمين في أنفسكم أن لكم مالاً أفضل في السمويات وباقياً ، فلا تطرحوا ثقتكم التي لها مجازاة ، لانكم تحتاجون الى الصبر ، حتى اذا صنعتم مشيئة الله تنالون الموعد ، لانه بعد قليل جداً سيأتي الآتي ولا يبطىء » (عب ١٠ : ٣٢ — ٣٧) « حبيبي لي وأنا له الى أن يفيح النهار وتنهزم الظلال » (نش ٢ : ١٦ ، ١٧)

لتحل هذه الكلمات سويداء قلبك ، ولتفض على لسانك ، فهي كفيلة أن تفرحك وتسرك وتجعل أيام حياتك سعيدة ، وتسري عنك كل حزن ، وتحول شدائدك الى عذوبة ، بل تجعلك تستعذب الموت نفسه حباً بالله لتتمتع بحياة أكمل وأفضل . ما أجمل أن نلقي بذواتنا بطمأنينة بين يدي الله الحي ، حتى لا نشاء أن نعرف ما ذا يريد أن يفعل بنا . « أما أنا فعليك توكلت يارب قلت الهي أنت ، في يدك آجالي » (مز ٣١ : ١٤) « حولت نوحي الى رقص لي ، حللت مسحي ومنطقني فرحاً ، لكي تترنم لك روحي ولا تسكت ، يارب الهي الى الابد أحمدك » (مز ٣٠ : ١١ و ١٢)

https://coptic-treasures.com/

الفصل الرابع والعشرون

شقاء النفس الخالية من الله واستدعاء الله لانارتنا

النفس التى تخلو من نعمة الله يهجرها الرب ، ويتركها ويسلمها الى اهوائها لتفعل ما لا يرضاه ، لان الذين يتركون الله يتركهم ، والذين لم يقبلوه يرفضهم ولا يقبلهم ، بل يسلمهم الى أهواء الهوان (رو ١ : ٢٦) وإذ لم يستحسنوا أن يبقوا الله فى معرفتهم أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق (رو ١ : ٢٨) فما أشقاك وأتعسك أيتها النفس الخالية من الله ، لا يكون فيك فرح الروح ، ولا تملكين سلاماً إلى الأبد ، بل تصيرين كأورشليم حين تركها الرب ، وأكثر فى بيت يهوذا النوح والحزن ، ونزع كما من جنة مظلته . أهلك مجتمعه ، أنسى الرب فى صهيون الموسم والسبت ، ورذل بسخط غضبه الملك والكاهن ، كره السيد مذبحه ، رذل مقدسه ، حصر فى يد العدو قصورها ، أطلقوا الصوت فى بيت الرب كما فى يوم الموسم (مرا ٢ : ٥ ـ ٧)

https://coptic-treasures.com/

النفس التى لايسكنها الله تسكنها الأبالسة .وتتملكها الأهواء الدنيئة ، والشهواتُ النجسة ، والرغبات الشريرة ، تنطبع فيها صور الرجاسات على شكل دبابات وحيوان نجس مرسومة فى داخلها (حز ٨ : ٩ و ١٠) اذا خرج الروح النجس من الإنسان يجتاز فى أماكن ليس فيها ماء يطلب راحة ولا يجد ، ثم يقول ارجع إلى بيتي الذى خرجت منه ، فيأتى ويجده فارغاً مكنوساً مزيناً ، ثم يذهب ويأخذ معه سبعة أرواح أخر أشر منه ، فتدخل وتسكن هناك ، فتصير أواخر ذلك الانسان أشر من أوائله (مت ١٢ : ٤٣ — ٤٦)

إن بيتاً لا يسكنه صاحبه يمتلىء قذارة ودنســـاً ويؤول إلى الخراب ، وان أرضاً لايعنى بها فلاح تعلوها الأشواك ومآلها البوار، والسفينة التى لاربان لها ، تتلاطم بالأمواج ،وتحطمها الزوابع ،فالويل للنفس التى لايتعهدها الله ولا يسكنها ، فانها تصير مأوى للشيطان ، لأنه أية خلطة للبر والاثم ، وإية شركة للنور مع الظلمة ، وأى اتفاق للمسيح مع بليعال ، وأى نصيب للمؤمن مع غير المؤمن ، وأية

https://coptic-treasures.com/

موافقة لهيكل الله مع الأوثان (٢ كو ٦ : ١٤ و ١٥) الويل والشقاء والتعاسة لتلك النفس التي لايقودها المسيح ربها ، فأنها في بحر الخطيئة الأجاج تلاطمها أمواج الشهوات ، وتتسلط عليها الأرواح الخبيثة ونهايتها الهلاك . ويل للنفس التي لا يتعهدها المسيح باعتناء لكي يجنى منها ثمار الروح الصالحة . الويل للنفس التي ليس المسيح ربها ساكناً فيها ، فأنها تكون حينئذ مقراً موحشاً ، مملوءاً دنساً ومأوى الفساد ، ومبعثاً للاثم

ادع يسوع المسيح اليك ليأتيك ككرام صالح ليفلح نفسك ، ادعه لينزع منك حسك الخطيئة ، ويحرق بنار روحه القدوس شوك الإثم ، ويقتلع باداة حادة ما فيك من الزوان ، اتركه كي ينقي برفشه المقدس التبن ، ويدخل الحنطة إلى أهرائه الممجد ومخزنه السعيد ، دعه يغرس في بستان نفسك أجمل الأزهار الشهية وأسمى الفضائل الروحية ، فتثمر لك الأثمار الصالحة

الابتعاد عن الرب يملؤنا ظلاماً ، ويبعدنا عن النعمة . الخطيئة ظلام يحجب عنا رؤية الله ، وتحول بيننا وبين الملائكة

https://coptic-treasures.com/

المقربين ، فهى كالظلام الذى ضُربت به مصر، فلم يقدر الأنسان أن يرى صاحبه » ، « لا تشتركوا في أعمـال الظلمة غير المثمرة بل بالحري وبخوها ، لـكن الـكل إذا توبخ يظهربالنور، لأن كل ما أظهر فهو نور ، لذلك يقول استيقظ أيها النائم وقم من الأموات فيضيء لك المسيح » (اف ٥ : ١١ ـ ١٤) إن فينا عيوناً وآذاناً داخلية ، غيرَ الحواسّ الظاهرة ، فتى استنرنا بنور الله رأينا بحواسنا الداخلية النورَ الإلهيّ والعريس المشتهى يسوع المسيح ،وسمعنا كلامه العذب فى غير دوىّ ولا صوت ولا حركة ولا ضجيج ، فبسكون الروح والركون إلى الله تتلذذ به فى الداخل ، ويعزيك صوته الحلو ، تعزيات شافية لا تخطر على بال

https://coptic-treasures.com/

الفصل الخامس والعشرون

تجديد القلب وانطباع صورة الله فيه

قال بولس الرسول « لا تشاكلوا هذا الدهر بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم لتختبروا ما هى ارادة الله الصالحة المرضية الكاملة » (رو ١٢ : ٢) « مستنيرة عيون أذهانكم لتعلموا ما هو رجاء دعوته وما هو غنى مجد ميراثه فى القديسين » (اف ١ : ١٨) « وأن تخلعوا من جهة التصرف السابق الانسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور ، وتتجددوا بروح ذهنكم ، وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله فى البر وقداسة الحق » (اف ٤ : ٢٢ ـ ٢٤) « إذ خلعتم الانسان العتيق مع أعماله ، ولبستم الجديد الذى يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه » (كو ٣ : ٩ و ١٠) « لتسلكوا كما يحق للرب فى كل رضى ، مثمرين فى كل عمل صالح ، ونامين فى معرفة الله » (كو ١ : ١٠)

https://coptic-treasures.com/

إننا بطبيعتنا التي فطرنا عليها وورثناها من أبينا آدم ، لا نجدُ فى أنفسنا سوى فسادٍ عميق ، وطبيعة نزّاعة الى الشر ، ولا تزال جرثومةُ الاثم عالقةً بقلوبنا ، ولا نستطيع أن نستشعر النعمةَ ، ونتحدَ بالله إلا إذا جانبنا تصرفاتنا فى الانسان العتيق ورفضناها . واستنارت بصائرنا في الداخل ، وتحولنا تماماً عن شكلنا الحاضر . فالتمس من الله أن يغيرَك ويصلح قلبك وأفكارك وميولك وأحوالك ، وهو قادر أن يغير كل ما فيك . ومتى تغيرت وتجددت وولدت من الله ولادة جديدة ، حينئذ تصير إنساناً جديداً ، له عقل جديد ، ونفس جديدة ، وارادة جديدة ، له عيون جديدة ، وأذان جديدة ، وحواس جديدة ، لأننا متنا عن العالم وحياتنا مستترة مع المسيح في الله (كو ٣ : ٣) الدرهم مالم يكن منقوشاً عليه صورة الملك فهو زائف ، فكذلك النفس ما لم تطبع عليها صورة الله ، لا يمكن أن تقبل فى الحظيرة الالهية ، ولن تستطيعَ أن تتكىءَ فى الوليمة السماوية . الطير متى ارتفع الى العلو لا يخاف الصياد ولا يهاب شباكه،لأنه أصبح فى مأمن منه ، كذلك النفسُ المرتفعة بأجنحة النعمة تستريح فى الله ولا تخشى فخاخ الشر ، لارتفاعها واتحادها مع الله .

https://coptic-treasures.com/

فاتحد به وارتفعْ فوق ذاتك ، وأدِم نظـرَك إلى يسوع ، واترك الأهواء والشهواتِ ، ولتكـن كلُّ حياتك ثباتاً واتحاداً فى المسيح .

إذا أطلت النظر إلى صورة ما ، فانها تنطبعُ فى مخيلتك وترتسم فى ذهنك ، فـكذلك ترتسم صورة الله فيك ، وتنقش فى نفسك إذا ما وجهت نظرك إلى يسوع ، فاحمل يسوع في قلبك فتسير فى أمان واطمئنان ، وتنالَ حرية الروح ، وتحصل على تمام الثقة . النعام عند ما يبيض إذا لم يتطلع ويُدِمْ نظره إلى بيضه يفسـد ، وأنت إن لم تنظر إلى يسوع لا تنلْ خيراً ولا تُجدِكَ عبادتك نفعاً . النار عندما تمس الحديد تُلين صلابته ، فـكذلك أنت عندما تمسك رحمة الرب يسوع تصيرك ليناً قابلاً للنعمة ، فارفض كلَّ شهواتك السابقة واخلع الانسانَ العتيق وكل شهوات العالم ، لتولد ولادة جديدة ، وتحيا حياة جديدة للبر .

الفصل السادس والعشرون

بر يسوع يجب أن نلبسه

قال الرسول « البسوا الرب يسوع » (رو ١٣ : ١٤) « وإن كنا لابسين لانوجد عراة » (٢ كو ٥ : ٣) وقال الرب : « ها أنا آتى كلص ، طوبى لمن يسهر ويحفظ ثيابه لئلا يمشى عرياناً فيروا عورته» (رؤ ١٦ : ١٥) «لنفرح ونتهلل ونعطه المجد لأن عرس الخروف قد جاء ، وامرأته هيأت نفسها ، وأعطيت أن تلبس بزاً نقياً بهياً ، لأن البز هو تبررات القديسين» (رؤ ١٩ : ٧و٨)

لاتظن أنك فى غنى ، بل أنت محتاجٌ إلى ما تلبسُه دائماً كى لا تظهرَ عورتك ، فما هو هذا اللباس ياترى ؟ إنه بر يسوع ، تلبسه وتظهرُ به فى القضاء فلا يظهر عليك شىء من الدينونة . يعقوبُ لما أراد أن يأخذ البركة من أبيه لبس ملابس أخيه عيسو ، فلم يعرفه أبوه وأعطاه بركة البكورية ، وأنت فى ذاتك لا تستحق من الله شيئاً ، ولكن متى كنت لابساً لباس البر يسوع المسيح ، فيعرف

https://coptic-treasures.com/

الآب السماوي أنك من أولاده الوارثين مع ابنه المفديين بدمه ، ان يسوع ينصحك قائلا لك : «انك تقول انى أنا غنى وقد استغنيت ، ولا حاجة لى إلى شيء ، ولست تعلم أنك الشقى البائس وفقير وأعمى وعريان ، أشير عليك أن تشترى مني ذهبـــاً مصفى بالنار لـكى تستغنى ، وثياباً بيضاً لـكى تلبس ، فلا يظهر خزى عريك ، وكحل عينيك بكحل لـكي تبصر» (رؤ ٣ : ١٧ و ١٨) البر هو يسوع ، فأنت عريان إن لم تلبسه بالحق والقوة ، ولا بد أن تنـكشفُ عورتك فيحلّ بك الخزى والفضيحةُ والعار . آدم لما تعرى من النعمـة رأى نفسه عرياناً وخجل من نفسه (تك ٣ : ٨) ليت شعري ماذا يحدث لتلك النفوس العارية عن لباس البر الروحانى ؟ انه ليحيق بها الخزى وتـكون فى مذلة لا توصف ، ولا يستطيعُ ورق التين أن يسترها كما فعل آدم ، فليس هناك غطاء أو كساء تستتر به سوى اللباس الأبيض من المسيح ، ففيه المجد الفائق وهو بر القديسين الذي هو يسوع « الرب برنا »

https://coptic-treasures.com/

لا تكن كالفريسيين الذين يتكلون على برهم الذاتى ، لأنه إن لم يزد بركم على الكتبةِ والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السموات (مت ٥ : ٢٠) بل انظر إلى بر الله اعنى يسوع المسيح الذى صارلنا حكمة وبراً وفداء (١ كو ١ : ٣٠) لأن بنى اسرائيل إذ كانوا يجهلون بر الله ويطلبون أن يثبتوا بر أنفسهم ، لم يخضعوا لبر الله ، لأن غاية الناموس هى المسيح للبر لكل من يؤمن (رو ١٠ : ٣ و ٤) فابتهل وتوسل إلى الرب أن يلبسك لباس الخلاص يسوع المسيح الذي يحيي أجسادنا بروحه الساكن فينا (رو ٨ : ١١) المرأة النازفة الدم لما رأت أن مرضها أعيا الأطباء ، ذهبت إلى يسوع ولمست هدب ثوبه فشفيت من دائها ، وأنت لن تبرأ من مرضك ، ويستر عورتك ، إن لم تأت وتقترب من يسوع ، دعه يلمسك تشفَ من مرضك ، ويلتئم جرحك ، وتلبس ثوب الشفاء والعافية . لم يقدر الآباءُ ولا الأنبياءُ ، ولا الناموسَ ولا موسى ، ولا الكهنة ، ولا كل فروض التطهير ، ولا الذبائحُ ولا المحرَقاتُ

https://coptic-treasures.com/

على شفاء الإنسان وتطهيره من الخطيئة ، ولـكن يسوعَ وحده قد شفانا من دائها وأنقذنا من أوصابها ، لأنه هو الطبيب الروحي الذي شفى النفوس بدمه المسفوك ، إذ هو حمل الله الرافع خطايا العالم ، والذي حرر النفسَ من عبوديتها ، وأطلقها حرةً من سجنها ، وأخرجها من الظلام الدامس إلى النور الحقيقي . ستظل بعيداً عن البر إن ظننت أن البر فيك وليس في يسوع ، وستستمر مريضاً شقياً عرياناً ، إن تطلبت دواءً من العالم أو من نفسك ولم تطلبه من معطيه وهو الله وحده

الفصل السابع والعشرون

حضور الله فى قلوب قديسيه

قال الرب « ها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر » (مت ٢٨ : ٢٠) « لا أترككم يتامى أنا آتى اليكم ، الذى عنده وصاياى ويحفظها فهو الذي يحبنى ، والذى يحبنى يحبه أبى وأنا أحبه وأظهر له ذاتى ، إن أحبنى أحد يحفظ كلامي ، ويحبه أبى واليه نأتى وعنده نصنع منزلاً » (يو ١٤ : ١٨ و ٢١ و ٢٣) « ها أنا ذا واقف على الباب واقرع إن سمع أحد صوتى وفتح الباب أدخل اليه وأتعشى معه وهو معى » (رؤ ٣ : ٢٠)

وجه أشواق قلبك ورغبات نفسك نحو الله ، فيميل اليك ويتمثل فى فؤادك ويكون معك، أحبه وأحفظ وصاياه فيحبك ويمكث معك حسب وعده ، إن حضور الرب فى قلوب قديسيه هو عربون سعادة القديسين وبداءة أفراحهم ، فيحضر فى قلوبهم فى هذه الحياة ، ليذوقوا سلوانه وعذوبته ، إلى أن يحوزوا

https://coptic-treasures.com/

المشـاهدة وكمال المعاينة فى السماء حين يرونه وجها لوجه (١ كو ١٣ : ١٢)

الله موجود في كل مكان ، فى البر والبحر ، فى السماء والأرض ، ولا يخلو منه مكان ، وهو من كل شيء قريب ، لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد (اع ١٧ : ٢٨) فهو أمامك ، وحاضر معك ، وناظر إلى كل أعمالك ويراقبـــك . تأمل أثره فى خليقته ، ومتى عرفت أن الله حاضر عندك وأمامك كل حين ، تؤدِ كل أعمالك بنشاط وترتيب ونظام ، ومن ذا الذى يقـدر أن يتوانى ويكسلَ لدي حضرة سيده ولا يفعل أفعاله جاداً أمام مولاه ؟

أى خجل يشملني وأى خزى يحيق بى يا إلهى ، عند ما أتيقن انك ناظر إلىّ ومطلع على كل ما فى داخلى ، الا فاجعلنى نشيطاً مجتهداً وعفيفاً مستقيماً ، لأنى في حضرتك وجميع ما فىّ مكشوف أمامك « جعلت الرب أمامي فى كل حين ، لأنه عن يمينى فـلا أتزعزع ، لذلك فرح قلبي وابتهجت روحى ، جسدى أيضاً يسكن مطمئنا » (مز ١٦ : ٨ و ٩)

https://coptic-treasures.com/

من يحفظك أو من يضبطك إن كنت لا تؤمن أن الرب حاضر عندك ومعك ، « لقد ضـل الأئمة وطغوا لأن الله ليس أمامهم ، الأشرار يرجعون إلى الهاوية ، كل الأمم الناسين الله » (مز ٩ : ١٧) قال الرب : «أنا الله القدير سر أمامى وكن كاملاً فاجعل عهدي بيني وبينك » (تك ١٧ : ٧) ها أنا يارب بين يديك ، وفى حضرتك ، إلى من فذهب ، كلام الحياة الأبدية عندك (يو ٦ : ٦٨)

الله لا ينساك أبداً ، فلماذا تعمل على أن تنساه ، هو لا يكف عن طلبك ، فلمَ تهرُب منه ولا تأتي اليه ، إنّ معاشرته لذيذة ، وحضورَه مستطاب ، ومفرح مبهج ، فلماذا لاتسرولاترضىمعاشرته، فى كل دقيقة أنت متمتع بخيراته ، وفى كل لحظة تهطل عليك نعمه وتفيض بركاته ، فكيف تدع خيالك يخلو منه ، ليكن فى عقلك وفى فكرك ، وفى شعورك ، ليـكن أمامك فى خروجك وفى دخولك ، ليكن على يمينك وعلى يسارك ، وفي كل جهة من جهاتك ، ليكن فى عينيك عندما تنظر ، وفى فمك حين تتكلم ، وفى كل حواسك حين تحس ، ليكن فى قلب كل من تكلمه ، وفى لسان

https://coptic-treasures.com/

كل من يكلمك ، وفى عين كل من ينظر إليك ، ليكن معك فى شغلك ليقويك ، وفى نومك ليحرسك .

أبرز من قلبك زفرات الشوق الحارة ، وأنين التنهدات العميقة المتواصلة الصادرة من فعل المحبة وحركات العواطف اللينة ، فتكون لك بمنزلة أجنحة تطير بها إلى الله ، وتزداد إليه قرباً واتصالاً ، فيحيا قلبك به ، وتشعر بحضوره واتحاده معك فى الباطن ، اتحاداً خفياً يفوق تصور العقول والألباب .

https://coptic-treasures.com/

الفصل الثامن العشرون

نصائح لطلب الحكمة

اطلب الحكمة وأحبها ، وابتغ رضاها والتمس مشورتها وارادتها ، افرح بأن تتخذها عروساً لنفسك ، فتهبك سروراً ، وتملأك سلواناً ، وتمنحك عزاءها الروحى ، هناك تجد فى القرب منها مجداً لا يضمحل ، وسروراً لا يفنى ، وعذوبة لا توصف ، لا تجد أحسن منها ، ولا ألذ من حديثها ، فيها الفضائل والخيرات ، فاتخذها قرينة لحياتك فتزيل عنك الهم والكرب ، ملكها على فؤادك فتشبعه سروراً ولذة ، ولتكن مشيرة لك لتهديك طريقاً مستقيماً وسبيلاً أمينا ، اجعلها رفيقةً لك ، فتعزيك وتنزع اكتئابك ، فلا يستولى عليك الغم ، بل تكون هي ينبوع أفراح لنفسك ، لأن فى مصافاتها ومعاشرتها لذةً وسعادةً ، وليس فى مصاحبتها مرارة ، بل فيها سرور وفرح . سر معها ، وأحبها فتصونك ، لأن فى قربك إليها حياةً سرمدية ، وسعادة

https://coptic-treasures.com/

لا تنتهى ، وفى مؤانستها فطنة وفخراً ، وفى صوتها عذوبة ورقة ولطفاً ، اتبعها واسلك طريقها ، واسمع ارشادها فتحفظك ، رافقها فى شبابك لتدوم معك فى مشيبك

« طوبى للانسان الذى يجد الحكمة وللرجل الذي يجد الفهم ، لأن تجارتها خير من تجارة الفضة وربحها خير من الذهب الخالص ، أثمن من اللآليء وكل جواهرك لا تساويها ، فى يمينها طول أيام وفى يسارها الغنى والمجد ، طرقها طرق نعم وكل مسالكها سلام ، هى شجرة حياة لممسكيها والمتمسك بها مغبوط» (ا م ٣ : ١٣ - ٢٠)
« يا ابنى إن قبلت كلامى وخبأت وصاياي عندك ، حتى تميل أذنك إلى الحكمة وتعطف قلبك إلى الفهم ، إن دعوت المعرفة ورفعت صوتك إلى الفهم ، إن طلبتها كالفضة وبحثت عنها كالكنوز ، فحينئذ تفهم مخافة الرب وتجد معرفة الله ، لأن الرب يعطى حكمة من فم المعرفة والفهم» (ا م ٢ : ١ - ١٦) « إذا دخلت الحكمة قلبك ولذت المعرفة لنفسك . فالعقل يحفظك والفهم ينصرك ،

https://coptic-treasures.com/

لانقاذك من طريق الشرير ومن الإنسان المتكلم بالأكاذيب ، التاركين سبل الاستقامة للسلوك في مسالك الظلمة » (ام ٢ : ١٠ـ ١٣) « خذوا تأديبي لا الفضة والمعرفة أكثر من الذهب المختار، لأن الحكمة خير من اللآلىء وكل الجواهر لا تساويها ، أنا الحكمة أسكن الذكاء وأجد معرفة التدابير ، مخافة الرب بغض الشر ، الكبرياء والتعاظم طريق الشر وفم الأكاذيب أبغضت ، لى المشورة والرأى أنا الفهم لى القدرة ، بى تملك الملوك وتقضى العظماء عدلاً ، بى تترأس الرؤساء والشرفاء ، كل قضاة الارض ، أنا أحب الذين يحبوننى والذين يبكرون إلىّ يجدوننى ، عندي الغنى والكرامة ، قنية فاخرة وحظ ، ثمرى خير من الذهب ومن الابريز ، وغلتى خير من الفضة المختارة ، فى طريق العدل أتمشى في وسط سبل الحق ، فأورث محبىّ رزقاً واملأ خزائنهم ، طوبى للانسان الذى يسمع لى ساهراً كل يوم عند مصاريعى حافظاً قوائم أبوابى ، لأن من يجدنى يجد الحياة وينال رضى من عند الرب » (ام ٨ : ١٠ — ٢١ و ٣٤ و ٣٥) قال الرب : «لايفتخرن الحكيم بحكمته،

https://coptic-treasures.com/

ولا يفتخر الجبار بجبروته ، ولا يفتخر الغنى بغناه ، بل بهذا ليفتخرنّ المفتخر، بأنه يفهم ويعرفنى إنى أنا الرب الصانع رحمةً وقضاءً وعدلاً فى الأرض ، لأنى بهذا أسر يقول الرب» (ار ٩ :٢٣و٢٤) «هوذا مخافة الرب هى الحكمة ، والحيدان عن الشرهو الفهم» (أى٢٨:٢٨)

الفصل التاسع والعشرون

مخافة الرب

الجيش كله يخرج إلى الحرب ، وليس كل رجاله شجعاناً ، كذلك نرى الكثير يؤمنون بالله ، ولكن ليسوا جميعاً يتقونه ويعرفون عبادتة حق المعرفة ، وفى وقت التجربة يظهر اختبارهم ويصير امتحانهم وثبات إيمانهم . اتق الرب واحفظ وصاياه ، فتجد نعمة وفطنة عند الله والناس ، مخافة الرب ينبوع حكمة للحيدان عن الشر ، مخافة الرب تثبت العقلَ وتصون النفس ، وخشيةُ الرب

https://coptic-treasures.com/

تجعلُ كل تصرف الإنسان حسناً ، وتدَبر كلَّ احواله بحكمة .
مخافة الرب رأس الحكمة وهي تبيد كل شر ، وتستأصل كل ألم وتبيد كل شهوة رديئة ، وتملأُ النفس فرحاً ، وتهدى الي طرق السلام . مخافة الرب نور يرشد إلى الخلاص . خشية الرب مدينة حصينة وملجأ أمين ، اخشَ الرب فلا تتعرقل خطواتك ، وحتى لو سلكت في النار لاتلسعك أو فى الليب لايحرقك . « فى مخافة الرب ثقة شديدة ويكون لبنيه ملجأ ، مخافة الرب ينبوع حياة للحيدان عن أشراك الموت » (ام ١٤ : ٢٦ و ٢٧) « طوبى للرجل المتقي الرب ، المسرور جداً بوصاياه ، نسله يكون قوياً فى الأرض ، جيل المستقيمين يبارك ، رغد وغنى فى بيته ، وبره قائم إلى الأبد ، نور أشرق فى الظلمة للمستقيمين ، سعيد هو الرجل الذي يترأف ويقرض ، يدبر أموره بالحق ، لانه لايتزعزع إلى الدهر ، الصديق يكون لذكر أبدى لا يخشى من خبر سوء ، قلبه ثابت ، متكلاً على الرب ، قلبه ممكن فلا يخاف ، حتى يرى بمضايقيه ، قرنه ينتصب بالمجد » (مز ١١٢ : ١ — ٩)

https://coptic-treasures.com/

أيها الحبيب أثبت على البر والتقوى ومخافة الرب ، وأبعد قلبك عن الشر ، لأن السلام لايوجد إلا فى مخافة الله ، اتقِ الرب وهو ينجيك ، احفظ طرقه ، وأثبت فى سننه وهو يخرج لنصرتك ؛ انتظر رحمته ، آمن به فلا تخزى ، أرجهُ وحده وهو يسبحُ طرقك ، ان أتقياءَ الرب ينقذهُم فى يوم التجربة ، وينصرهم ويخلصهم فى ساعة الشدة ، وينجى نفوسهم من الضيق . سلم للرب طريقك وهيىء للرب نفسك لعمل مسرته ، ومهما يصيبك اصبر له ، وارتض مرضاته ، وسر برضوانه لأن رحمته على خائفيه ، « ملاك الرب حال حول خائفيه وينجيهم . ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب ، طوبى للرجل المتوكل عليه . اتقوا الرب ياقديسيه لأنه ليس عوز لمتقيه ، الأشبال احتاجت وجاعت ، وأما طالبوا الرب فلا يعوزهم شىء من الخير » (مز ٣٤ : ٧ — ١٠) قال سليمان الحكيم « فلنسمع ختام الأمر كله اتقِ الله واحفظ وصاياه لأن هذا هو الإنسان كله » (جا ١٢ : ١٣) « هلم أيها البنون استمعوا إلىّ فأعلمكم مخافة الرب ، من هو الإنسان الذى يهوى الحياة ، ويحب كثرة الأيام ليرى خيراً ، صن لسانك عن الشر ، وشفتيك عن التكلم بالغش ،

https://coptic-treasures.com/

حد عن الشر واصنع الخير ، اطلب السلامة واسـعَ وراءها »
(مز ٣٤ : ١١ — ١٤)

الفصل الثلاثون

ابتغاء الفضيلة والرغبة فيها

قبل أن تسير فى طريق الفضيلة ، ينبغى أن تمتلىء شوقاً بها وتشتهى السلوك فيها ، اتبعْ كلّ ما من شأنه أن يرقى في الكمال المسيحى ، ومارسْ على الدوام رياضات الفضيلة ، واجتهدْ فى النمو فى النعمة حسب النعمة المعطاة لك من الله ، لا يكفيك أن تبتغىَ الفضيلةَ ابتغاءً ، وتلتمسها التماساً ، بل يجبُ أن تجوعَ وتعطشَ وتتجه إليها برغبة صادقة .

إن النفسَ التائقة إلى الله ، المشتاقة إلى النمو فى النعمة ، هي السائرة فى طريق الكمال ، وهذا الشوق دليل على أن الله ساكن فيها ، يضرم فيها هذه الجذوة . فاذا شعرت فى داخلك بحركة

https://coptic-treasures.com/

تدفعك نحو الفضيلةِ وتحببُك لاكتساب النعمة ، فلا تطفئها بتراخيك ، بل أضرمْها ، لأنها صادرة من الروح القدس ، فيظل هذا الشعور الذى فيك نامياً ويثمرُ لك ثمار البرّ والنعمة ، ويكون كانبلاج الصبح لايبرح مشرقاً من نور إلى نور حتى يشرق ضوء النهارفى قلبك ، وأما إن أهملته فيكون كنوز المساء لايبرح متناقصاً شيئاً فشيئاً ، حتى يصير ظلام وقتام

ما أحلى الفضيلةَ لمبتغيها ، وما ألذّها للمتأمل فيها ، فمتى ذقت لذةَ النعمةِ لا تستطبْ بعدها لذة ، ولا تنسى حلاوتها مدى حياتك ، فحارب اللذاتِ التى تستميلك إلى الخطأ ، واعلم أنها وقتية لا تخلف لك إلا غماً وحزناً دائمين ، وأحب الفضيلةَ والخير فانهما يفيضان على النفس فرحاً دائماً وسروراً باقياً ، واجعل نصبَ عينيك ثواب الفضيلةَ الممدوحة ، وعقابَ الرذيلة الممقوتة . تمثل فى عقلك عدلَ الله تعالى ، واحفظ قلبك طاهراً ، وكن مرآة نقيةً للكمال . لا يكفى أن تكونَ نفسُك خالية من كل خطأ ، بل زينها بأنواع الفضائل ، لتكون كصورة جود الله وكماله ، وليكن

https://coptic-treasures.com/

الله أمام عينيــــك كلّ وقت وحين .

الفصل الحادى والثلاثون

التقدم والنمو فى الفضيلة والثبات عليهـا

احرصْ أيها الحبيب على جذوةِ النعمة فى قلبـك ، وأضرِم لهيبَ محبة الفضيلة بحرارة الروح ، ولتشتعل ولتتأجج هذه النارُ المقدسةُ فى كل عواطفك . تقـدم ولا تجزع ، وسر ولاتفتر ولا تهنْ قوتُك ، ضع يدك على المحراث ولا تلتفت إلى الوراء (لو ٩ : ٦٢) تقـــــدم إلى قدام ، ولا تنظر وراءك ، لأنك إن التفت إلى الوراء تنسَ ما هو قدامك فتزل قدمك ، وعدم تقدمك دليلٌ على تأخرك ، مالم تمشِ فأنت واقف ، احذر الوقوف وعـدم التقدم ، وإذا كنت فى ذاتك متحلياً بفضائل كثيرة كأن لاتـكذب ، ولا تسرق ، ولاتقتلَ ،ولاتشتهى،وأمثال ذلك وأنت غيرُ متقدم فى النمو، فى النعمة ، فلا تنخدعْ وتطمئن على ذاتك ، لئلا يفقـدك هذا

https://coptic-treasures.com/

الاهمال ما حصلته ، ويمنعك عن النمو ، فاجتهد وسر في طريق الفضيلة ولا تقف فى مكانك ، وقل مع الرسول : « ليس أنى قد نلت أو صرت كاملاً ، ولكنى أسعى لعلى أدرك الذى لأجله أدركنى أيضاً المسيح يسوع ، أيها الاخوة أنا لست أحسب نفسى أنى قد أدركت ، ولكنى أفعل شيئاً واحداً ، إذ أنا أنسى ما هو وراء ، وامتد إلى ما هو قدام ، نحو الغرض ، لأجل جعالة دعوة الله العليا فى المسيح يسوع » (فى ٣ : ١٢ — ١٤)

سر على هذا المبدأ ، واعلم أن من لم يتقدم فى كل ساعة يتأخر فى كل دقيقة ، ومن لا ينمو يضعف ، ومن لم يسرْ إلى الأمام يرجعُ إلى الوراء ، فاحذرْ من الشر لئلا تكونَ سقيماً ضعيفاً غير قابل للنمو ، واحترس لئلا تكون كشجرة نخرة لا تخرج أغصاناً باسقة وأزهاراً ناضرة ، فحيث لا حركة ولا نمو هناك سكون وموت ، وحيث لا تقدم هناك تأخر ، وحيث لا ارتفاع ولا صعود ، هناك هبوط وسقوط ، فمن لا يربح يخسر ، ومن لا يزدادُ حكمة يزداد جهالة ، وإذا لم تتحرك أعضاؤنا ضعفت وعجزت .

https://coptic-treasures.com/

كن كشجرة مغروسة عند مجارى المياه ، تنمو وتزهر وتثمر وتمتد فروعها إلى السماء ، ولا تكن كخشبة يابســـة ملقاة على الأرض تجف وتيبس ولاتصلح إلا وقوداً للنيران،إحى لله وبالله وفى الله لتنموَ في كل فضيلة ونعمة ، ودع عنك التراخيَ والاهمال والكسل ، وسر وتقدم فى طريق الكمال ، لنزداد رسوخُك وثباتك فى الحق ، وان كانت محبتُك للفضيلة كشرارة صغيرة فصلّ واجتهد كى تكون لهيباً مضطرماً وناراً متأججة ، وتقدم إلى ينابيع النعمة وارتوِ من الحياة الروحية فيها ، وغذّ نفسك بغذاء الكلمة المقدسة ، لترتفعَ نفسك إلى العلا بالصلاة ، ولنزداد نموك فى الكمال والفضيلة . التصق بالرب واتحدْ به ولتمتد أغصانُك ، وتتأصلْ جذورك فى أصل كرمة الحق يسوع المسيح ، وليدمْ ثباتُك . انمُ ولو قليلاً ، فان القليل يكون كثيراً على توالى الأيام والسنين

الحكيم الذي يبتغى الكمال ، ويريدُ النموّ فى النعمة ، يتجه دائماً إلى فوق ، ويتطلع إلى السمو فى الفضيلة والنعمة ، ويشيد فى

https://coptic-treasures.com/

قلبه مصاعد يرتفع بها إلى الكمال ، ويرتقى بسببها إلى الله ، أما المتوانى ففى حاله انحدار وانخفاض ، وطريق للنزول إلى الهاوية ، ليكنْ نصب عينيك التقدمُ إلى الأمام ، لا تنظر ، إلى ما عملت ، بل إلى ما ينقصك ، ولا تلتفت إلى ما أنت فيه ، بل إلى ما ستصير اليه . إن التفتَّ إلى ما عملت ، داخلك الصلف والافتخار ، وانهدم مابنيت ،وكنت مثل الفريسى الذى نظر إلى فضائله ، ونسي خطاياه ، فلم يحصل على التبرير . كن كمسافر نشيط ، لا تنتبه إلى كم مرحلة قطعت فى طريقك ، بل فكر فى كم من المسافة بقي عليك أن تقطعها فى مسيرك ، ولا تهمَّك المسافة التى سرتها ، بل ما بقى لوصولك الى النقطة المرغوبة ، واذا كانت مطامعُ أهل الدنيا لا تقف عند احصاءِ الربح ، وحشد الأموال الباطلة ، فهل يليقُ بك أن تقف ظاناً أنك أدَّخرت لحياتك الروحية مئونة كافية ، اغتنم الفرص وتحينها ، ولا تضيع وقتاً يمكنك أن تحصل فيه على نعمة ، أو تزداد نمواً فى الفضيلة ، لأنك ستحاسب على كل فرصةٍ ضيعتها ، فلا تدع الأيام تمضى وأنت متخاذل متوان ، بل صارع الأيام كما تصارعك ،

https://coptic-treasures.com/

وكافحها حسبما تكافحك ، وجاهدْ لتفوز باكليل الغلبة والنصرة ، ولا تكتف بأن تطير شوقاً إلى الفضيلة وترفرف حول أنهار النعمة ، بل ينبغى أن تنزل اليها وتغوص فيها ، فلا يليق بك أن تأتى الى الأسوار ولا تدخل الى المدينة ، وعارٌ عليك أن تبحث عن الطريق ثم لا تسير فيها ، وتصل الى الغاية التى تبتغيها ، لا تدفن الوزنة وتضعها فى الحفرة ، بل تاجر واربح ، لأن صاحبهـا يريد الربح لا الخسارة (مت ٢٥ : ١٤ — ٣٠)

أثبتْ في الفضيلة وداوم عليها . فكثيرون يبتدئون فى الفضيلة ، ولكن ليس الجميع يثبتون ، وينتهون الى العاقبة الحسنى.لما خرج بنو اسرائيل من أرض مصر كانوا أكثر من ستمائة ألف نفس ، ولكن لم يدخل أرض الموعد سوى اثنين فقط (عد ١٤ : ٣٠)

اذا بنيت بيتاً فليست الصعوبة فى وضع الأساس ، بل فى إقامة البنيانِ وإتمام العمل ، اذ ليس العبرة فى الابتداء ، بل الجزاء دائماً على النهاية ، «من يصبر الى المنتهى فهذا يخلص» (مت ٢٤ : ١٢) بولس الرسول ابتدأ رديئاً ، ولكنَّ نهايته كانت حسنةً ، ويهوذا

https://coptic-treasures.com/

ابتدأ حسناً ، ولكن نهايته كانت شريرة . والسلم الذى رآه يعقوب لم يكن الله جالساً فى أوله ولا فى وسطه ، بل فى آخره ، وأنت لا تسأل ولا تدان عن البداءة ، بل عن الختام والنهاية

الفصل الثانى والثلاثون

نصائح لتقويم الأعمال فى الفضيلة

لا تدع يوماً يمر دون أن تفيد أو تستفيد فيه شيئاً روحياً ، أو تروض ذاتك برياضات التقوى ، فلا تهمل الصلاة يوماً ما ، ولا تترك التأمل في الكتاب المقدس وقراءة كتب التقوى ، ولا تتأخر عن الحضور الى الكنيسة وسماع القداس الإلهى ، وقف فى الكنيسة بخشوع كأنك فى حضرة الرب ، واحذر من أن تصنع أعمالك جرياً على سنة العادة ، بل أحي فى ذاتك روح الخشوع ، واجتهد فى عملك وافعل كل ما فى وسعك فعله ، وإنعم النظر فيما تفعل لتتقنه ،

https://coptic-treasures.com/

ومتى عملت عملاً فليكن عندك كآخر ما تعمله فى حياتك ، لأنك لاتدرى ما يخبئه لك الغد ، فمتى أشرقت الشمس فتصور أن الليل قد لا يقبل اليك ، وانْ غربت الشمسُ فتصور أنهـــا قد تكون الليلة الأخيرة من حياتك ، لأن الزمان ليس تحت سلطانك، والأمور ليست دائماً فى متناولك . كن أميناً فى أشغالك كأنك تؤديها لأجل الله ولمجده تعالى ، لا ترتكب ذنباً أو زلةً ، ولو كانت طفيفةً ، بل كن منتبهاً حذراً فى كل شيء ، واحترس من الصغائر واخشها كما تخشى الكبائر . وتعوّد أن تمارس كل واجباتك ممارسة حسنة . واجتهد أن تقلع جذور الرذائل من نفسك قبل أن تتأصل فيها ، فالخطايا كلما كبرت استعصى استئصالها ، والعادة متى تمكنت صعب النزوع عنها ، فالعشبُ الصغير سهل اقتلاعه ، أما الشجرة الضاربة فى الأرض فصعب نزعها . إن لم تقاوم الرذيلة فى بدايتها ، فكيف تطمعُ فى مقاومتها بعد تمكنها ، وإن كنت لا تقدر على محاربة عدوك وهو صـــغير ضعيف ، فكيف تستطيع مغالبته ومنازلته وهو أسد مفترس

https://coptic-treasures.com/

اضبط حواسك وتصوراتك وعقلك ، وروضها على أعمال الفضيلة . لتترفع نفسك عن الدنايا وإتيان الرذيلة ، وتخير الموت عن أن تأتى أمراً دنساً يهين الله ولتسكن طهارة القلب وسلامة النية سجيتين فيك ورائدين لك في كل أعمالك وتصرفاتك . عاشر الأتقياء والورعين ، وخالط أهل الفضل والكمال . وتأمل فى نفسك دائماً واستوعب مزايا كل فضيلة . لتحبها حباً شديداً ، وتتعشقها عشقاً مفرطاً وتصبو إليها دائماً . لا تسمح لخيالك أن يمر به فكر دنس ، بل اطرده حالاً بالتأمل المقدس واجعل يسوع وحياته دائماً نصب عينيك . وأخضع وثبات الجسد الشريرة ، وألجم آلامه ، واشغل جل أوقاتك بالأعمال النافعة ، وابتعد عن كل ما يثير عواطفك وأميالك الكامنة ، ويحرك فيك الهياج والاضطرام . ابحث عما يعوقك عن طريق الفضيلة وذلله بسرعة وأفحص نفسك دائماً ، وفتش ضميرك كل يوم ، ودرب ذاتك على تمييز الأفعال وتبين أسبابها ونتائجها . وليشعر قلبك بالفرح حين تعمل الخير ، واكره الرذيلة وامقتها ، واسع فى اقتلاعها من الآخرين

https://coptic-treasures.com/

وكن ذا غيرة للفضيلة ، وليمتلىء قلبك بالرغبة في انتشارها وامتداد فروعها . واخضع ذاتك لحقائق الإيمان ، واحترمها من كل قلبك ، وافتح فؤادك لقبول وصاياها اللذيذة ، واكرز بها للآخرين كوسائط وحيدة لراحة الإنسان في هاته الحياة ، والحياةِ الأخرى العتيدة الأبدية .

الفصل الثالث والثلاثون

النظر إلى سيرة القديسين والاقتداء بهم

يفيـــدك نمواً في النعمة والكمال ، النظر إلى سير القديسين الذين ساروا في طريق الفضيلة ، لأنه كما يعرف الفقير حقيقة حاله لدى نظره إلى ثروة الغني ، هكذا النفسُ متى شاهدت كنز النعمة ، وثروة البر التي للقديسين . عرفت احتياجها وفقرها وخفضت من تشامخها وخففت من غلوائها .

فيامن تريد الفضيلة ، سل الذين ساروا فيها قبلك واقتدِ بهم ،

https://coptic-treasures.com/

واقرأ أحاديثهم ، وادرسْ أقوالهم ، وراقبْ سيرهم وانظر فى جهادهم . تأملْ إلى القديسين كيف كانوا يضيئون كالكواكب ، أنظر إلى حرارة إيمانهم ، وقوة رجائهم ، وجزيل محبتهم ، وتعبهم وكدّهم ، واسهارهم وتأملاتهم،ونموهم فى الروحيات،وغيرتهم وهمتهم ،وقدرتهم على قهر نفوسهم ، ومواظبتهم على الصلاة ، وتواضعهم ، وزهدهم فى خيرات الأرض، وأعراضهم عن لذات العالم ، واحتقارهم الغنى والزهو وكلّ أباطيل العالم . كانوا فقراء وهم بالإيمان أغنياء ، لهم ميراث مجد لا يفنى . كانوا محتقرين لدى العالم ، ولكنهم فى عين الله مكرمون محبوبون. كانوا معوزين مكتئبين محزونين ، وفى قلوبهم ينابيع أفراح ، وسيول تعزيات لا تخطر على بال ، تفيض على أرواحهم نعماً غزيرة ، ولذاتٍ لاحد لها . ما أحسن تواضعهم ، وما أجمل محبتهم وصبرهم وطاعتهم ، وما أسعد من يترسم خطواتهم ، ويقتدى بهم .

دع عنك البحث والتنقيب عن معايب النـــاس ، اترك عدّ نقائصهم ، ووجه فكرك أولا إلى كمالات القديسين ، واقرأ سيرهم وأخبارهم ، وتمثل بهم ، وكن كالنحلة تجمع عسلها من جميع

https://coptic-treasures.com/

الأزهار الجميلة . فتعلم من أحدهم الصبر ، ومن آخر التواضع ، ومن غيره المحبة والداعة ، تطلع إلى المثل الحسنة ، ومارسها بهمة سامية ، وقلب شجاع ، وروح غير هيابة . فترى نفسك تصبو إلى الفضائل السامية وتشرق روحك ، وتينع رياض نفسك . تعلم الإيمانَ من ابراهيم ، والطاعة من اسحق ، والعفةَ من يوسف ، والصبرَ من أيوب ، والتواضعَ من داود ، والقداسة من أخنوخ ، والغيرة من إيليا ، والوداعةَ والحلم من موسى . تعلم سائر الكمالات من رب الكمالات يسوع المسيح . وكن كمصور ماهر يمدّ رسوماً جميلة للفضيلة ثم ينسج على منوالها وينهج منهجها ، ولا تكن كذبابة تحومُ حولَ الأقذار ، وتحلق فوق النجاسة والدّنس . تعلم الخير واترك الشر ، ولا تقتد بفاعليه ، ولا تتشبه بالذين يزلون ويسقطون، بل ليكن مثلك الذين يرتفعون ويصعدون إلى العلا بجمال سيرتهم .

---

https://coptic-treasures.com/

الفصل الرابع والثلاثون

تفتيش الذات وفحص الضمير وحراسته

كن كالتاجر الماهر يراجع حسابه إذا ما انقضى النهار ليعرف ربحه وخسارته . ابحث نفسك ، وفتش ضميرك ، وافحص قلبك بكل دقة ، كى تتمكن من معرفة نفسك وتعلم أفى تقدم أنت أم فى تأخر ، فهذه هى الوسيلة الصحيحة التى تحفظ بها سلامة نفسك ، وتعرف نقاءها ، وتقيها وثوب الأفكار الغريبة . داوم على ذلك كل يوم لئلا تزيد سقطاتك وتكثر عثراتك . اندم كل ليلة على أية ذلة تصدر منك ، أو نقص يبدو فيك وقل « نضجع فى خزينا ويغطينا خجلنا لأننا إلى الرب إلهنا أخطأنا » (أر ٣ : ٢٥) إن الليل هو الوقت الذي تفرغ فيه من أعمالك ، وتكون نفسك هادئة مرتاحة من تعب النهار وأشغاله ، لاسيما قبل تهيئك للرقاد ، ففى هذا الوقت يمكنك أن تحاسب ذاتك ، على ما فعلت ، وتراجعها على

https://coptic-treasures.com/

ما عملت ، وتتذكر كلَّ ما مرّ عليك من الخير والشر ، وما أتممته وما أهملته .

إن فحصت ذاتك كل يوم ، خلصت قلبك من كل بَذْر غريب ، وحصّنته من الرذائل ، فلا تكن كصاحب حقل كسلان متوانٍ ، يهمل حقله ينمو فيه الشوكُ والحسك ، وينبت فيه الزوانُ ليخنق الحنطة « عبرت بحقل الكسلان ، وبكرم الرجل الناقص الفهم ، فاذا هو قد علاه كله القريص ، وقد غطى العوسج وجهه ، وجدار حجارته انهدم » (ام٢٤ : ٣٠ و ٣١)

فافلحْ أيها الحبيبُ حقل قلبك كل يوم ونظفه ، لأن طبيعتنا الفاسدة ، لا تنتج لنا سوى ميل إلى الشر ونزوع إلى الفساد . خذ منجل الروح وسل سيف الحق ، واستأصل كلّ ما تجده من آثار الشر فى داخلك ، وابتهل لتنسكب مياه النعمة على البذور الحسنة التى فى نفسك ، لتزداد نمواً وخصباً ، وتثمر لك ثمار البر والسلام. والفرح بالروح القدس . لاتتغاضَ عن أن تفحص جميع أعمالك كل يوم لترى ماذا عملت ، وكيف عملت ، وما أهملت ، ولماذا أهملت

https://coptic-treasures.com/

فبذلك تصلح حالك ، وتتدارك أهمالك. افرح بما تعمل من الخير ، وأنت بعيد عن الكبرياء والمجد الباطل ، واحزن وتأسف واندم وابك وانتحب على ما فعلت من الشر ، أو أهملت من الواجب ، وتب وتمثل أمامك ملاك الرجاء والأمل ، واعزم عزماً ثابتاً على عدم الرجوع إلى الإهمال ، وابحث عن الرذائل الكبرى المتمكنة فى نفسك واقتلعها ، وعندئذ تصبح قادراً على إبادة سائر الرذائل . أمت القائد فتستطيع أن تتغلب على الجنود . اقطع رأس جليات الجبار وحينئذ تعود بسهولة وتهزم بقية الفلسطينيين وتشتتهم من أمامك ، فمن يشتغل فى بحث كنز ، أو كشف مخبأ ، لا يمل من الحفر ، فما بالك بمن يطلب كنز الفضيلة ؟ لا سبيل إلى الوصول اليه بغير الجد والمثابرة وتذليل الصعاب ، وازالة الموانع ، وقل مع النبى « اتبع أعدائي فأدركهم ، ولا أرجع حتى أفنيهم ، أسحقهم فلا يستطيعون القيام ، يسقطون تحت رجلى » (مز ١٨ : ٣٧ و ٣٨)

حصن نفسك ، ومكن اقفالها ، وأوصد غرفها وداوم السهر على حراستها ، لئلا يهجم عليك العدو ، ويتمكن منها . لا تستصغر

https://coptic-treasures.com/

التافه من الأمور ، لئلا تفتح لإبليس باباً يدخل منه ، فكما أن العدوّ المهاجم الذى يحاصرُ المدينة ، يفتش على أضعف الجهات وأوهاها ليتمكن من الدخول منها ، فكذلك عدونا الروحى يدور ملتمساً موضع الضعف من نفوسنا ليهجم علينا منه ، فانتبه وكن شديد الحذر على أسوار نفسك وحصونها ، ولن تجد حارساً يحرسُ نفسك من العدو غير يسوع ، إذا أسكنته قلبك ، ولن تجد قفلاً لباب نفسك أحكم من نعمته .

https://coptic-treasures.com/

الفصل الخامس والثلاثون

العمل وعدم الكسل والبطالة

تجنب البطالة ، واهرُب من الكسل ، لأن عقلَ الكسلان معمل الشيطان ، واجتهد وكن مجداً دائماً ، حتى إذا جاء عدوك يجدك مشغولاً عنه ، فلا يجد له محلاً فى قلبك . إن البطالة سمٌ مميت ، وداءٌ قتال ، هى عث للفضيلة ،ووالدةُ الخرافات والتخيلات الفاسدة ، وهى جرثومة الشرور والآثام ، تجلب التجارب وتسبب الأفكار الباطلة ، الكسل يبيد قوة النفس ، ويسبب الضجر والنفور من الأعمال الروحية ، وهو يضعف حرارة العبادة ، وهو يتولد غالباً من خمود الحرارة فى الروح ، ومن كثرة الشغل الجسدى، ومن نسيان خيرات السماء . فكن محترساً وامنع كلَّ ما من شأنه أن يولدَ فى نفسك الضجر والملل ، لئلا تهن قوتك وينصرف عن العبادة قلبك . رتب أمورك دائماً بحسب مقتضيات الحكمة ، ولا تدع عزماك يخور ، ونفسك تفتر ، ولا تترك ما بدأت به ، التفت

https://coptic-treasures.com/

دائما الى يسوع فيوليك قوةً تسددك فى عملك ، وتقوى عزيمتك . أنصب مجد السماء العتيد تجاه عينيك فتتشدد وتتشجع . وداوِ الكسل بالترتيل والصلاة والتأمل فى خيرات السماء وجهاد القديسين ، واحذر ترك عملك ، واعلم أن عدونا يأتينا أحياناً فى صورة الخير ، ويذكرنا بأعمال ضرورية نعملها أو أفكار نتدبرها لنترك عملنا

إن المياه إن سكنت أسنت وفسدت ، والحديد إن أهمل علاه الصدأ ، فكذلك من لا يتحرك فهو ميت ، ومن لا يشغل عقله تسكُنه الاضطراباتُ والوساوس ، ويصير كقصر خرب تأوى إليه وحوش القفر ، وتعلوه البوم ، وتسكُنه أفراخ النعام ، وتصيحُ فيه بنات آوى ، وتعوى فى جنباته الذئاب (اش ١٣ : ٢١ و ٣٤ : ١١ الخ)

إن تكاثرت عليك التجاربُ الدنسة ، والهواجس الرديئة ، فلا تنسب ذلك الا لبطالتك وكسلك ، صُن باب نفسك ، ولا تدعه مفتوحاً لدخول الأفكار الرديئة فيه ، بل ليكن عقلك دائماً منشغلا بالسمويات مفكراً فى الروحيات . نعم لابد لك من وقت ترتاحُ فيه من عملك وتعبك ، ولكن لا تغالِ فى التماس هذه الأوقات حتى يخلو عقلك من كل

https://coptic-treasures.com/

شيء ، فتحلق في الخيال ، وتهيم في اللذات ،وتبني قصوراً فوق الرمال، بل اكبح تصوراتك واحصرها في الله تعالى ، وروض ذاتك بالتأمل في الفضيلة واشتغل بكل مايماثل ذلك .

الفصل السادس والثلاثون

إماتة الذات وكبح جماح الشهوات

إن الفضيلة مهما كانت سامية وكاملة ،ومهما كان صاحبها مرتقياً بها إلى أسمى درجاتها ، يصعب عليه دوامها دون قهر الجسد وإماتة شهواته ، فاننا نولد مائلين نحو الخطيئة ، وأهواؤنا تقاتلنا كل يوم ، بل في كل دقيقة قتالاً مراً ، وحبُّ الذات لايزال يتملك ناصيتنا . وثوارتُ الجسد لا تفتأ في عراك وخصام، وحرب ونزال ، ولا تزالُ الحربُ قائمةً لا تكف ولا تهدأ ، بين النفس والجسد . لعمري أي شيء يعيننا على ردّ هذه الاهواء ؟ وأية قوة لنا تجاه هذا

https://coptic-treasures.com/

القتال ؟ ليس لنا سوى كبح جماح الشهوات ، وقهر آلام الجسد ، وإماتة أهواءِ النفس .

إنّ النفس لا يمكنها البلوغُ إلى حرية مجد أولاد الله ما لم تقمع شهواتها وتقيدها ، ولن تدخل المجد بدون جهاد ، أو تكللَ دون حمل الصليب ، أما قيل عن المسيح أنه ينبغى أن يتألم بهذا ، ويدخل إلى مجده (لو ٢٤ : ٢٦) فكيف تنال ذلك عفواً بلا تعب ولا ألم ؟ أنظر إلى جراح يسوع فيهون عليك كل شيء ، وكيف تستطيع أن تتبع يسوع العريس السماوي وانت مترف متلذذ بالعالم وشهواته ، وهو مجروح مخضّب بدمائه ومكلل بالشوك لأجلك ، وماصلب إلا لكي تصلب شهواتك ، وما مات إلا من أجل أن نموت عن الخطيئة ونحيا له .

محال أن تتبع يسوع وعلى كاهلك اثقال الخطيئة ، وتتنازعك شهوات الجسد ، فهي تعوقك عن الاقتداء به ، وتقعد بك عن بلوغ طريق الكمال ، لا يتأتى لك الوصول الى ذلك الا بقمع الحواس ، واخضاع نزعات الجسد الثائرة ، ولن تذوق اللذة الصحيحة

https://coptic-treasures.com/

والنعيم الحقيقي الا بانـكار كل لذة ونعيم دنيوى ، إن أوتار القيثارة لاتلذ للحواس ما لم تشدّ وتضرب ، فـكذلك حواسنا لا يمكن أن يكبح جماحها ما لم تشد وتقهر وتضرب بسياط التأديب

أتريد أن تخلص وتتحرر من نير الخطيئة ؟ اذاً قاوم ميولك وأمسك بزمام آلامك ، واكبح جماح شهواتك ، واقتل محبة الذات في نفسك ، وأمت النزعات الجسدية حتى تفنى ولا تعود لها حياةٌ في جسدك ، احمل صليب يسوع ، وأنـكر ذاتك ، وارفض كل خصالك ومشتهياتك الرديئة ، ان كنت زانياً تصر عفيفاً ، وان كنت شرهاً تصبح قنوعاً ، ان كنت جباناً ضعيفاً تغدُ قوياً شجاعاً ، فان أنكار الذات هو تحويلها من حال الى حال . فانـكر ذاتك وشهواتك ورغائبك وكلّ ما تجده فى نفسك غير صالح ، فتصير رجلاً غير ما كنت ، وتخلق خلقاً جديداً ، وتحيا حياة جديدة ، في البر والقداسة . فان هذا هو صلبُ الأهواء وكبح الآلام الجسدية ، وهو الـكمال بالذات ، وهو طريق يسوع ، وهو الصليب الذى يجب أن نحمله على منكبينا ، « حاملين فى الجسد كل حين إماتة الرب

https://coptic-treasures.com/

يسوع » (٢ كو ٤ : ١٠) لأن الفضيلة والحياة الروحية المسيحية إنما هى قائمة فى الانتصار على الشهوات ، وإماتة اللذات والحياة لله . لأن الذين للمسيح قد صلبوا الجسد مع الاهواء والشهوات » (غل ٥ : ٢٤) « عالمين هذا أن انساننا العتيق قد صلب معه (أى مع المسيح) ليبطل جسد الخطية كي لانعود نستعبد أيضاً للخطية ، لأن الذى مات قد تبرأ من الخطية ، كذلك أنتم أيضاً احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا » (رو ٦ : ٦ و ٧ و ١١) « لأنكم قد متم وحياتكم مستترة مع المسيح فى الله» (كو ٣ : ٣) « قد متم للناموس بجسد المسيح لكى تصيروا لآخر للذى قد أقيم من الأموات لنثمر لله » (رو ٧ : ٤) « مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فىّ ، فما أحياه الآن فى الجسد فانما أحياه فى الإيمان ،إيمان ابن الله الذى أحبنى وأسلم نفسه لأجلى » (غل ٢ : ٢٠)

اذا كنت مائتاً عن العالم ، فأنت حى بالمسيح وفى المسيح وللمسيح ، واذا كانت هذه الحياة في المسيح فالعلاقة بينك وبينه

https://coptic-treasures.com/

شديدة وثابتة ومتمكنة ، ان الميت لا يتعاطى أعمال العالم ، ولا علاقة له به ، فكذلك المسيحي المائت عن الخطيئة لا علاقة له بها ، ولا عمل له من الأعمال فى خدمتها ، فبالموت نتحرر من سلطة العالم وعبوديته ، ولا يعود له علينا حق ولا تصبح له ولاية ، كنا مستعبدين للخطية ولكن بموتنا عنها ، لم يعد لها علينا سلطان ولا سيادة بل تحررنا من نيرها .

لا تقهر ذاتك الجسدية فقط ، بل عليك أن تقهر شيئاً آخر هو أسمى وأجل وأوفر استحقاقاً منها ،ألا وهو الرذائل والأهواء والغضب وكل شهوات النفس ، وعليك الصبر فى الضيق ، والاستيلاء على العين والأذن واللسان وسائر الحواس والحركات والانعطافات الرديئة ، واعلم أنَّ كل تغلب منك على آلامك ، وانتصارك على شهواتك ، تصيرك ملكاً قاهراً متسلطاً على ذاتك ، ومن يملك نفسه خير ممن يفتح مدينة . ولك فى شهامة جنود المسيح وشجاعتهم خير اسوة ، فبها قهروا الرذائل ، وانتصروا على الشهوات ، وجحدوا ذواتهم ، وقمعوا أهواء أجسادهم ، واحتقروا ترف الجسد ، ولذات

https://coptic-treasures.com/

الحياة الدنيئة ، فيوسف العفيف بانتصاره على تلك التجربة الشديدة فعل فعــــلاً يفوق ويفضــل جميع تدابيره فى مصر ، وداود النبى باخضاع قوته الغضبية وأماتته روح الانتقام من شاؤل أظهر قوة أشد مما أظهرها بقتله جليات الجبار .

فاجتهد أن تميت كلّ شهوات الجسد وعش بالروح ، « فان الذين هم حسب الجسد فبما للجسـد يهتمون ، ولـكن الذين حسب الروح فبما للروح ، لأن اهتمام الجسد هو موت ، ولـكن اهتمام الروح هو حيوة وسلام ، لأن اهتمام الجسد هو عداوة لله ، وإن عشتم حسب الجسد فستموتون ، ولـكن إن كنتم بالروح تميتون أعمـال الجسد فستحيون » (رو ٨ : ٥ — ٧ و ١٣)

https://coptic-treasures.com/

الفصل السابع والثلاثون

قهر الذات يرفع النفس الى الروحيات

إن النفس تسر وتستبشر وتطير فرحاً وتسمو شوقاً الى الروحيات ، ولكن الإرادة ضعيفة غير نشيطة ، والجسد كثيف يمنع صعود الروح وارتفاعها ، فاذا أنت أخضعت أرادتك وروضت نفسك ، ومرنت ذاتك ، وعودتها الإذعان والإنقياد ، وصرت حراً من كل هوى جسدانى ، ومجرداً من الانعطافات الغريبة ، وبعنأى من الاشتباكات الدنيوية ، إذا فعلت ذلك تطبع فيك صورة الله وحكمته العالية ، وتتأصل فيك نعمته السامية ، وتكون مستحقاً لسكنى الله معك ، لأن الله يريد أن يستأثر بالقلب وحده ، ليلقى فيه السلام والاطمئنان والهدوء ، ولن تحصل على ذلك الا بأماتة الآلام الشهوانية ، وإخماد الأهواء الجسدية الثائرة ، التى تعبث بالقلب فتميت الشعور الروحى ، وتعمى البصيرة ، وتضعف قوة الإرادة وتسلب الصواب .

https://coptic-treasures.com/

متى كبحت آلامك الثائرة من حدتها ، عاد قلبك آمناً ، وصار عقلك هادئاً مستنيراً ، وارادتك حرة طليقة ، منصرفة نحو الخير ، وتمتلىء نفسك بهجةً ونشاطاً روحياً ، وتشعر بســلام وراحة واطمئنان . إن الاشتغال بالجسديات يحرم النفس خيرها ، ويخيم على العقل بغيوم كثيفة ، ويحجز الإشراقات والإلهامات الإلهيـة ، ويمنع حضور الله ويفقد الشعور به فى القلب، لأن الإنسان الحيوانى، لايفهم ما لروح الله (١ كو ٢ : ١٢) وتعلق القلب بالعـالم يربط النفس بالدنيويات ، ولا يدعها تسير بخفة وسهولة ونشاط نحو الله ، فاقتلعْ أولاً من قلبك حب الزمنيات ، لتتمكن من الوصـول الى الأبديات ، واترك جانباً الأمور الأرضية ، لتقدر على الصعود إلى السماويات ، وبعْ الجسديات لتربح الروحيات .

كل شيء يتحرك حسب ثقله ، فالخفيف يرتقى الى أعلا كالنار والهواء ، والثقيل يهبط الى أسفل كالحجارة والماء ، فـكذلك أنت ترتقى أو تهبط بحسب ميلك ، وتصعد أو تنزل ، بحسب ميولك ونزعاتك . فان كانت رغباتك جانحةً الى الأرضيات ، ومائلة الى طلب

https://coptic-treasures.com/

اللذات وكان ذلك متمكناً فيك ، ومستولياً عليك ، كانت حياتك كلها جسدية ، وميولك أرضيةً . ولكنك إذا كنتَ منفصلاً عن محبة العالم ، فحبةُ الله حينئذ تكون راجحة فيك ، وتصعد إلى فوق ، وتصير حياتك فى السماويات .

الله روح كلى البساطة ، فما لم تتجرد بالمرة عن الأمور الحسية ، لا تستطعْ أن تتصرفَ مع الله ، وتتفاوضَ معه المفاوضة اللذيذة الروحانية . كل شيء يميل وينجذب إلى شبهه ، فاذا كانت نفسك شهوانية ، وجانحة إلى اللذاتِ الأرضية ، اندفعت أميالك إلى المعاصى ، وهيهات أن تشبع من خرنوب الشر ، وإذا كانت نفسك روحية مائلة إلى الروحيات ، فلن تجد راحتك إلا فى التردد على الله والمفاوضة معه . وإن لم يكن قلبك صافياً كالماء لا تنطبع فيه صورة الله ، فطهر نفسك من اللذات الحسية ، وأبعدها عن الأمور الأرضية الحقيرة ، لينكشف لها الله فتفهم أسراره الغامضة ، وتعاين وجه الرب « طوبى لانقياء القلب لأنهم يعاينون الله » (مت٥:٨)

https://coptic-treasures.com/

الفصل الثامن والثلاثون

الجسد هو عدونا الألد

اعلم أن جسدك هو عدوك الألد الذي يسعى بك إلى الموت ، ولأجل لذة حقيرة فانية يريد أن يتمتع بها زمناً يسيراً ، يجتهد فى أن يلقيك فى بئر الهلاك الأبدى ، أنظر كم مرة صارعك ؟ وكم مرة أسقطك ؟ ما أكثر حروبه ! وما أخوف قتاله وأشنعه ! ألا يبعدك كثيراً عن رحمة الله . ويقودك إلى مخالفة إرادته الكريمة ، أما أبعدك مراراً عن خيرات الله ونعمه ؟ فأفقدك الحياة الروحية ، ألم يصدك عن طريق الخلاص ، ويوصد فى وجهك باب النعمة ، أما يجتهد كل ساعة فى أن يوقعك فى مخاطر جسيمة تودى بك إلى الردى والهلاك ، فهل تحب عدواً مثل هذا وتصغى إلى مشورته الدنسة ، وهو يهوى بك إلى الشرور والمفاسد ، ويفقدك الخير والسعادة ، فان كنت تمقت الشيطان ، فامقت جسدك أكثر من مقتك لكل عدو ، لجميع أعدائك لا يمكنهم إيصال الأذى

https://coptic-treasures.com/

اليك إلا بواسطته ، إذ هو القناة التى تجرى الينا منهـــا الشرور ، وتسير فيها سموم الخطيئة القتالة ، فلا ترفهه لئـلا يتمرد عليـك كوحش كاسر ويفترسك ، وألجم آلامه ، واكبح جميع شهواته ، قال بولس الرسول : « اقمع جسدى واستعبده حتى بعد ما كرزت للآخرين لا أصير أنا نفسى مرفوضاً » (١ كو ٩ : ٢٧) حقاً أن هذا الجسدَ يستحق الاستعباد والتقييد والقمع ، فاستعبده وقيده وألجمه ، لئلا يثور عليك ويستعبدك ، واستأثره قبل أن يستأسرك ، ويجعلك عبداً ذليلا خاضعاً لمشيئته ، إن هذا العدو يستحق الموت والصلب ، فاصلبه وقيده بالأغلال ودق فيه المسامير ، وأمته على الصليب حتى لا يحيا بعـــد ، من ذا الذى لايخشى رجلا يؤاكله ، ويعيش معه ويحسن اليه ، ومع ذلك يريد قتله جزاء ذلك الأحسان ؟ وان من يربى عبده فى عز ورفاهية ، يتمردُ عليه أخيراً ، فأكرر لك القول : استعبد أهواءك ، وأمت جسدك ، وأمسك عنه كل مايريد من الشهوات ، فانه عدو يحتقرُ الله ، ويكرم العالم ، ويحب ذاته ، ويستسلمُ للشيطان . ليضعف الرب هذا الجبار العنيد ، ويبطل قوته ، فانه يستحق الموت والصلب .

https://coptic-treasures.com/

إنك أيها الحبيب ، إن قمعت جسدك واستعبدته ، وأنكرت على ذاتك شهواتها ، فانك فى الحقيقة لم تبغضها ، بل تكون قد أحببتها وأحسنت اليها ، فالطبيب لا يبغض المريض حين يمنع عنه ما يريده ويشتهيه ، ألا يكون حباً عظيماً واحساناً كبيراً أن تجعل جسدك ونفسك مستريحين من آلام الخطية ، وتحفظهما من الفساد ، وتعدّهما لسعادة أبدية لا تنتهى « فان من أراد أن يخلص نفسه يهلكها ، ومن يهلك نفسه يجدها » (مت ١٦ : ٢٥) .

قال الحكيم « قد رأيت عبيداً على الخيل ورؤساء ماشين على الأرض كالعبيد » (جا ١٠ : ٧) ان روحك أيها الحبيب هى التى تقودك ، وما جسدك الا كبهيمة يقودها عقلك ، فهل تجعل تلك الدابة الخرساء العمياء تهيمن على نفسك الناطقة العاقلة ، وبدل أن تقودها تقودك الى الدنايا والشهوات ، أليس ذلك عاراً على ناطق مثلك ، مخلوق على صورة الله فى البر وقداسة الحق .

https://coptic-treasures.com/

الفصل التاسع والثلاثون

عدم الاستسلام للاهواء

قاوم أهواءك غير المرتبة ، ولا تتبع ما ظهر لك باديء الأمر حسنه دون أن تفحصه جيداً ، واضبط رغائب قلبك ، ولا تسر مع الهوى ، فانك بذلك لا تنخدع سريعاً ، ولا يجد القلق الى نفسك سبيلا . إن مجاهدة النفس ضد الأهواء ، وإن كانت صعبة إلا أن ثمرتها سلام للنفس وهدوء للروح ، إياك والإنقياد لكل هوى تخاله موافقاً لك ، كما لا ينبغى أن تفر من أمر يظهر لك فى بدايته انه مخالف لميولك ، بل اقمع هواك واستعبده ، ورتب ميولك وروّضها ، وعلمها أن تخضع وتقنع وتسر بالأمور البسيطة ، وعودها ألا تتذمر مما لا يلائمها ، فان شهواتنا غالباً تضلنا وتغوينا ، وأشواقنا تقلقنا ، وحواسنا تخدعنا .

إن أعظم عقاب يناله الإنسان هو أن يتركه الله لشهواته ويسلمه

https://coptic-treasures.com/

إلى نفسه ، قال الرب « فلم يسمع شعبي لصوتى واسرائيلَ لم يرضَ بى ، فسلمتهم الى فساد قلوبهم ليسلكوا فى مؤامرات أنفسهم » (مز ٨١ : ١١ر١٢) وقال الرسول « وكما لم يستحسنوا أن يبقوا الله في معرفتهم أسلمهم الله الى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لايحق » (رو ١ : ٢٨) فاذا ترك الإنسان لذاته ، وبعدت عنه نعمة الله سقط فى مهاوي الهوان ، ووقع فى يد وحش مفترس قاس يذيقه الويل والعذاب ، لأن تخلى نعمة الله عن الانسان جحيم شديد ،ليس أخوف ولا أرهب منه . فاحذر أيها الحبيب من أن تتخلى العناية عنك ، ولا تهدأ حتى تكون خطواتك حسبما ترشد اليه النعمة ، واقترب من قدمي يسوع ، وابك وانتحب وراءه حتى يعيدك اليه ، ويبعد عنك أهواءك التى تلق بك إلى الهلاك . ومن اتبع شهواته ، وأطاع هوى جسده ، تصير أهواؤه كفرس جموح لا يستطيع كبحه ، ثم هو يطوح به من فساد الى فساد ، ويستدرجه من رذيلة الى رذيلة شر منها ، الى أن يهبط الى أدنى دركات الهوان ، وأخيراً يكون

https://coptic-treasures.com/

جزاؤه العذاب الأبدي . فلا تطع شهواتك ، ولا تأذن لأهوائك أن تتحكم فيك ، ولا تشمت بك عدوك ، وتستسلم له ، لئلا يفعل بك ما لا يحق ، وتنبذك النعمة الإلهية ، واذا تركتك نعمةُ الله ورحمته تعالى فبمن تلوذ وتعتصم ، وعلى من تعتمد ، والى من تلتجيء؟

الفصل الأربعون

تشخيص نجاسة الخطية وتأثيرها على الطبيعة البشرية

الخطيةُ هى التعدي ، وهى مرض أدبى ، وداءٌ روحى من شر الأدواء ، وأخبثها ؛ يفتك بالروح وتذبل به زهرة الحياة ، هو مرض أصاب الطبيعة البشرية ، فأذلها وأنهك قواها وأفقدها الحيـاة . قد كان الانسان قبل الخطية طاهراً نقياً باراً مشتملا بالنعمة والمجـد والبهاء ، متنعماً بالمؤانسة مع الله ، ومبتهجاً بالمعاشرة معه تعالى ، حاصلا على السعادة والراحة والمجد ، متمتعاً بالنعمة والقداسة ،

https://coptic-treasures.com/

قابضاً بيديه الحياة الأبدية ، غير خاضــــع للآلام ، منزهاً عن كل ما يهين ويشين ، مالــكا كل ما يمكن امتلاكه من الراحة والنعيم ، لاشيء يؤلمه ، ولا مكدر يكدره ، لا شقاء يصيبه ، ولا تعب يرهقه ، لا مرض يلحقه ، ولا موت يفتكُ به ، لا فــكر يشغله ، ولا حزن ينزع سلامه . وقد كان أيضاً سعيداً مرتاحاً فى سلام وإطمئنان ، حائزاً كلّ الخير والسعادة والسرور. ولـكن واأسفاه أصابتنا الخطية، فنزعت منّا كلّ ما وهبه الله لنا ، وسلبت منا كلّ شيء ، وأنزلتنــا من علياء القداسة ، وطردتنا من الفردوس ، وسببت لنا الأوصاب والأمراض ، وأخضعتنا للبلايا ، من التعب والفقر والمرض والجوع والعطش والشيخوخة والموت ، فأظلمت عقولنا ، وأفسدت ارادتنا ، ونجست قلوبنا ، ومالت إلى الشر والفساد ، فنزعت أكاليل النعمة من فوق رؤوسنا ، وأنهكت قوانا الروحية ، وشوهت نظام طبائعنا البشرية ، فانحطت القوى وارتفع قدر الشهوات والرذائل ، وانخفضت منزلة الفضائل ، وسمت الدنايا . فاذا الطهارة والقداســة تتوارى ، والوقاحة والأرجاس تطفو وتظهر

https://coptic-treasures.com/

إن الخطيةَ تفعل فى النفس شرًّا مما يفعلُ أخبثُ الأمراض فى الجسم . فشوهت جمالها ، وأضاعت رونقها وبهجتها ، وجعلت منظرها كئيباً حقيراً . فالذاكرةُ مرضت بالنسيان ، والضمير أصيب بداء وأخذ فى الانحطاط ، والشهامةُ انخفضت قوتها ، والإرادة ضعفت عزيمتها وفقدت قوة التمييز بين الخير والشر ، وأصبح الناس يفعلون الشر وهم لا يشعرون ، وينغمسون فى الدنايا ولا يبالون ، وهم فى الأدناس من الرأس إلى القدم ولا يحسون ، وصارت الخطية كجبل ثقيل ضغط على القلب ومنعه من الظهور ، وأفقدته الشعور والإحساس الحى ، وسيرته فى دجى الظلام ، وفى أودية مخيفة وهو لايدرى ، يتلمس شيئاً فى نور الظهيرة فلا يرى

وبعد أن كان القلب هيكلاً لله ، خلقه لذاته ، جعلته الخطية مقراً لإبليس وجنوده ، يأوون اليه ويسكنون فيه ، وامتلأ بأدناس وأرجاس ، وذئاب ووحوش ، وصار مقفراً تسكنه الثعالب والغربان ، قال إشعياء النبى « ها أن يد الرب لم تقصر عن أن تخلص ، بل آثامكم صارت فاصلة بينكم وبين إلهكم ، وخطاياكم سترت وجهه

https://coptic-treasures.com/

عنكم ، لأن أيديكم قد تنجست بالدم ، وأصابعكم بالأثم ، شفاهكم تكلمت بالكذب ، ولسانكم يلهج بالشر ، ليس من يدعو بالعدل وليس من يحاكم بالحق ، يتكلون على الباطل ، ويتكلمون بالكذب، قد حبلوا بتعب وولدوا إثماً . فقسوا بيض أفعى ونسجوا خيوط العنكبوت ، الآكل من بيضهم يموت والتى تكسر تخرج أفعى . خيوطهم لا تصير ثوباً ولا يكتسون بأعمالهم ، أعمالهم أعمال إثم وفعل الظلم فى أيديهم ، أرجلهم إلى الشر تجري ، وتسرع إلى سفك الدم الذكى ، أفكارهم أفكار إثم ، في طرقهم اغتصاب وسحق ، طريق السلام لم يعرفوه ، وليس فى مسالكهم عدل ، جعلوا لأنفسهم سبلاً معوجة ، كل من يسير فيها لا يعرف سلاماً » (اش ٥٩ : ١ — ٨)

قاتلها الله ، ما أشدّ ضررها ، ثقلت علينا يدُها ، ورزحنا تحت أثقالها ، وأسرنا تحت نيرها ، واستعبدتنا شهواتها ، حتى صيرتنا أسرى ، بعد أن كنا أحراراً ، وأفنت شجاعتنا ، وأضعفت فينا حبّ الخير ، وجعلتنا جبناء وضعفاء فى كل شيء ، وصيرتنا مولعين

https://coptic-treasures.com/

بحب الدنيا ومتبعين أهواء نفوسنا ، تاركين خيرات السماء متهافتين على خيرات أرضية زائلة ، وصرنا مقصرين فى واجباتنا ، غير ضابطين حواسنا ، مرتبكة أمورنا ، مشتتة عقولنا ، نميل إلى اللهو ونعكف على الخلاعة ، ونسارع إلى اللذات ، إنها قد أضعفت فينا ميل القلب إلى الخضوع والخشوع ، وعكرت صفونا الروحى ، وجعلتنا متخاذلين عن الخير ، أبطالاً فى الشر ، ضعفاء فى العبادة ، أقوياء فى التراخى والإهمال ، غير قادرين على مكافحة الإهواء ، نشيطين فى عبادة الجسد . جعلنا متكبرين منافقين مبغضين ، سالبين حقوق الآخرين، جعلتنا أبناءَ الغضب بعدأن كنا أبناء الله ، وأسمعتنارعودها بعد أن كنا متمتعين بصوت الله العذب ، وجعلت الأرض تخرج أشواكها ، وقد كنا نأكل خيراتها ، وقلبت نظامَ الطبيعة ، وأفسدت كل ما فيها ، وغيرت خلائق الإنسان ، وصدَّته عن الأعمال الرفيعة ، وأمالته إلى الأمور الوضيعة الخسيسة ، وجعلتنا نطمع فى إحراز المال ، حريصين على جمعه ، أشحاء فى الإحسان ، بخلاء على الفقراء ، فاقدين قوة النفس ، عاجزين عن الفضيلة ، غيرَ

https://coptic-treasures.com/

مهذبين فى أخلاقنا ، ضجرين فى أعمالنا ، متيقظين لاستماع الأباطيل وأحاديث الشر والخلاعة ، متكاسلين وقت الصـــلاة وحين تلاوة الـكتب المقدســة ، متوانين فى العبادة ، مسارعين إلى الغضب ، واهانة القريب ، ضعفاء فى المحبة ، شجعاناً في البغضة ، ميالين الى دينونة الآخرين ، قساة فى معاملتنا ، غير مترفقين بالضعفاء ، بطرين في الرخاء ، جزعين لدي الشـــدة ، وبالجملة ، ملـكتنا وولدت فينا الرذائل ، ومكنت فى قلوبنا شهوة الجســد ، وشهوة العين ، وتعظم المعيشة ، الأمور التى من العالم (١ يو ٢ : ١٦)

فينا يكمن الـكبرياءُ بصورته الشنيعة ، والرياء والتصنع والدهاء ، والخديعة والرغائبُ النجسة ، والشهواتُ الدنسة ، وتغلغلت فى قلوبنا أحقاد وضغائن ، وشتائم وتجاديف ، وجور وظلم ، واغتصاب واغتياب ، ونميمة وحسد قتَّال للنفوس ، وطمع لا تحد رغائبه ، وقساوة قلب ، وعدم انعطاف وحنو . « من أجل ذلك ابتعد الحق عنا ولم يدركنا العدل ، ننتظر نوراً فاذا ظلام ، ضياء فنسير فى ظلام دامس ، نتلمس الحائط كعمى وكالذى بلا أعين نتجسس ، قد عثرنا

https://coptic-treasures.com/

فى الظهر كما فى العتمة ، فى الضباب كموتى . . . تعدينا وكذبنا على الرب ، وحدنا من وراء الهنا ، تكلمنا بالظلم والمعصية ، حبلنا ولهجنا من القلب بكلام الكذب ، وقد ارتد الحق الى الوراء والعدل يقف بعيداً ، لأن الصدق سقط فى الشـــارع والاستقامة لا تستطيع الدخول ، وصار الصـدق معدوماً والحائد عن الشر يسلب ، فرأى الرب وساء فى عينيه أنه ليس عدل» (اش ٥٩: ٩ — ١٥)

فمن لا يحزنُ ويكتئبُ ويبكى ويندبُ متحسراً على ما أصاب طبيعتنا . « من مفرج عنى الحزن ، قلبى فىّ سقيم ، هوذا صوت استغاثه بنت شعبى من أرض بعيدة، ألعلّ الرب ليس فى صهيون ، أو ملكها ليس فيها ؟ . . مضى الحصاد وانتهى الصيف ونحن لم نخلص ، من أجل سحق بنت شعبى انسحقت ، أخذتنى دهشة ، أليس بلسان فى جلعاد ؟ أم ليس هناك طبيب ! فلماذا لم تعصب بنت شعبى » (ار ٨ : ١٨ – ٢٢)

لم تقدر الأنبياءُ ، ولا الكهنةُ ، ولا فروض الناموس ، ولا الذبائحُ الرمزية ، أن تخلصنا من الخطيئة ، ولكنّ يسوعَ وحده

https://coptic-treasures.com/

استطاع أن يشفينا منها ، فتبارك لأنه « صار لنا براً وفداء وحكمة » لأن أحزاننا حملها ، وأوجاعنا تحملها ، ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله ومذلولا . وهو مجروح لأجل معاصينا ، مسحوق لأجل آثامنا ، تأديب سلامنا عليه، وبحُبُره شفينا (ا ش ٥٣ : ٤ — ٦)

الفصل الحادى والاربعون

مقاومة أهواء الخطية واشهارُ الحرب عليها

الخطيةُ قد مدّت أصولها ، واستولت على النفس ، وان كانت النعمة تظلل النفس ، وينزع نورها فى القلب فتمنع سريان الخطية ، إلا أنه لا يزال متروكاً فينا جذوعها ، فيجب علينا أن نجدّ ونجتهد كى نقاومها ونمنعَ امتدادها فينا ، إذ لا يمكن أن تنزع حركات الخطيئة منا ، لأنها متأصلة فينا ، ولكن لا تخف اذ لا قوة لها ولاسلطانَ على أولاد الله، الذين فيهم روحه ونعمته ،فان كانت الخطية فيك ، تدفعك لفعل الشر ، فلا تظن أنك متروك بلا قوة تدفعها

https://coptic-treasures.com/

عنك ، فان روحَ الله الذى فينا يكسر شوكتها ويضعفُ سلطانها ، فلترافقك النعمة دائماً لغلبة هذه الميول ، فاذا أُشرقت الشمس تبدد الظلامُ ، ومتى أقبل النهار انهزم الليل ، كذلك حين تنبعث أشـعة الروح القدس ، وتنفذ في قلب الإنسان ، تهرب جميعُ الأرجاس من أمام وجه الرب ، وتطرد الأبالسـة ، وكافة الرذائل التى ولدتها الخطية ، لأن النعمة نور وضياء ، والخطية ليل وظلام ، فمتي أقبل الروح القـدس ، فر إبليس هارباً ، ومتى أشرقت النعمة انقشعت الخطية كالدخان

لا تقطع رجاءك لوجود بذور الخطاية فيك ،فقد عاشت راحاب فى وسط الأشرار ومع ذلك نجاها إيمانها ورجاؤها ، فالخطية لا تؤذى المتكلين على الرب . احذر من أن تقول « هؤلاء الشعوب أكثر منى كيف أقدر أن أطردهم . فلا تخف منهم . . . لا ترهب وجوههم ، لأن الرب الهك فى وسطك إله عظيم ومخوف ، ولـكن الرب إلهك يطارد هؤلاء الشعوب من أمامك قليلاً قليلاً . . . ويدفعهم إلهك أمامك ويوقع بهم اضطراباً عظيماً حتى يفنوا» (تث ٧ :١٧و٢١-٢٣)

https://coptic-treasures.com/

إذا قاومتك تجربة فلا تلن قناتك لها ، فتنتصر عليك ، واياك أن تتمم مشيئتها ، لأنك ان طاوعتها لا تشفق عليك ، بل تصمد لمحاربتك حتى تقودك اليها قسراً ، وان طردتها دفعة واحدة بشجاعة وثبات ، تنخذلْ أمامك سريعاً ، وهكذا تظل أنت شجاعاً قوياً ، ظافراً غالباً ، لا تقدر عليك الشهوات ، ولا تظفر بك الخطية ، فقاوم بنشاط كلّ آلامك ، فيضعف فيك الميل نحو الشر ، وتقوى نفسك على الخير والفضيلة .

إذا شعرت فى ذاتك بدافع يحركك نحو الخطيئة ، فلا تدعْ هذا الاحساسَ يكملُ فيك بالرضا ، بل اطرد الخطية حالا ، ولا ترضَ بها ، واعلم أن قبولك تلك الحركة هو مفتاح يفتح به ابليس حصون القلب ، ان ذلك الحس انما نتج من الوراثة التى ورثتها فى طبيعتك من الخطية الأصلية ، التى سرى سمها فى الطبيعة البشرية حسب قول الرسول « أرى ناموساً آخر فى أعضائى يحارب ناموس ذهني ويسبيني الى ناموس الخطية الكائن فى أعضائى» (رو٧ : ٢٣) وهذا الشعور لا يكون خطيةً الا اذا ارتضيت به أو أتممته بالفعل

https://coptic-treasures.com/

فلا تسمح للنقائص الطبيعية أن تولد فيك شروراً وتبذر فيك إثماً، بل سر فى طريق الفضيلة والكمال، غير ملتفت إلى ثورات الجسد وضجيجه، وإياك أن تصغى لمشورة الجسد، أو تمل إلى آلامه، بل دس بقدميك على كل تهويلاته، والروح القدس الساكن فيك يعطيك الحياة، ويهبك النمو فى النعمة.

الخطية لن تبرح ساكنة فيك، والحية القديمة لن تزال مترددة عليك لتخدعك، وتنفث فيك سمها القتال، فلا تقبل حيلها وخداعها، ولا تعقد معها اتفاقاً، ولا تدعها تسير معك فى الطريق، وباعد رجلك عن مسالكها، وانفر من تمليقاتها، ولا يمل عقلك اليها، وغض طرفك عن النظر اليها، ولا تسمح لأذنيك أن تصغى لمداهنتها، ولا تأتلف معها قط، ولا تسلم لها أفكارك ولا ميولك، بل أشهر عليها حرباً عواناً، وقتالاً عنيفاً، والتجىء إلى الرب ليسحقها عند قدميك

خف من الخطية خوفك من السم، واهرب من الاثم هربك من الأفعى، وإن سقطت فقم سريعاً، ولا تدع الشر يجعل له

https://coptic-treasures.com/

فى قلبك مكاناً ، ولا تثقل نفسك بخطية فوق خطيةٍ ، لئلا يصعبَ عليك الخلاصُ منها .

لا تخطيء وتقول رحمةُ الله عظيمة ، لان هذا خداع شنيع من العدو تهين به رحمة الله ، واعلم أن الله عادل أيضاً . وبخطيتك تستوجب عقابَ العادل ، فان أهنت الرحمة الالهية فالى من تلتجيء حينئذ . إذا كانت السحب والغيوم متكاثفة ومتلبدة فى السماء ، فلا تستطيعُ رؤية النجوم ويحتجب عنك نور الشمس والقمر ، هكذا القلب إذا أسدلت عليه غيوم الخطية يصير مظلماً ، ولا يُرى فيه شيء من النور . الدخانُ يؤذي العين ويمنع إشراقَ النور ، والخطية تعمى البصيرة ، وتحجزُ الاشراقات الالهية عن القلب . فلا تسمح للخطية أن تسكن فى قلبك ، ولا تدع ابليس يمهد له ولجنوده فى نفسك طرقاً ومسالك ومعابر ، لئلا يأتى جنود الشر ويختفون فى تلك المسالك ويجولون ويمشون في تلك الطرق ، فيكون قلبك مأوى وجحيماً لسكنى الأبالسة . فاطرد حالا الأفكار الدنسة ، ولا تدعها تتردد عليك وتدخل وتخرج كما تشاء وتجعل فؤادك معبراً لها .

https://coptic-treasures.com/

الفصل الثانى والاربعون

الحيـــاة حرب وجهاد دائم

إن حياة الانسان كلها حروب روحية ، وجهادات نفسية ، لا تكف ولا تنتهى ، فان الجسد لا يزال حياً ، وابليس لن يبرح مشهراً الحرب على النفس ، ولا تبلغ الراحة ، وتبطل هذه الحروب الا عند ما نهتف بصوت الفرح والنصرة « أين شوكتك ياموت أين غلبتك ياهاوية » (١ كو ١٥ : ٥٤)

ما دمنا فى الجسد فهناك قعقعةُ الأسلحة ودوىّ النيران ، وما نفوسنا داخل أجسادنا الا كالسفن وسط بحر عجاج تُلاطمُها الأمواج ، وتَتقاذفها الرّياح من كل جانب . او كوقود فى أتون متأجج سعيرة تصلهُ النار من كل جهة . فلا تظن أيها الإنسان أنك فى هذه الحياة بمأمن . بل إنك تسير فى طريق كلها فخاخ ، بين اشراك منصوبة ، ومقانص ممدودة ، وأعداؤك يبذلون قصارى الجهد فى إيصال الاذى اليك،وسلب حياة النعمة منك . والعدو لا ينفك

https://coptic-treasures.com/

عن محاربتك ، ولا تهن قوته من مناضلتك ، لا يلتمس راحة فى الحرب، ولا يتطلب هدنة ، بل حروبه دائمة ، ومصارعته متواصلة ، فاحذر وانتبه ، ولا تطمئن اليه وتستخف بهذه الحرب المشئومة . وليكن انتباهه داعياً لاستمداد القوة من الله لمحاربته وخذلانه والانتصار عليه ، واستعن بقوة يسوع الظافرة ، ونعمته غير المغلوبة .

انك لمخدوع أشد الخداع إن ظننت أنك تستطيع ان تخلو من التجارب وتنجو من كل ألم ، إذ بينما تظن ذلك إذا بالعدو يجول ويزأر حولك ملتمساً من يبتلعه (١ بط ٥ : ٨) وحين تخال أنك فى سلام وراحة ، تكون فى خطر ، وهناك ابليس كامن لك فى الخفاء تحت مظهر مخيف وجهاد شديد . لا تجزع من التجارب . ولا يجبن قلبك لدى ورودها ، بل اعتبرها علامة حسنة لك ، لانها دليل على أنك غلبت الشرير وانتصرت عليه بعد أن قاومته ونازلته وغلبته ، لذلك تجده يضطهدك وينازلك ويعيد الكرة عليك ليظفر بك حنقاً منه وغيظاً ، فاجتهد دائماً ان تكون ظافراً .

https://coptic-treasures.com/

إن هذا العدوّ لا يشغل نفسه فى محاربة أولئك الذين هم تحت سلطانه ، وفى قبضة يده ، ولكنه يجاهد الجهاد الشديد ويقاوم المقاومة العنيفة الذين يخذلونه ، ومتى خذلته مرة صار النصرُ دائماً حليفك ، فتصرعه وتغلبه فى كل واقعة ، فجاهد وكافح واسهر وصلّ ، لئلا تدخلَ فى تجربة ، وخذ كل أسلحة الروح لتستطيع أن ترد سهام ذلك الشرير الملتهبة « تقوّ فى الرب وفى شدة قوته ، البس سلاح الله الكامل لكى تقدر أن تثبت ضد مكائد ابليس . فان مصارعتنا ليستْ مع دم ولحم ، بل مع الرؤساء مع السلاطين ، مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر ، مع أجناد الشر الروحية فى السماويات . أثبت ممنطقاً حقويك بالحق ، والبس درع البر واحمل فوق الكل ترس الأيمان ، وخذ خوذة الخلاص وسيف الروح ، الذى هو كلمة الله ، صلّ بكل صلوة وطلبة فى الروح » (ا ف ٦ : ١٠ — ١٨)

ان الجندىّ القريب من العدو لاتغفل عينه ، ولا ينام ، بل يسهر دائماً مستعداً للقتال . والملاح الماهر يترقب حركات الجو ، ويمسك بالدفة فى وسط الامواج والانواء الشديدة ليحفظ سفينته من

https://coptic-treasures.com/

الغرق والهلاك ، فانتبه واسهر وتيقظ وتهيأ ، وكن شجاعاً متسلحاً فى كل وقت تجاه العدو والتجارب المحدقة بك ، وكن حكيماً يقظاً واهجم على عدوك قبل هجومه عليك ، واقتل الخطية قبل أن تقتلك ، واياك أن تتهاونَ أو تغفل فان عدوك لا ينام ، بل يترقبك ويدبر الهجوم عليك ، فحصن نفسك من كل جهة ، والتجىء إلى الرب دائماً ، ولا تخرج من الحصن ، ولا تلمس الحية أو تلعب معها ، أو تلاطفها لئلا تلدغك ، واهرب منهـــا فتنجو من سمها ، واقطع أسباب الخطية ، ولا تقترب إلى النار لئلا تحرقك ، ولا تكن سبباً لسقوط ذاتك « احذر من أن تعبر بهذا الموضع لأن الأراميين حالون هناك » (٢ مل ٦ : ٩)

اطرح كل ثقل ، وجانب الخطية المحيطة بك ، واركض وجاهد فى الجهاد الموضوع أمامك « ناظراً إلى رئيس إيمانك ومكمله ، يسوع الذى من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب مستهينـاً بالخزى ، فجلس عن يمين الله ، فتفكروا فى الذى احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه لئلا تكلوا وتخوروا فى نفوسكم » (عب ١٢ :١-٣)

https://coptic-treasures.com/

الفصل الرابع والاربعون

الاحتراس من تجـــارب العدو

إن ابليس عندما يرشقنا بسهامه ، ويشهرُ علينا حربه ، فليس ذلك عدواناً وبغضاً لنا فقط بل لعدواته لله ومخالفته اياه ، وبما أن الشيطان لا يقدرُ على ايصال الأذى اليه تعالى ، فينتقم من خليقته ، ويغويهم ليشاركونه فى عذابه الأليم . فتأمل أيها الحبيب ، أنك بمقاومتك ومحاربتك لابليس لا تدفع الشر عن نفسك فقط ، بل تدافع عن شرف الله ، فخير لك أن تموت شر ميتـــةٍ وتتهشم أعضاؤك ، وتحتمل كل محاربات إبليس من أن تهين الله بخذلانك أمام عدوه . لا تظن أنك تحارب وحدك بل الرب يعطيك النصرة على عدوك « قم يارب ، يا الله ارفع يدك ، لا تنس المساكين لماذا أهان الشرير الله » (مز ١٠ : ١٢ و ١٣) « أمسك مجناً وترساً وانهض الى معونتى ، واشرع رمحاً وصد تلقاء مطاردى قل لنفسى خلاصك أنا » (مز ٣٥ : ٢ و ٣)

https://coptic-treasures.com/

«لاتخف أنت لى ، إذا اجتزتَ فى المياه فأنا معك ، وفى الأنهار فلا تغمرك ، إذا مشيت فى النارفلا تلذع ، واللهيب لا يحرقك . لأنى أنا الرب إلهك قدوس اسرائيل مخلصك » (اش ٤٣ : ١ — ٣)

إنّ ابليس لا يحاربُنا الا عندما يأنس الضعف في نفوسنا ، فهو يبحث دائما عن أوهى الأمكنة فينا ، ويضع فيها شراكه ، كما يفعل الصياد الماهر ، حين يريد أن يصطاد الطيور ،فكثيراً ما يحاربنا ويستميلنا ويأتينا من الجهة التى توافق ميولنا ، ألا ترى أنه أوقع أبانا آدم بواسطة حواء ، وخدع شمشونَ وأسقطه بواسطة دليلة التى كان يحبها ، وأغرى سليمان بحب النساء ، ويهوذا بحب الفضة ، فكن كطبيب ماهر ، وعالج نقائصك وأمراضك بما يشفى مرضها ،وخفف من كبريائك بالتواضع ، وداو زهوك وتشامخك باحتقار الذات ، واحترسْ ولا تغتر بظواهر الامور ، لان ابليس قد يتشكل بصورة ملاك النور ، ويضع السم فى الدسم ، وربما وضع صنارة الهلاك في طعم لذيذ ، وينصب فخاخاً ليوقعك فى حبائله ، ويوهمك أن الصلاح والخير فيما يرسمه لك ، فلا تنخدع ، ولا تغتر ، بل افحص الامور

https://coptic-treasures.com/

وقلبها على وجوهها لتسلم من شروره . أما أسلم يهوذا سيده بقبلة، أما قتل يوآب أمصيا بينما كان يتظاهر بأنه ودود محب وصديق مخلص ، ليكن اعتمادك على الله وأسلم اليه قيادك ، وارجع اليه فى كل أمر ، ليكن هو سندك وملجؤك فى كل شىء .

الفصل الرابع والأربعون

فى تجارب الحياة وفوائدها

أن حياتنا كلها تجارب وآلام ، لأننا غرباء فى دار منفانا ، فلا غرابة إذا ابتلينا بتجارب كثيرة،وتمرسنا بنوائب وشدائد فى هذا الوادى ، وادى الشقاء والأحزان ، وها أنت ترى اننا لاننجو من تجربة حتى نقع فى أخرى ، ولا نداوي جرحاً حتى يسيلَ آخر ، ولا نكاد نرفع رأسنا حتى تصدمنا موجة تلقي بنا إلى العمق ، وها هى ذي المصائب تحنى ظهورنا وتخفض رءوسنا ، فمَنْ من النــاس

https://coptic-treasures.com/

نجا من تجربة أو شدة ، حتى الملوك والقياصرة الجالسون على عروش سلطانهم ، لايخلون من التجارب . والأوصاب والمشقات والمتاعب والشدائد والتجارب وان كان لابد منها للجميع، إلا أنها يختص بها القديسون وقال الرسول « لأنه قد وُهب لكم لأجل المسيح ، لا أن تؤمنوا به فقط ، بل أيضاً أن تتألموا لأجله » (فى ١ : ٢٩) « إنه بضيقات كثيرة ينبغى أن ندخل ملكوت الله » (اع ١٤ : ٢٢)

إنه دواء نافع ، وعلاج مفيد أن نقع فى تجارب متنوعة ، حتى نطلبَ داراً باقية أبدية ، فالشدةُ معلم حاذق يعلمنا الأدب والتواضع وحقارة الذات وحسن السلوك ، ويهذبُ أخلاقنا ، ويروض نفوسنا ، ويرتب أفكارنا ، ويكبح شهواتنا . وهي معلمة الحكمة ، وقائدة إلى الرصانة ، تجعل المتكبرَ متواضعاً ، والقاسيَ ليناً ، والغضوب وديعاً أنيساً ، وذي السجس هادئاً رصيناً ، وترد العاصي إلى الله خاشعاً . الشدائد تستأصل منا العجرفة والخيلاء ، وتصوننا من العجب والزهو الباطل ، وحين تلم بنا الشدائدُ نفقه وندرك شدةَ افتقارنا

https://coptic-treasures.com/

إلى الله ، وحاجتنا إلى معونته ، ونتأكد أنه لا أمن ولا سلام فى هذه الدار ، وحينئذ نطلع على شقاوتنا وضعفنا ونعرف ، مانحن عليه من الضعف والوهن .

التجارب تروضنا على الفضائل ، وتستدعى مزيدَ انتباهنا ، لئلا نستغرقَ فى نوم عميق ، ورقادٍ ثقيل ، فبها نتنقى ونتهذب ونتأدب ونتكمل ، ونصفو ونتزكى ، ولولاها ما عرفنا ذواتنا بل لاستعظمنا قوتنا ، وظننا اننا شيء يذكر ، فهى تظهر ضعفنا ، وتدعنا نتذلل أمام الرب ، قال الرسول « ولئلا ارتفع بفرط الأعلانات ، أعطيت شوكة فى الجسد ملاك الشيطان ليلطمنى لئلا ارتفع » (٢ كو١٢: ٧) « فطوبى لرجل يؤدبه الرب ، فلا ترفض تأديب القدير لأنه هو يجرح ويعصب يسحق ويداه تشفيان » (أى ٥ : ١٧و١٨) «لأن الذى يحبه الرب يؤدبه وكأب بابن يسر به» (ام ٣ : ١٢)

إن بنى إسرائيل كانوا عند الشدة والضيق يلتصقون بالرب ويتجهون اليه بالدعاء ، ولدى الرخاء يتناسونه ويتركونه ، وداود الملك حين فرحه وسرور . سقط فى الخطية ، ولكن لدى شدته

https://coptic-treasures.com/

قال « فى يوم ضيقي التمست الرب » (مز ٧٧ : ٢) والابن الشاطر لو لم يقع فى تلك الفاقة لماعرف حالته وعاد إلى بيت أبيه ، قال أشعياء النبي « يارب في الضيق طلبوك سكبوا مخافة عند تأديبك إياهم » (اش ٢٦ : ١٦) وقال المرتل « إذ قتلهم طلبوه ورجعوا وبكروا إلى الله » (مز ٧٨ : ٣٤)

الكرمة لاتنمو فروعها ، وتتشعب أغصانها ، وتزهو بنضرتها ، وتحمل العناقيد الكثيرة ما لم تشذب ، والأوتار لا تعطى صوتاً شجياً ما لم تشد جيداً وتضرب بالأصابع ، والعود الند لا تفوح منه رائحة زكية إلا باحراقه فى النار ، والذهب الحقيقى لا بد أن يمحص فى الأتون ، والماس لا بد أن يقطع ويسوى ، والحنطة لا بد أن تدق قبل أن تدخل إلى الاهراء . كل القديسين والأبرار ساروا فى هذا الطريق ، وجميع ورثة السماء الذين يتمتعون الآن بالمجد قد جازوا هذا المسلك الوعر ، بل ربك ومخلصك جرب فى كل شيء ودُعى « رجل الأوجاع ومختبرَ الحزن » (اش ٥٣ : ٣) فلا ترفض التجربة عند ورودها ، ولا تضجر عند اشتدادها بل فوض أمرك

https://coptic-treasures.com/

إلى الله، وسلمه مشيئتك ، ودعه يفعل بك ما يشاء ، ووطن ذاتك لاحتمال التجربة ، واحتسبها من أعظم التعزيات لك فى هاته الحياة ، ومتى كنت محباً لله حقيقة قبلت الشدائد بفرح ، كأنك كنت تتوقعها ، ومن ذا الذي لا يقبل من يد الله الشفيقة الحنونة كل ما يأتى ، إنك إذا فعلت ذلك تصير الشدائد عندك هينة عذبة ولذيذة مستطابة ، « احسبوه كل فرح يا اخوتى حين تقعون فى تجارب متنوعة ، عالمين أن امتحان إيمانكم ينشىء صبراً » (يع ١ : ٢) « لأن آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا » (رو ٨:١٨)

https://coptic-treasures.com/

الفصل الخامس والاربعون

احتمال المشقات على مثال المسيح ولأجله

إذا أصابتك بلية أو وقعت فى تجربة ، فلا تخر لها ولا يجبن قلبك لورودها ، بل احتملها بصبر جميل ، وافتح لها صدراً رحيباً ، ولا تدعها تغلبك ، بل اجتهد لتنتصر عليها ، وتذكر أن مخلصك جرّب مثلك فى كل شىء « لانه فيما هو قد تألم يقـدر أن يعين المجربين » (عب ٢ : ١٨) وهو قادر أن يرثى لضعفاتنا بل مجرب فى كل شىء مثلنا بلا خطية (عب ٤ : ١٥)

كيف تقدرُ أن تملك مع المسيح إن كنت لا تتألم معـه ، فان شئت أن تحيا معه فمت معه تحت آلام الصليب . ولا تبـالى بآلام تصيبك ، وتعييرات تقع عليك ، وإهانات توجه اليك ، فقد سبقك مخلصك فى احتمال كل هذه التجارب . ولن تقدر أن تصيرَ مثـل هابيل إن لم يصبك شر قايين ولا تدخل أرض كنعانَ ما لم تعـبر

https://coptic-treasures.com/

البرية . ولا يدخل المجدَ ويملك مع المسيح من لم يرتض أن يتألم معه .فان شئت أن تحيا معه فلا بد أن تشابهه فى كل شيء .فكما مات مت معه ، وكما تألم تألم معه ، وكما قام قم معه ، وحينئذ تقدر أن تدخل معه مجده كما دخل « إن كنا نتألم معه لكى نتمجد أيضاً معه» (رو ٨ : ١٧)

إن اشتدت عليك التجاربُ أو تزايدت ، فلا تجزع بل اعلم أن الرب ينقذ الاتقياءَ من التجربة (٢ بط ٢ : ٩) إن الفخارى لا يترك آنيته فى أتون النار حتى تحترق ، والصائغ لا يدع فضته وذهبه فى البودقة أكثر مما ينبغي ، فلن يتركك الرب فى أتون التجربة ، بل « أن الله أمين لا يدعكم تجربون فوق ما تستطيعون ، بل سيجعل مع التجربة أيضاً المنفذ لتستطيعوا أن تحتملوا (١ كو ١٠ : ١٣) فاقبل بفرح وسرور وصبر جميل كل ما يأتيك من التجارب ، ومايحيق بك من الضيق ، والاوجاع ،والآلام، والمتاعب، والبلايا ، والأمراض ، والاضطهادات ، والشتائم ، والمثالب ، والمذمات ، والاحتقار ، والاهانات ، وكل ما يقابلك من الشدائد .

https://coptic-treasures.com/

ان نصبت أمامك مثال المسيح هانت عليك شدائدك ، لأنه جرب في كل شيء مثلك ، ويستطيع أن يعين المجربين . ان جربت بالفقر . وآلمك اشتداد البرد ، أو كنت بلا مأوى ولا كسوة ، أو امتلأت نفسك هواناً فاذكر «أن للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكاراً وأما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأســـه» (مت ٨ : ٢٠) وإن أصبت بمرض آلم فنفسك وأضنى أعضاء جسدك ، فاعلم أن مخلصك كان رجل أوجاع ، ومختبر الحزن ، أخذ أسقامنا وحمل أمراضنا (مت ٨ : ١٧ و اش ٥٣ : ٤)

إن فقدت صديقاً عزيزاً ، ومحباً مخلصاً فاذكر أن يسوع بكى وانتحب على حبيبه لعازر، وان ابتليت بخيانة أحد أحبائك، فلا تنس أن صديقه وأليفه بل تلميذه أكل خبزه ورفع عليه عقبه وباعه بثلاثين من الفضة إلى أعدائه ، وإن اتهمت بأمر ، أو افترى أحد عليك ، أو أساء الظن فيك ، أو اغتابك بمكروه ، أو شان صيتك بأكاذيب واختراعات ، فلا يخر عزمك ولا يضيق صدرك ، بل تشدد وتقوّ واذكر بأن كلام التجديف واللعنات والإهانات قد

https://coptic-treasures.com/

جازت قلب المسيح كسهام حادة ، انهم دعوه سكيراً ، ومدمن خمر ، وصديقاً للخطاة والعشارين ، حركوا بذلك شفاهم ، واندلعت به ألسنتهم . فان سمعت كلام التجديف والإهانات ، فاعلم أن ذلك أصمى قلب مخلصك ، وآلم فؤاده قبلك .

فتأس بذلك كله « لأنه فيما هو قد تألم يقدر أن يعين المجربين » ولاتدع التجارب تضعفك ، وتثبط عزيمتك ، بل ليظهر بها صبرك وثبات إيمانك ، فالنجوم لاتظهر إلا فى الليالى الحوالك ، والجندى الباسل لاتتضح بسالته وشجاعته إلا وقت الحروب والمعارك ، والربان الماهر لا تعلن مهارته الا حين ثوران العواصف والرياح ، فكذلك أنت لايظهر صبرك ، وثبات إيمانك إلاوقت اشتداد أمواج التجارب،وحين هبوب عواصف المحن ، وجريان رياح البلايا والمصائب. فكلما زادت عليك التجارب ، وتراكمت الهموم ، كان ذلك سبباً لزيادة نموك فى النعمة ، ولتقوية صبرك واقتدائك بالرب يسوع ، كما كان بنو اسرائيل يزدادون نمواً وكثرة عند تجربتهم . وكما أن السفينة تعلو وترتفع كلما علت المياه ، هكذا فلترتق نفسك ولتسم

https://coptic-treasures.com/

بالفضيلة حين اشتداد وطأة التجارب ، وليكن ذلك كله داعياً إلى اسراعك والتجائك إلى يسوع الملجأ الأمين

الفصل السادس والاربعون

الاحتراس من الصغائر وقتلها قبل أن تستعصى

احترس ما أمكنك من الصغائر التى تظهر بادىء بدء أنها أمور هينة ، خفها واحذر منها أكثر من حذرك من الخطايا الكبيرة ، لأن الصغائر تولد الكبائر ، ومعظم النار من مستصغر الشرر ، والإنسان لا يبلغ درجة الكمال والانتهاء فى الخير ، فى الأمور الطبيعة أو الروحية ، إلا تدريجياً ، فالطفل يتدرج من طفولة إلى شباب إلى شيخوخة ، والزرع ينمو ويكبر شيئاً فشيئاً ، والبيت لا ينهدم دفعة واحدة ، بل يسبق ذلك وهن الأساس وتصدع الأركان . وذلك الضمير الذى كان يرتعب من أمر صغير لا يفتأ أن

https://coptic-treasures.com/

يعتاد الخطايا الثقيلة ، ويتممها بلا خوف ، فان تهاونت فى أمر صغير ، صــار كبيراً ، وان بنيت على الرمل زعزعت الرياح أساسك ، وهدمت العواصف بنيانك فيسقط سريعاً . تلك الزلات الصغيرة أو العادات البسيطة التى لاتخشاها فى أول الأمر ، قد تنمو وتكبر وتتأثر وتولد فيك خطايا لا يمكنك بعد ذلك اقتلاعها بسهولة ، وتلك الديدان الصغيرة التى لم تعن بقلتها لا تبرح نامية حتى تصير حيات مسممة وأفاعى مميتة ، فحاربها وهى صغيرة ، وإلا استعصى عليك التغلب عليها . ذلك الرماد يتخلله وميض نار إن لم تطفئه يتأجج لهيبه ويتعالى سعيره . واذا أنت أهملت الصغائر ، ولم تحذر منها تعرضت نفسك للوقوع فيما هو أكبر منها ، وتلك الثعالب الصغار لا تفتأ أن تصير كبيرة وتقتل الفضيلة ، وذلك الشبل عن قريب يصير أسداً ، فاقتله وافترسه قبل أن يفترسك ، أمسك الثعالب الصغار المفسدة الكروم (نش ٢ : ١٥) أمت تلك الانحرافات التى تظهر لك فى بادىء الأمر أنها صغيرة ، كالغضب من شىء زهيد ، أو اقتراف زلة صغيرة ، أو نظر غير جائز ، إن مثل هذه الأشياء يتضح لك فى

https://coptic-treasures.com/

أول الأمر أنه مجرد تأمل ثم يصير تسلية ، ثم يتقوى شيئاً فشيئاً ، حتى يولد فى القلب اثماً وشراً ، ويطبع فى الفؤاد صوراً وخيالات لا حد لها ترتسم فى الذهن وتدنس الضمير النقى ، وتفسد العفاف الطاهر ، فاحذر واحترس ، وبادر الى اقتلاع الخطيئة وهى عشب ، لئلا تنمو وتكبر وتصير شجرة كبيرة يصعب قلعها ، ولا تتهاون ولا تتوان فى زلة مهما كانت صغيرة ، والا فستجد منها أخيراً سيداً قاسياً عنيداً تضطر أن تسير أمامه كعبد مقيد ذليل .

إنّ تلك الخطايا الكبيرة ينتبه اليها الإنسان ، وربما وجّه فكره الى اقتلاعها ، أو الفرار منها ، أو النهوض والتخلص من حبائلها بسرعة ، ولكن تلك الصغائر قلما يلتفت اليها أحد ويوجه نظره الى اقتلاعها ، أو يعتد بها فيسقط فيها ، وتقيده شيئاً فشيئاً الى أن توشك القيود الخفيفة أن تصير سلاسل حديدية يصعب التخلص منها وتؤدي به الى الهلاك . قد تغرق السفينة بثقب صغير فى أسفلها كما تغرق من موجة تصدمها ، أو عاصفة تصادفها ، وقد يمكن اتقاء الأنواء والزوابع ، ولكن ثقباً صغيراً لا يلتفت اليه

https://coptic-treasures.com/

قد يعظم ضرره ، ولا يمكن اتقاء شرة . فان كنت قد طرحت آثامك الثقيلة ، وتحررت من نير الخطية ، فاحذر من الزلات الطفيفة ، ولا تستصغرها ، وان كانت سفينتك جازت وسط البحر ، وأمنت الصخور ، وقاومت الزوابع ، والعواصف ، فاحذر شديد الحذر من الريح اللينة ، والأوحال القليلة ، والقش الضعيف .

الفصل السابع والاربعون

فى الثقة بالله وقت التجربة

لا تفشل ولا تخر حين التجربة والجهاد ، ولا تظن أن العدو يقدر عليك طالما أنت مع الله وكان الله معك ، لأن الرب أضعف قوة الشيطان وقهر سلطانه ، وإن ظهر العدو بمظهر الأسد الجبار والبطل المغوار ، فانما هو كذلك لأولئك الجبناء الضعفاء الذين لا يقاومونه ولا يلجأون إلى الرب فى حروبهم معه ، أما حقيقته

https://coptic-treasures.com/

فهو كلب حقير ، ونذل جبان لاولئك الذين لا يصغون اليه ، لانهم وضعوا ثقتهم فى الرب ، وألقوا رجاءهم على نعمة المسيح . ان ابليس لا يقدر أن يصيبنا بتجربة ما لم نردها نحن لانفسنا ، وهو يشير علينا فقط بالآلام ونحن نكملها ، ولكن لدى مقاومته يهرب منا ، فحين جاء الى المخلص مجرباً إياه قال له اطرح نفسك الى أسفل ، نخذله السيد بقوله « مكتوب لا تجرب الربَّ إلهك » (مت ٤ : ٧) فعلى هذا المنوال يجب أن ننسج حتى لا يقدر ابليس أن يطرحك إلى الاسفل ، فازجره وحاربه بشجاعة وبأس فينخذل أمامك ، وثِق بأن القدير حاضرٌ معك ، وناظر جهادك ، ليوليك النصر على أعدائك، ويرسل اليك ملائكته ليحيطوا بك كي لا تسقط ولا تعثر ، اذا وثقت بذلك اشتدت أحقاؤك ، وتثبتت قدماك ، وتشجع قلبك ، وخرجت من ميدان الجهاد ظافراً منتصراً « لان عينى الرب تجولان فى كل الارض ليتشدد مع الذين قلوبهم نحوه » (٢ اى ١٦ : ٩) « جعلت الرب أمامي فى كل حين ، لانه عن يمينى فلا أتزعزع ، لذلك فرح قلبي وابتهجت روحى ، جسدى أيضاً يسكن مطمئناً » (مز

https://coptic-treasures.com/

١٦ : ٨ و ٩) « الرب معى كجبـــار قدير من أجل ذلك يعثر مضطهدى ، ولا يقدرون ، خزوا جداً لأنهم لم ينجحوا ، خزياً ابدياً لا ينسى. » (ار ٢٠ : ١١)

قال الرب لبولس الرسول « تكفيك نعمتى لان قوتى فى الضعف تكمل » عند ذلك قال الرسول « فبكل سرور افتخر بالحرى فى ضعفاتي، لكي تحل عليَّ قوة المسيح ، لذلك أسر بالضعفات والشتائم والضرورات والاضطهادات والضيقات لاجل المسيح ، لأنى حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوى » (٢ كو ١٢ : ٩ و ١٠) وقال « أستطيع كل شيء فى المسيح الذي يقوينى » (فى ٤ : ١٣)

قال الرب «أنا درجت أفرايم ممسكاً أياهم بأذرعهم ، فلم يعرفوا أنى شفيتهم ، كنت أجذبهم بحبال البشر بربط المحبة ، وكنت لهم كمن يرفع النير عن أعناقهم ، ومددت اليه مطعماً اياه » (هو ١١ : ٣ و ٤)

« الرب إلهكم السائر أمامكم هو يحارب عنكم في مصر أمام أعينكم ، وفى البرية حيث رأيت ، كيف حملك الرب إلهك كما يحمل

https://coptic-treasures.com/

الإنسان ابنه فى كل الطريق التى سلكوها » (تث ١ : ٣٠ و٣١)
« أحاط به ولاحظه وصانه كحدقة عينه » (تث ٣٢ : ١٠)
«هوالإله الذى ينطقنا بالقوة ، ويجعل أرجلنا كالايل،وعلى المرتفعات يقيمنا ، ينطقنا بقوة للقتال ، ويصرع تحتنا القائمين علينا » (مز١٨: ٣٢ و ٣٣ و ٣٩) « باسم الرب الهنا نرفع رايتنا ، هؤلاء بالمركبات ، وهؤلاء بالخيل ، أما نحن فاسم الرب إلهنا نذكر ، هم جثوا وسقطوا ، أما نحن فقمنا واستقمنا » (مز ٢٠ : ٥ و ٧ و ٨) « لأن عوننا باسم الرب الصانع السموات والأرض » (مز ١٢٤ : ٨)

فلا تخف ولا تحزن وليطمئن قلبك ، لأن الذى معك أشد وأقوى بأساً من الذين عليك . تشدَّد وتشجع وانتظر الرب فيخلصك . « يعطى المعيى قدرة ، ولعديم القوة يكثر شدة ، الغلمان يعيون ويتعبون ، والفتيان يتعثرون تعثراً ، وأما منتظرو الرب فيجددون قوة ، يرفعون أجنحة كالنسور ، يركضون ولا يتعبون ، يمشون ولا يعيون » (اش ٤٠ : ٢٩ — ٣١) « ها هو يقول لك « لا تخف لأنى فديتك ، أنت لى اذا اجتزت فى المياه فأنا معك ، وفى الأنهار فلا تغمرك ، إذا مشيت فى النار

https://coptic-treasures.com/

فلا تلذعك ، واللهيب لا يحرقك ، لأنى أنا الرب الهك قدوس اسرائيل مخلصك » (اش ٤٣ : ١ — ٣) « تشدد وتشجع ، « لاتخف ولا ترهب وجوههم ، لأن الرب إلهك سائر معك لايهملك ولا يتركك » (تث ٣١ : ٦) « أنا أسير قدامك والهضاب أمهد ، أكسر مصراعى النحاس ومغاليق الحديد أقصف » (اش٤٥ : ٢) لاتخف لأنى معــك ، لا تتلفت لانى إلهك ، قد أيدتك وأعنتك وعضدتك بيمين برى ، إنه يخزى ويخجل جميع المغتاظين عليك ، يكون كلا شىء مخاصموك ويبيدون ، تفتش على منازعيك ولا تجدهم ، يكون محاربوك كلا شىء وكالعدم ، لأنى أنا الرب إلهك الممسك بيمينك القائل لك لا تخف أنا أعينك » (اش ٤١ : ١٠ — ١٣)

فثق بالرب دائماً ، ولا تجزع لأن القديرَ معك ،وهو لايتركك. أنت بطبيعتك ضعيف ، ولــكن حين تسندك يمينُ الرب تــكون كعمود من نحاس لا يتزعزع ولا يتقلقل ، وحين تأتيك نعمــة الرب تقدر أن تطأ الأفعى بقدميك ، فالذى خلص دانيال من جب

https://coptic-treasures.com/

الأسود ، وحفظ الفتية في أتون النار ، وحمى يونان في بطن الحوت ، هو أيضاً يحفظك ويخلصك

« من يقوم لي على المسيئين ، من يقف لي ضد فعلة الإثم ، لولا أن الرب معيني ، لسكنت نفسي سريعاً أرض السكوت ، إذ قلت قد زلت قدمي ، فرحمتك يارب تعضدني ، عند كثرة همومي في داخلي تعزياتك تلذذ نفسي » (مز ٩٤ : ١٦ — ١٩)

https://coptic-treasures.com/

الفصل الثامن والاربعون

الاطمئنان بالرب والاحتماء فيه

« توكل على الرب بكل قلبك ، وعلى فهمك لا تعتمد » (ام ٣ : ٥) « فان المتوكلين على الرب كجبل صهيون الذى لا يتقلقل بل يسكن إلى الدهر » (مز ١٢٥ : ١) « ألق على الرب همك وهو يعولك ، لا يدع الصديق يتزعزع إلى الأبد » (مز ٥٥ : ٢٢)

اطمئن بالرب دائماً وهو لا يتركك ولا يدعك تتزعزع وقت الضيق، ولا تظنن أنّ الذى أوجدك من العدم ، وعرف أمورك قبل وجودك ينساك بعد أن أوجدك . إذا احتميت بالربّ فلا شيء على الأرض يقلقك ، ولا عدوّ يقدر أن يغلبك . إذا رمى إنسان حجراً على حائط ، أو صوّب شخص سهامه إلى جبل شاهق فلن ينقض الحائط بحجره أو يزلزل الجبل بسهامه ، فكذلك أنت إن لبست قوة الرب ، وتدرعت بشدة بأسه وجبروته ، واحتميت بظل جناحيه

https://coptic-treasures.com/

فلن يقدر عليك العدو ، وإن رماك بسهامه فلا بد من ارتدادها اليه ، لأن قوة الرب تحيط بالإنسان من كل جهة ، وهو يرد السهام النارية عن شعبه ، ويسكن العواصف الهائجة ضدهم ؛ وهو ملجأ للذين يريدون الالتجاء اليه ، وقوة لمن يخوضون غمار المعارك ، وعون للذين لا معونة لهم ، وفرح للنائحين ، وتعزية للحزانى ، ومجد للمزدرى بهم « أما أنت يارب فترس لى مجدى ورافع رأسى ، بصوتى الى الرب أصرخ فيجيبنى من جبل قدسه » (مز ٣ : ٣ و ٤) فلا تخف ولا تضطرب ، ولا يجزع قلبك ، لأن الرب الهك قوتك وعونك وهو معك فى كل سياحتك على الأرض ، يساعدك فى طريق غربتك ، فى أي مرحلة تجده واقفاً معك ، وفى أى مكان تراه منتظراً قدومك ، وفى أية بلية يلزم جانبك ليعزيك ويعينك ويشددك ، وفى كل نقطة تشاهد آثار مخلصك ، فهو معك في كل شيء ، سواء كنت فى ضيقة أو بلية أو فى غربة ، أو فى وادٍ أو فى بر أو فى بحر أو فى نار ، وفى كل شيء تجد يسوع هناك ، إما سابقاً أو منتظراً أو مرافقاً لك في سيرك .

https://coptic-treasures.com/

احتجب فى يسوع كطير يلتجىء إلى وكره الأمين . إن الطير متى ارتفع إلى العلو يأمن شباك الصيادين ، فخذ أنت جناحى الرحمة الإلهية ، والأذرع القوية ، تنجُ من مخالب الأعداء الذين يكمنون لك فى الطريق « ارحمنى يا الله ارحمنى ، لأن بك احتمت نفسى ، وبظل جناحيك احتمى إلى ان تعبر المصـــائب ، أصرخ الى الله العلى ، إلى الله المحامى عنى ، ليرسل من السماء ويخلصنى » (مز ٥٧ : ١ — ٣)

لا تستطيع أن تجوز البحر وتعبره بدون سفينة ، فخذ سفينة الروح فهى تمكنك من أن تجوز معبر الضيق وتوصلك إلى ميناء السلام والراحة الابدية . كن كطفل كلما فزع بكى وطلب حضن أمه ، فاطلب أنت فى أزمنة الضيق والتجربة حضن الرحمة الابوي . القوقعة عند ما ترى أحداً تختفى داخل صدفتها ، والقنفذ يختفى داخل اشواكه ، فلا يقدر أحد أن يمسه ، فكن أنت كذلك ، عند ما ترى العدو . احتجب فى يسوع فلا يقدر أن يهاجمك ، واهرب إلى الحصن ، فلا يتمكن من مقاتلتك ، واسرع إلى الملجأ

https://coptic-treasures.com/

فلا يستطيع الوصول اليك ، وادخل الحظيرة فلا يفتك بك ذلك الذئب .

من له أجنحة الله ، لا يحتاج إلى ستر آخر ، ولا إلى قوة أخرى ، لان الاطمئنانَ بالرب والحماية به أفضل من الاقفال والمتاريس ، كثيرون من جبابرة اسرائيل كانوا يحرسون سليمان وقت نومه ، ولكن هل استراح أكثر من داود أبيه ، الذى كان يتخذُ الارضَ فراشه ، والسماء غطاءه ، وكانت الاعداء تتبعه متعطشةً لدمه . ما أحلى أن ينامَ الإنسانُ فى حضن الرب ، تحرسه حمايته ، ان نومه يكون لذيذاً ومريحاً ، لان الاطمئنان بالرب أنعم وسادةٍ ، والاحتماء فيه خيرُ فراش ، وأدفأ غطاء .

« من الضيق دعوت الرب فأجابنى من الرحب ، الرب لي فلا أخاف ، ماذا يصنع بيالإنسان ، الرب لى بين معينى، وأنا ساري بأعدائى ، الاحتماء بالرب خيرٌ من التوكل على إنسان ، الاحتماء بالرب خيرٌ من التوكل على الرؤساء ، كل الأمم أحاطوا بى ، باسم الرب أبيدهم ، أحاطوا بى وا كتنفونى ، باسم الرب

https://coptic-treasures.com/

أبيدهم ، أحاطوا بي مثل النحل ، انطفأوا كنار الشوك ، باسم الرب أبيدهم ، دحرتني دحوراً لأسقط ، أما الرب فعضدني ، قوتي وترنمي الرب ، وقد صار لي خلاصاً ، صوت ترنم وخلاص في خيام الصديقين ، يمين الرب صانعة ببأس ، يمين الرب مرتفعة ، يمين الرب صانعة ببأس ، لا أموت بل أحيا وأحدث بأعمال الرب ، تأديباً أدبني الرب وإلى الموت لم يسلمني »

(مز ١١٨ : ٥ — ١٨)

https://coptic-treasures.com/

الفصل التاسع والأربعون

استـــــدعاء الرب للنجاة من التجارب

« جعلت الرب أمامى فى كل حين ، لأنه عن يمينى فلا أتزعزع لذلك فرح قلبى ، وابتهجت روحى ، جسدى أيضاً يسكن مطمئناً » (مز ١٦ : ٨ و٩)

« ولـكنى دائماً معك ، أمسكت بيدى اليمنى ، برأيك تهدينى ، وبعد الى مجد تأخذنى ، من لى فى السماء ومعك لا أريد شيئاً فى الارض ، قد فنى قلبي ولحمي ، صخرة قلبى ونصيبى الله إلى الدهر ، لانه هوذا البعداء عنك يبيدون ، تهلك كل من يزنى عنك ، أما أنا فالاقتراب الى الله أحسن عندى ، جعلت بالسيد الرب ملجأي لاخبر بكل صنائعك » (مز ٧٣ : ٢٣ — ٢٨)

« لـكن الله معى كجبار قدير من أجل ذلك يعثر مضطهدىّ ، ولا يقدرون ، خزوا جداً لانهم لم ينجحوا خزياً أبدياً لا ينسى » (ار ٢٠ : ١١)

https://coptic-treasures.com/

« قم يارب يا الله ارفع يدك ، لا تنسى المساكين ، قد رأيت لأنك تبصر المشقة والغم لتجازى بيدك ، اليك يسلم المسكين أمره ، أنت صرت معين اليتيم » (مز ١٠ : ١٢ ـ ١٤)

« أمسك مجناً وترساً ، وانهض إلى معونتى ، واشرع رمحاً وصد تلقاء مطاردى ، قل لنفسى خلاصك أنا ، ليخز وليخجل الذين يطلبون نفسى ، ليرتد إلى الوراء ويخجل المفتكرون باساءتى . أما نفسى فتفرح بالرب وتبتهج بخلاصه ، جميع عظامى تقول يارب من مثلك ، المنقذ المسكين ممن هو أقوى منه ، والفقير البائس من سالبه » (مز ٣٥ : ٢ — ٤ و ٩ و ١٠)

« من الأعماق صرخت اليك يارب ، يارب اسمع صوتى ، لتكن أذناك مصغيتين الى صوت تضرعاتى » (مز ١٣٠ : ١ و ٢)

« ارفع عينى إلى الجبال من حيث يأتى عونى ، معونتى من عند الرب الصانع السموات والأرض ، لا يدع رجلك تزل ، لا ينعس حافظك ، أنه لا ينعس ولا ينام حافظ اسرائيل ، الرب حافظك ، الرب ظل لك عن يدك اليمنى ، لا تضربك الشمس فى النهار ، ولا

https://coptic-treasures.com/

القمر فى الليل ، الرب يحفظك من كل شر ، يحفظ نفسك ، الرب يحفظ خروجك ودخولك من الآن وإلى الدهر » (مز ١٢١)

الفصل الخمسون

الاستهانة بضيقات الحياة لأجل الملكوت

تشدد وتشجع ، ليتأيد قلبك بالرجاء الموضوع لك فى السماء ، « لأن آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا » (رو٨ : ١٨) « إن كنا نتألم معه لكي نتمجد أيضاً معه » (ع١٧) سوف تنتهى هذه الأحزان ، وتبتلع هاتيك الأوجاع وتلك الشدائد ، انه لقريب شروق شمس ذلك اليوم ، وطلوع فجر الحياة الأبدية . تقوّ أيها الحبيب وتشجع بالرجاء ، ولا يضعف عزمك ولا توهن المصائب قواك « انكم ستبكون وتنوحون والعالم يفرح ، أنتم تحزنون ولكن حزنكم يتحول إلى فرح ، المرأة وهى تلد تحزن لان ساعتها

https://coptic-treasures.com/

قد جاءت ، ولكن متى ولدت الطفل لا تقدر تذكر الشدة لسبب الفرح ، لانه ولد إنسان فى العالم ، فأنتم كذلك عندكم الآن حزن ، ولكنى سأراكم أيضاً فتفرح قلوبكم ، ولا ينزع أحد فرحكم منكم » (يو ١٦ : ٢٠ — ٢٢) « لا تضطرب قلوبكم أنتم تؤمنون بالله فآمنوا بى » (يو ١٤ : ١)

إن كلّ آلام الحياة الحاضرة لا توازى ذرةً من بهاء الملكوت . بل عند ما يشرق فجر ذلك اليوم السعيد يتبدد ليل هاته الحياة ،ولا نعود نذكر ماقاسيناهمن التعب والضنك ،ليس هناك حزن،ولاوجع ولا ألم ولا بكاء ، بل هناك كل ما هو مفرح وسعيد إلى الابد . بنو اسرائيل لما خرجوا من أرض الضيق لم يعودوا يذكرون شيئاً من بلواهم وأتعابهم ، بل أخذوا صنوجهم ودفوفهم ليرقصوا فرحين مسرورين . إن نظرة واحدة فى بهاء وجه يسوع ربنا المتألق ضياءً ومجداً سوف تبدد كل آلام الحياة ، بل ان كل الضيقات والتجارب والاتعاب ، لا تساوي نظرةً في ذلك الوجه الانيس المبارك ، فتشدد وتقوّ بهذا الوعد ، واصطبر قليلا ، وجاهد وانتظر الرب ، وان

https://coptic-treasures.com/

تعبت هنا يسيراً ، فسوف تنال هناك مجداً أبدياً لا ينعت ولا ينتهي ، إن بلايا هاته الحياة لاتدوم الازماناً قليلا ، وستكون نهاية لهذه الشرور ، ستأتى ساعة فيها يزول الأنينُ وينتهى كل تعب ونصب ، ويتبدد كل شيء مع الزمان . تأمل فى المجد المعد فى أفراح السماء ، واستهن بكل آلام الحياة الحاضرة ، وفضّل أن تتحمل كل ضيقات العالم حباً فى ذلك البهاء . تأنَّ واصبر واحتمل المشقات بدعة وسكون ، لاجل يسوع ، واعلم أن ساعة الاستراحة قريبة جداً « لذلك لا نفشل بل وإن كان إنساننا الخارج يفنى ، فالداخل يتجدد يوماً فيوماً ، لان خفة ضيقتنا الوقتية تنشىء لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبدياً ، ونحن غير ناظرين الى الاشياء التى ترى ، بل الى التي لا تُرى ، لان التى تُرى وقتية ، وأما التى لاترى فأبدية » (٢ كو ٤ : ١٦-١٨) «أنتم الذين بقوة الله محروسون بايمان لخلاص مستعدأن يعلن فى الزمان الاخير ، الذى به تبتهجون ، مع أنكم الآن إن كان يجب تحزنون يسيراً بتجارب متنوعة ، لكي تكون تزكية إيمانكم ، وهى أثمن من الذهب الفانى مع أنه يمتحن بالنار ، توجد للمدح

https://coptic-treasures.com/

والكرامة، عند استعلان يسوع المسيح » (١ بط ١ : ٥ — ٧)

« أيها الاحباء لا تستغربوا البلوى المحرقة التى بينكم حادثة ، لاجل امتحانكم كأنه أصابكم أمر غريب ، بل كما اشتركتم فى آلام المسيح ، افرحوا لكى تفرحوا فى استعلان مجده أيضاً مبتهجين ، وان عيرتم باسم المسيح فطوبى لكم ، لان روح المجد والله يحل عليكم » (١ بط ٤ : ١٢ — ١٤)

« طوبى للرجل الذى يحتمل التجربة ، لانه إذا تزكى ينال اكليل الحياة الذى وعد به الرب للذين يحبونه » (يع ١ : ١٢)

« فاشترك أنت فى احتمال المشقات كجندى صالح ليسوع المسيح ، ليس أحد وهو يتجند يرتبك بأعمال الحياة ، لكى يرضى من جنده ، وأيضاً أن كان أحد يجاهد لا يكلل ان لم يجاهد قانونياً ، يجب أن الحراث الذي يتعب يشترك هو أولاً فى الأثمار ، ان كنا نصبر فسنملك أيضاً معه » (٢ تى ٢ : ٣ — ٦ و ١٢)

https://coptic-treasures.com/

« من سيفصلنا عن محبة المسيح ، أشـــدة ، أم ضيق ، أم اضطهاد ، أم جوع ، أم عرى ، أم خطر ، أم سيف ، كما هو مكتوب إننا من أجلك نمات كل النهار ، قد حسبنا مثل غنم للذبح ، ولكننا فى هذه كلها يعظم انتصارنا بالذى أحبنا ، فانى متيقن أنه لا موت ، ولا حيوة ، ولا ملائكة ، ولا رؤساء ، ولا قوات ، ولا أمور حاضرة ، ولا مستقبلة ، ولا علو ، ولا عمق ، ولا خليقة أخرى ، تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التى فى المسيح يسوع ربنـــا » (رو ٨ : ٣٥ — ٣٩)

https://coptic-treasures.com/

الفصل الحادى والخمسون

الاحتشام والادب وحسن السيرة

كن محتشماً ومهذباً وأنيساً في جميع افعالك وأقوالك وفي جميع تصرفاتك، ولا تدع شيئاً فيك يسبب عثرة لأحد، وكن مثلاً وقدوة في كل فضيلة وكمال، لان هذا يفيدك لبنيان الآخرين، وليكن سيرك على الدوام امام الجميع بتواضع ودعة وبشاشة ولطف، ووقار ورصانة وهيبة، وسكون وهدوء ورزانة وكمال، لأن ظواهر الإنسان الرصينه تدل في الغالب على جمال النفس وكمال الأخلاق، وتقوم مقام واعظ يظهر آداب الديانة المسيحية وقداسة سيرتها. كان الوثنيّ في الأجيال الاولى إذا قابل رفيقه الوثنيّ مثله ورآه محتشماً وديعاً، يبادره بالقول: هل قابلت مسيحياً في الطريق؟ لأن منظر المسيحين وسيرتهم كانت تقطر دعة وخشوعاً وتسيل آداباً وكمالا، وكانوا يطبعون في غيرهم صورة الوداعة والأحتشام بمجرد المقابلة ووقوع العين على العين، فما بالك لاتقتفي آثارهم، وتسير في طريق الكمال التي ساروا

https://coptic-treasures.com/

فيها ، إن معدن الجرس يُعرف من رنين صوته ، فاحذر لئلا تكون غريباً عن رعوية اسرائيل بسيرك وسلوكك

إن قيمة المرء فى هاته الحياة والحياة الأخرى ليست بما يدخره من الأموال ، ولا بما يملك من قوة ، ولا بما يحصل عليه من ألقاب الشرف ، بل بما فى نفسه من الصفات الحميدة والأخلاق الفاضلة ، كالتواضع والدعة والمروءة وعزة النفس وطهارة القلب وسلامة الطوية

لتكن صفاتك الظاهرةُ طبيعيةً فيك ، ولا تتصنع شيئاً ، ولا تلبس ثوب الرياء ، لأن ثوبه شفاف ومهما أخفى الانسان قبائحه فلن تخفى على الكثيرين بل تأبى إلا الظهور ، على أنها إن خفيت على الناس فلا تخفى على الله . إن ظواهرك تدل على ما في باطنك وأنه لينطبع على وجهك ، فما تكنه من الخصال إن صالحةً وإن سيئة ، يقرؤها الجميع على محياك وفى عينيك وتظهر آثارها فى هيئتك.ن انتظام دقات الساعة يُعرف إتقانُها ، كذلك من إنتظام سيرك الخارجى واحتشامك الظاهرى تعلم استقامتك ونقاء سريرتك، وقد بين لنا

https://coptic-treasures.com/

الروح القدس على لسان الحكيم ظواهر مايكنه قلب الشرير بقوله « الرجل اللئيم يسعى باعوجاج الفم ، يغمز بعينيه ، يقول برجليه ، يشير بأصابعه ، فى قلبه أكاذيب ، يخترع الشر فى كل حين ، يزرع خصومات » (ام ٦ : ١٢ — ١٤)

اعلم أن للقلب أبواباً تدخل المؤثرات منها إليه ، وهذه الأبواب هى الحواس الظاهرية ، وبدونها لا تعرف النفس من تلك المؤثرات شيئاً ، فكل ما تراه أو تسمعه أو تلمسه أو تذوقه أو تشمه تشعر به نفسك حالا. وأكثر الحواس تأثيراً على النفس حاستا النظروالسمع ، فما تشاهده بعينيك أو تسمعه بأذنيك يرتسم سريعاً داخل قلبك ، إذا كانت المنظورات والمسموعات حسنة كانت تلك الرسوم والأشكال التى تنطبع فى النفس على قدرها ، وبعكس ذلك إذا كانت الحواس تنقل إلى قلبك مرئيات دنسة أو مسموعات رديئة يكون ما فى قلبك صورة ما أوصلته إلى نفسك حواسك ، وكما أن الدار المفتوحة أبوابها على الدوام للخارج والداخل بلا انتظام ، يستحيل أن يكون شىء فيها فى مأمن ، كذلك إذا كانت النفس بلا أقفال تدخل إليها

https://coptic-treasures.com/

الأفكار الدنسة والصور القبيحة المنظر، ويستحيل عليها أن تجد هناك هدوءاً وسكينة وسلاماً، بل تكون قلقاً ومضطرباً، فصن نفسك واحرص على حواسك أن تتقبل ما هو دنس ونجس وشرير.

كن محتشماً واحترم مقام كل انسان، واقتبس خصالا محمودة حقيقية، وأظهرها بطرق مستظرفة ومتواضعة، واهرب من مجالس الهزؤ والمناظر غير اللائقة، وكن أنيساً بشوشاً فى معاشراتك، ولا تتعود الكآبة وتقطيب الوجه لئلا تزعج الذين يعاشرونك، واقض أمورك كلها بهدوء وسكون بعدفهم وتدبير دون غيظ وغضب، واخجل واستح دائماً من الشر فى أفعالك وأقوالك واحفظ ذهنك نقيـــاً، واطلب معاشرة الأتقياء، والجلوس مع الصالحين .

الفصل الثانى والخمسون

التواضع

التواضع أجمل الفضائل وأشهاها وأجلها وأسماها ، والكبرياء سبب الخطية ، وعلة السقوط ، وأصل الشرور ، التواضع هو الدواء الذى به شفاؤنا ، أتريد أن تعرف التواضع ؟ أعرف من أنت ، وابحث ذاتك تجد أنك لا شىء ولا تستحق شيئاً ، لأن كل شىء من الله فلا تسلب حق الله بكبريائك ، لأن كل ما عندك ولديك هو من واهب العطايا ، فان كان فيك نور فهو ليس منك ، بل من مفيض الأنوار وموزع النعم

التواضع أس الفضائل، وأساس المحبة، وميناء الوداعة، ورباط الكمال، وهو مقاوم الغضب، ومهذب الروح، ومدخل السلام الى النفس ، وهو أساس الطاعة ، وكمال الحكمة ، وطريق المسيحى ، به تستنير النفس ، ويستضىء العقل، وهو كنز مملوء بالحكمة لا يسلب ولا يسرق ، وباب للفضيلة ، ومفتاح الراحة والنعمة ، وقفل للكمال ، ورباط للصلح

https://coptic-treasures.com/

والسلام ، وحفظ للمحبة ، وإناءٌ مفعمٌ بهدوء الضمير ، وينبوع لكل فضيلة .

تعلم التواضع فتصبو نفسك إلى الفضائل ، فانك إن كنت متواضعاً تحفظ جميع سنن الله ونواميسه بلا تعب ولا عناء ، ويكون إيمانك قوياً ، ورجاؤك ثابتاً . واعلم أنك لا تستحق شيئاً لذاتك ، وأنك من عدم وإلى العدم وحينئذ تلقى رجاءك على الله الذى من قبله وباستحقاقه نلت ماعندك . إن تواضعك يجعلك محباً حقيقياً لاخداع ولا رياء عندك ولا غش ولا مكر ، لأن المحبة بالتواضع تجعلك تفرح لخير القريب ، وتسر لنجاح الغير . المتواضع لا يحسد من يحوز مواهب أو خيرات لا يملكها غيره ، ولا يذكر نقائص الغير أو يؤنب الآخرين على زلات قد يسقطون فيها ، بل يلتفت إلى زلات نفسه ونقائصه ، فان كنت متواضعاً تحب الآخرين من أعماق قلبك وتحترمهم وتكرمهم وتعاشرهم معاشرة جميلة ، بلا غضب ولا احتقار ، وتعيش فى سلام ، لا يهمك إن كنت منسياً وغيرك قد طبقت شهرته الآفاق ، أو كان غيرك فى أسمى الوظائف وأنت فى

https://coptic-treasures.com/

أحقرها وأدناها ، وتتحمل بصبر وطول اناة كل ما يصيبك من التجارب ، مقراً بضعفك ، مستهيناً بذاتك ، عالماً أنك أهل لكل تجربة ومستحق حتى تضرب بالسياط ، إنك إذا كنت متواضعا تحتمل كل ذلك بصمت وسكون ، بلا ضجر ولا تذمر ، بل تقول مع النبى « لكننى أراقب الرب أصبر لأله خلاصى ، يسمعنى إلهى إذا جلست فى الظلمة فالرب نور لى ، احتمل غضب الرب لأنى أخطأت إليه » (مى ٧ : ٧ — ٩) إن كنت متواضعاً تنل السلام والراحة والهدوء والسكينة ، لأن الدعة لا تقبل الخصام ، والتواضع ينفر ويهرب عند المشاجرة ، لأن الخصام إنما يصير بالكبرياء » (ا م ١٣ : ١٠) « وأما الودعاء فيرثون الأرض » (مت ٥ : ٥)

لا تظن أن التواضعَ هو قولُ الأنسان إنى متواضع وحقير ، ولا تتوهم أنه فى لبس الملابس الحقيرة الرثة ، ومعاطاة الأعمال الوضيعة ، لأنه لو كان ذلك هو التواضع لأمكن لكل إنسان أن يكون متواضعاً ، ولا تحسبن أنك متواضع إذا ما كنت هادىء الطبع منخفض الصوت مطرق الرأس ، ولكن يعرف تواضعك الحقيقى

https://coptic-treasures.com/

من قوة صبرك على الإهانات لأجل الله ، ومن احتمال التجارب بصبر ، ومن خشوعك أمام الرب ، وانسحاق روحك في الداخل ، ومعرفتك حقارة ذاتك ، حينئذ تكون متواضعاً حقاً . تأمل فى ذاتك ، ما ذا كنت ؟ وماذا أنت الآن ؟ وماذا تكون فيما بعد ؟ ألا فاعلم أنك كنت عدماً غير موجود ، وحين وجدت تكونت من مادة حقيرة دنيئة ، وأنت الآن جسد حقير بال مفعم بنتانة ، ونفس مسكينة رازحة تحتَ أثقال لا حدّ لها . تأمل فى الأزهار والأشجار فأنها أجمل من جسدك ، أما تخرج الأشجار زيتاً وأثماراً لذيذة شهية ورائحة عطرة ، وأما جسدك فينتج أقذاراً وأوساخاً ، تأمل نهاية حياتك ، ألا يعود جسدك هذا إلى تراب ورماد ، فعلامَ تفتخر وأنت تراب ؟ وبمَ تتعالى وتتكبر وأنت رماد ، ماهى حياتك ؟ «انها بخار يظهر قليلاً ثم يضمحل » (يع ٤ : ١٤) أنظر إلى جسدك تجده كعشب يذبل ، وكزهر الحقل ييبس ، أنظر الى آمالك الدنيوية ترَها هابطة الى القبر بغير رجاء ، أبحث عقلك تجده ضعيفاً غير قادر على ادراك الامور كلها فهي لا تقع تحت حصر ، وفتش

https://coptic-treasures.com/

قلبك تجده فارغاً وخالياً ونجساً ، والتفت الى حواسك تجدها ضعيفة، وكل ما فيك حقير ولا شيء فيك يستحق الكرامة . ما أنت في هذه الحياة الا كورقة تحركها الريح ، وكريشة في مهب الهواء تارة تؤلمك التجربة ، وحينـــاً يحزنك الضيق والعسر ، مرة يحركك الغضب ، وأخرى تأسرك الخطية ، آونة يرفعك الكبرياء ، وتارة يزعجك الخوف ، وترهبك مصائب الدهر ، وطوراً تتبع أهواءك ، ما حياتك سوى سلسلة أتعاب وشقاء ، فما أضعف الإنسان وأوهى قوته ، وأشد ذله ، أنه عبد ضعيف ذليل أسير لأمياله وعاداته ،خاضع لارادته وملكاته ، ومع ذلك يتعالى ويظن أنه شيء « تواضع قدام الرب فيرفعك » (يع ٤ : ١٠) « لان الله يقاوم المستكبرين ، وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة » (يع ٤ : ٦) « قبل الكسر يتكبر قلب الإنسان ، وقبل الكرامة التواضع » (ام ١٨ : ١٢) « الله ينظر الى المسكين والمنسحق الروح » (اش ٦٦ : ٢) « هكذا قال العلي المرتفع ساكن الابد القدوس اسمه : في الموضع المرتفع المقدس أسكن ، ومع المنسحق والمتواضع الروح ، لاحيي روح

https://coptic-treasures.com/

المتواضعين ولأحيى قلب المنسحقين » (اش ٥٧ : ١٥)

إن المتواضع مع احتقاره لنفسه ، واستصغاره لذاته يمجده ربه ؛ ومع أنه يهرب من التعالي ، ويضع ذاته ، فالله يرفعه ، وهو يهرب من المجد والمجدُ يتبعه ، لان الرب يكرم الذين يكرمونه ، والتواضع كالمسك كلما أخفى وحفظ ، عبقت رائحته وانتشرت . قالت السيدة العذراء : تعظم نفسى الرب وتبتهج روحي بالله مخلصى ، لانه نظر الى اتضاع أمته ، فهوذا منذ الآن جميع الاجيال تطوبنى » (لو ١ : ٤٦ — ٤٨)

التواضع رفع حنة . وملّك داود على كرسى اسرائيل ، وجعل استير زوجة للملك أحشويروش ، وبه ارتفع يعقوب على أخيه عيسو ، وبه يصعد ويرتقى القديسون .

https://coptic-treasures.com/

الفصل الثالث والخمسون

نصائح للاتضاع

لاتظهر لأحد ماتعمله من الخير ابتغاء المجد من العالم ، ولا تعمل عملا ، أو تتكلم كلاماً طلباً لمدح الناس ، لئلا تسمع السيد يقول لك ، «الحق أقول لك إنك قد استوفيت أجرك» بل اهرب من كل ما يسبب لك الكبرياء . وكن محباً للتواضع ، وافرح متى حصل مايضعف من تشامخك ، ولا تشتهى أن يمدحك أحد ، إن مدحت على شيء أتيته فاجعل المديح وسيلة لازدياد تواضعك ، وافرح بالشكر لغيرك ، ولا تمل الى الحسد ، بل تعلم الغيرة المقدسة والنشاط ، ولا يكن بغيتك رضا الناس ، بل ليكن رضوان الله أمام عينيك ، لتحوز رضى الله والناس ، ووجه عزيمتك فى كل أعمالك أولاً لمجد الله ، ولا تدع قلبك يفتخر بأعمالك ، بل ليتعظم الرب وحده فى نفسك وقل « لأن منك الجميع ومن يدك أعطيناك ، إنما هى من يدك ولك الكل » (١ اى ٢٩ : ١٤ و١٦)

https://coptic-treasures.com/

أطرد من قلبك الميل الى الزهو والكبر والمجد الفارغ ، ولا تمتنع لاجل خير القريب ومحبته أن تقدم للغير خدمة مستحقرة ، وافهم جيداً أن كل ماتمتلكه على الارض ليس هو منك ، بل كل ما عندك من خير أو عطية صالحة من لدن أبى الأنوار ، وليكن قلبك متواضعاً ووديعاً ، ولا تقابل الشتيمة والشر إلا بالوداعة ودماثة الاخلاق ، وتخلص من ضرر الغير لك بالهروب ، أو بالصبر ، أو بالحلم ، أو بألفاظ عذبة ، وكن حليماً وديعاً لكل الناس ، ولتكن وداعتك خالية من الضعف ، سر مع اخوتك ورفقائك وجميع معاشريك بالمحبة ، وعاملهم بالوداعة والتواضع ، وكن خادماً لهم ، وكلمهم بلطف وحادثهم ببشاشة واحترمهم من كل قلبك وقدمهم فى الكرامة ، وكن مثالا لهم فى الدعة والتواضع . واقبل من يد العناية الألهية كل ما يحل بك بصبر جميل ، عالماً ان الله هكذا أراد

التواضع أفضل من العلم ، رجل فقير قليل المعرفة ومتواضع ، أفضل بكثير من فيلسوف غنى متكبر ، فاجتهد كي تكون عيشتك صالحة أفضل من ازدياد معارفك بدون فضيلة ، واعلم أن الفضيلة أرفع مقاماً ، وابهى رونقا من العلم . لا يرتفع قلبك ولا تستعمل ولا

https://coptic-treasures.com/

تتعظم فان المتكبر ممقوت من الله والناس . ولا تفتخر بعلم ولا تتباهَ بصناعة ، بل الأحرى بك أن تتعلم التواضع ، واعلم أنك لم تنل شيئاً بقوتك وانما أعطاك الرب . إنك متى توهمت أنك حاصل على مقدار وافر من الفطنة والمعرفة فانظر أنه ينقصك أمور كثيرة لا تعلمها ، واذا امتلأ عقلك بالعلوم والمعارف فتأكد أنك لا تزال على شاطىء بحر العلوم الواسع تجمع أصدافها ، واعترف بجهلك وقصورك ، ولا تظن بنفسك شيئاً ، واحسن ظنك بالآخرين ، لأن معرفتك ذاتك ، وحسن ظنك بغيرك حكمة بالغة وفضيلة سامية .

وإذا رأيت انساناً وقع فى زلة فلا تؤاخذه سريعاً ، بل اطلب له النهوض من عثرته ، لانك لا تعلم ماذا يصادفك أو يلم بك . واذا شاهدت آخر سقط فى جرم كبير فلا تتوهمنّ أنك أفضل منه ، لانك لا تعلم هل تثبت على الخير أو تقع فى التجارب ، فكلنا ضعفاء ومفتقرون لمعونة الرب لحفظنا من فخاخ الاستعلاء والكبرياء ، ان رأيت فى نفسك منقصة أو أمراً يحتاج الى الاصلاح فلا يمنعك الكبرياء من اصلاحه ، ولا تدع فرصة للاستعلاء ليزيد فساد ما تريد اصلاحه

https://coptic-treasures.com/

اقبل نصح الآخرين بكل شكرٍ، واجعله وسيلة لاصلاح ذاتك، وإن نصحت إنساناً فليكن بمحبة وتواضع ووداعة، وكن قدوة للجميع، كي تعلنَ أن المسيحية قد جعلتك وديعاً شفيقاً ذا أخلاق هادئة، وحياة سعيدة.

كن متواضعاً مع الكبير والصغير، ووديعاً أمام كل طبقة تصر محبوباً من الله والناس، ولا تعجب بنفسك إذا حزت أمراً حسناً، بل مجد الله الذى وهبك تلك العطية وانعم عليك بهذه النعمة، ولا تفتخر بجمال وجهك، ولا بقوة شبابك، لان الشباب والجمال زائلان، وبمرض يسير تذهب نضارة الوجة، وتضعف قوة الإنسان. ولا تفتخر بأموالك إن كانت وافرة، فقد يلحقها الصدأ ويسرقها السارقون، ولا تتباهَ بأقاربك وأصدقائك لأنهم أشراف وأقوياء، ولا تتكلم عن مفاخر أسرتك، بل ليكن مجال فخرك أنك تعرف الرب الذى يهب كل شيء لمتقيه. ولا تحسبنَّ نفسك أفضل من غيرك لئلا تحتقر فى أعين الجميع، فالله يمقتك والناس تنفر من حولك وتشمئز منك، بل عد ذاتك أقل من الجميع، وان

https://coptic-treasures.com/

كان لديك شيء حسن فاعتقد بأن عند غيرك أحسن منه ، ولن يضرك إذا اتضعت نفسك لكل انســـان ، ولكن يضرك إذا ارتفعت على بعض الناس ، لا تحب الظهور عند العظماء والكبراء وكن جذلا مسروراً بمعاشرة المتواضعين والسذج ، ابتعد عن الرياء بعدك عن الأفعى ، واطرد من قلبك النفاق ، وليكن ظاهرك كداخلك ، ولا تسمح لنفسك أن تعرف الخداع والغش . ولا تحتقر أحداً من الناس أو تهنه أو تستهزىء به ، لا صغيراً لصغره ، ولا فقيراً لفقره ، لئلا تعتبر معيراً لخالقه ، بل راع شرفَ الجميع وشعورهم على السواء ، إذا رأيت عاجزاً في الطريق فقُدْهُ إلى حيث يشاء ، ولا تستنكف ذلك ، لا تستعف من خدمة صغيرة تفرضها عليك الفضيلة والإنسانية بدعوى أنها حقيرة ودنيئة ، بل كن مثالا للجميع في خدمة غيرك عالماً أن سيدك ما جاء ليُخدَم بل ليخدُم (مت ٢٠ : ٢٨)

زُر المحبوسين ، وتفقد المرضى ، وأضف الغرباء ، وواسِ الفقراء ، وساعد الضعفاء ، وعزّ قلوب المحزونين واجبر صـــدع

https://coptic-treasures.com/

المنكسرين ، وأغث لهفة المتضايقين والمنكوبين ،وتأنّ وارفق بحال المساكين ، واطلب السماح ممن أسأته ، وبارك على من يضهدك ، وأحب الذين يسيئون اليك ، وإن احتقرك الناس وعيروك على هذه الخصال المقدسة ، فافرح وسر لان أجرك تضاعف ، واستحققت جزيل الثمن فى السموات

الفصل الرابع والخمسون

شر الكبر

الكبر أساسُ الشر ، وهو متولد من القلب المتعاظم ، مبعد عن الله ، سـائق إلى الهلاك، محبط للعبادة . مغرٍ على الرذائل ، وحائل دون الفضائل ، سم دفين ، وطاعون خفى ، والدُ الحسد ، والغدر والخيانة ، لص سارق مجد الله ، وهو من اختراع الشيطان ، محتقر لدى الله والناس ، يجعل الإنسان يفتش عن نقائص الآخرين،

https://coptic-treasures.com/

وان هو إلا علامة فساد القلب ، ودليل على جدب الروح وحرمانها من النعمة ، فما أشنعَ هذه الرذيلة وما أقبح صورتها ، أنها وحش كاسر مفترس مبيد لسائر الفضائل ، ونار محرقة للجزاء ومجففة ماء النعمة .

أما أسقط الكبرُ ملائكةً كانوا كواكب الصبح يترنمون ، أما أنزل الترفع والاستعلاء مقام آدم وسلبه النعمة حين أطاع العدو طمعاً فى الألوهية ، أما حط أقواماً ، ودك ممالك وقوّض عروشاً ، ألم ترَ أن كثيرين بعد أن كانوا متسامين فى الفضيلة أصبحوا كالخفاش الذى لا يرى ضوء النهار وشمس الظهيرة ، وقد أسقطهم التشامخُ من مرتبتهم السامية ، وحطهم من مقامهم الرفيع فاضمحلوا وفنوا وباد ذكرهم . إنه لص يسرق وينهب ويسلب ويختلس ما لله وينسبه لنفسه المحتقرة الدنيئة ، فالمتكبر يريد أن يشارك الله في مجده . فيامن يحبون الكبرياء والسؤدد والمجدَ لتصيروا مثل الله ، انظروا الى يسوع تروا أنه كان رجل أوجاع ، ومختبر الأحزان ، ولد فى مذودِ البقر ، وعاش عيشة الفقر والذل ، بحياة مملوءة تواضعاً ووداعة كى يحطم كبرياءكم ، ويكسر تشامخكم

https://coptic-treasures.com/

لا تعتدّ بذاتك فى شىء من الأشياء ، لأن بطرس الرسول ما كان ليسقط لو لم يعتد بذاته قائلا « وإن شك فيك الجميع أنا لا أشك أبداً » (مت ٢٦ : ٣٣) « قلت فى طمأنينتى لا أتزعزع ، حجبتَ وجهك فصرت مرتاعاً » (مز ٣٠ : ٦ و ٧) لا تنسب لنفسك شيئاً ، ولو حصلت على كل المواهب المادية والروحية وتساميت إلى أقصى درجات الفضيلة ، ولو أعطيت مواهب الروح القدس السامية ، كاقامة الموتى ، وإخراج الشياطين ، وشفاء المرضى ، لأنك لم تهب نفسك هذه المواهب ، واحذر أن يرتفع قلبك ، وتأخذك الكبرياء فتسقطَ وتكون فضائلك سبباً لسقوطك ، وقيامك واسطة لكسرك

علامَ تفتخر أيها الإنسانُ ، وليس لك في ذاتك شيء ، بل كل ما لديك من الله ، فهل تفتخر أنت على الله « هل تفتخر الفأس على القاطع بها ، أو يتكبر المنشار على مردده ، كأن القضيب يحرك رافعه ، كأن العصا ترفع من ليس هو عوداً » (اش ١٠ : ١٥) ما أنت إلا كعود لا يتحرك وحده ، إنما أنت فى يد الله يحركك كيف

م — ٧

https://coptic-treasures.com/

شاء ، ومتى شاء ، وبقدْر ما يشاء ، ألم يختر الله الذين بشروا باسمه من عامة الناس وأدنياء العـــالم ، نعم « اختار جهال العالم ليخزى الحكماء ، واختار الله ضعفاء العالم ليخزى الأقوياء ، واختار الله ادنياء العالم والمزدرى بهم وغير الموجود ، ليبطل الموجود ، لكى لا يفتخر كل ذى جسد أمامه » (١ كو ١ : ٢٧ - ٢٩)

« إن ظن أحد أنه شىء وهو ليس شيئاً فانه يغش نفســـه » (غل ٦ : ٣)

« إن كان أحد يظن أنه يعرف شيئاً فانه لم يعرف شيئاً بعد كما يجب أن يعرف ، ولكن إن كان أحد يحب الله فهذا معروف عنده » (١ كو ٨ : ٢ و ٣)

« ولكن لنا ثقة مثل هذه بالمسيح لدى الله ، ليس أننـــا كفاة من أنفسنا أن نفتكر شيئاً كأنه من أنفسنا ، بل كفايتنا من الله » (٢ كو ٣ : ٤ و٥)

https://coptic-treasures.com/

الفصل الخامس والخمسون

المجد البـاطل

المجدُ الباطل شر خفى ، ورياء مستور ، وطاعونٌ مبيد ، ودود يفسد الأعمالَ الصالحة ، وغرور كاذب يمثلنا بغير ما نحن عليه ، ويخيلُ لنا فضـائلَ ومواهبَ ليست فينا ولا نعرفها ، ويخفى عنا ما نحن عليه من الضعف ، هو لص سـارق يختلس كل أمتعتنا ، ويسلبنا كل ثمار جهدنا . فاحذره أيها الحبيبُ ، لأنه دليـلُ الترفع وأثر من آثار الـكبرياء ، واحترس لذاتك لئلا تـكونَ سالـكاً السلوكَ الحسن فى فضائلك ويسرقها منك المجد البـاطل ، فتغرق وأنت فى الميناء ، وتنهب وأنت فى محل الأمن ، وإلا كنت كانسان ملأ سفينته ببضائعَ ثمينة ، وترك فيها ثقباً صـــغيراً دخل منه الماء فأغرقها . حين يمدحك أحد على فضيلة فيك ، فاذكر أن خطايا ونقائصَ عدةً لاتزالُ متغلبة عليك ، حينئذ تجد نفسك غير مستحق لذلك المديح ، واعلم أن الفضيلة لا تحتاج إلى مجد الناس ، لأن هذا

https://coptic-treasures.com/

المجدالباطل عدو للحق ، وغرض للكذب ، وحليف للرياء والنفاق ، لأنه يحبب للانسان التقدم فى صدور المجالس ، وهو وحش كثير الأنياب ، أو أناء مثقوب لا يحفظ ما يوضع فيه من الفضيلة ، وأعمال صاحبه كدخان يتبدد ويضمحل فى الهواء ، فاحترس من المجد الفارغ لأنه عدو ماكر ولص سارق يختلس منك ما اكتسبته من الفضائل ، ويلج نفسك بخفة ويقضى هناك وطره دون أن تحس به

قال القديس غريغوريوس « المجد الفارغ لص مخفى متنكر يرافق المسافر كأنه مثله عابر سبيل ، وبعد ذلك يختلسه ويقتله حينما يكون أقل حرصاً على ذاته ويظن أنه فى سلامة » . وقال عنه القديس باسيليوس « إنه يختطف الكنوز الروحية بحلاوة وعدو أنفسنا بلذة »

إذا زينك الله بفضائل سامية لا تتلفها وتفقدها بالمجد الباطل ، أبعد ما تعبت وكابدت العناء الشديد تصير نفسك بهذه الرذيلة خاسراً ولا تملك شيئاً . عالج هذا الداء بأن تفعل كل شىء لمجد الله ،

https://coptic-treasures.com/

وليكن قصدك رضا الله عن عملك ، ولا تـكن كنبوخذ نصر الذى افتخر وقال « أليست هذه بابل العظيمة التى بنيتها بقوة بأسى » (دا ٤ : ٣٠) بل كن كشمشون الذى قتل الأسـد ولم يخبر أباه وأمه (قض ١٤ : ٦) إن سمعت مدحاً من أحد أعط الرب مجـد اسمه الذى يليق له وحده . قالت حنة أم صموئيل « لا تكثروا الـكلام العالى المستعلى ، ولتبرح وقاحة من أفواهكم ، لأن الرب إله عليم وبه توزن الأعمال ، يقيم المسكين من التراب ، يرفع الفقير من من المزبلة للجلوس مع الشرفاء ويملـكهم كرسى المجد » (١ صم ٢ : ٣ و ٨)

أتريد دواء ناجعاً يشفيك ويحفظك من المجد الباطل ؟ وجه نيتك فى كل ما تعمله لمجد الله الأقدس . فبقدر ما تصفو نيتك تكون أعمالك أكثر استحقاقاً للثواب لدى الرب « سراج الجسد هو العين فان كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيراً ، وان كانت عينك شريرة فجسدك كله يكون مظلماً » (مت ٦ : ٢٢ و ٢٣) فالعين هى النية «فأن كان الأصل مقدساً فكذلك الأغصان»

https://coptic-treasures.com/

(رو ١١ : ١٦) وانْ فسدت أصول الشجرة لا تنبت سوى الحطب القابل للحريق

«لله وحده الكرامة والمجد» (١ تى ١ : ١٧) » ومجده لا يعطيه لآخر » (اش ٤٢ : ٨) فمن أراد المجد فى العالم فهو شيطان يسلب حقوق الله . « ليس لنا يارب ليس لنا لكن لاسمك اعط مجداً » (مز ١١٥ : ١) « إن كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئاً فافعلوا كل شىء لمجد الله» (١كو ١٠ : ٣١) « إن كان يتكلم أحد ، فكأقوال الله ، وإن كان يخدم أحد ، فكأنه من قوة يمنحها الله ، لكى يتمجد الله فى كل شىء بيسوع المسيح ، الذى له المجد والسلطان إلى أبد الآبدين آمين » (١ بط ٤ : ١١) فاذا قرأت ، أو علمت الناس ، أو أنذرت بكلام الله ، أو خدمت الآخرين ، أو سعيت في الخير ، فاعمل كل شىء لمجده تعالى « خادمين بنية صالحة كما للرب ليس للناس » (اف ٦ : ٧)

https://coptic-treasures.com/

الفصل السادس والخمسون

عدم مدح الإنسان ذاته

قال الحكيم « ليمدحك الغريب لافمك ، الأجنبي لا شفتاك » (ام ٢٧ : ٢) وقال « طلب الناس مجد أنفسهم ثقيل » (ام ٢٥ : ٢٧) إن من يتفاخر بأعماله الصالحة ، ويتمدح بها ، غير ذاكر نقائصه ، يشبه من يخرج دمه الجيد ، ويبقى لنفسه الدم الفاسد ، فيا من تمدح ذاتك لتعطي المجد لنفسك ، أتظن أنك باظهار أعمالك تتزايد محبة الناس لك . لعمرى إنهم يستخفون بك ويحتقرونك ، لأنك ممجد ذاتك ، وإن كانوا يعدونك عاقلاً رزيناً يحسبونك خفيفاً طائشاً . فاخف فضائلك واستر كل أعمالك الخيرية ، ولا تدع لسانك يذكر منقبة واحدة تمتاز بها عن غيرك ، ولا تكن مفتخراً على الله والناس ، على مثال ذلك الفريسى الذى وقف أمام الله وقال « اللهم أنا أشكرك انى لست مثل باقي الناس الخاطفين الظالمين الزناة ولا مثل هذا العشار ، أصوم مرتين فى الأسبوع وأعشر

https://coptic-treasures.com/

كل ما أقتنيه » . ولكنه لم يحصل على فائدة ، بل أن العشار تبرر بتواضعه أمام الله « وذهب إلى بيته مبرراً ، دون ذاك ، لأن كل من يرفع نفسه يتضع ، ومن يضع نفسه يرتفع » (لو ١٨ : ١١ — ١٤)

قال الحكيم « أكثر الناس ينادون كل واحد بصلاحه ، أما الرجل الأمين فمن يجده • من يقول إني زكيت قلبي تطهرت من خطيتي » (ام ٢٠ : ٦ و ٨)

قال المخلص « متى دعيت من أحد إلى عرس فلا تتكيء في المتكأ الأول ، لعل أكرم منك يكون قد دعى منه ، فيأتى الذى دعاك واياه يقول لك اعط مكاناً لهذا ، فحينئذ تبتدىء تأخذ الموضع الأخير ، بل متى دعيت فاذهب واتكىء فى الموضع الأخير ، حتى إذا جاء الذى دعاك يقول لك ياصديق ارتفع إلى فوق ، حينئذ يكون لك مجد أمام المتكئين معك ، لأن كل من يرفع نفسه يتضع ومن يضع نفسه يرتفع » (لو ١٤ : ٨ — ١١)

قال الحكيم « لاتتفاخر أمام الملك ، ولا تقف فى مكان العظماء ، لأنه خير أن يقال لك ارتفع إلى هنا ، من أن تحط فى حضرة الرئيس الذى رأته عيناك » (أم ٢٥ : ٦ و ٧)

https://coptic-treasures.com/

« كبرياء الإنسان تضعه ، والوضيع الروح ينـــال مجداً »
(ام ٢٩ : ٢٣)

الفصل السابع والخمسون

عدمُ التفاخر بشرف الجنس

لا تفتخر بشرف أصلك ونسبك ، فماذا يفيدُك الاصل العالى والنسب الشريف ، وماذا تنفعك الدرجاتُ العـــالية ، والمناصب السامية إن كنت فى ذاتك غير فاضل . لتكن الفضيلة وحدها هى الشرف الحقيق الذى تنتسب اليه ، أتريد ياهذا أن تعرف شرف أصلك ، افتح القبور فتشاهدَ هناك عظاماً نخرة ورمماً بالية ، فهل هذه ما تفتخر بها ، قال أيوب « قلت للقبر أنت أبى ، وللدود أنت أمى وأختى » (أي ١٧ : ١٤) إنه لخير لك أن تكون تقياً فاضلاً وأنت ابن انسان فقير ، وحفيد شخص لا فى العير ولا فى النفير ،

https://coptic-treasures.com/

من أن تكون من أبناء الكرام وأفاضلهم وأنت شقى تعيس ، خال من الصلاح والادب ، إن كانت أسرتك شريفة كريمة الحسب والنسب وأنت ردىء الخصال سيىء السيرة ، فقد دنست شرف أصلك ، وأنه أحسن منك من يكون فاضلا وينشىء شرفاً له ولعائلته وهو ليس بشريف الاصل أو كريم الجدود ، لان من ينشىء الشرف أفضل ممن يضيعه ، أية فائدة تفيدك من شرف أصلك وكرم محتدك وأنت لست من ذلك الشرف فى شىء ، إن افتخارك بشرف أصلك مما يدل على أنك حقير فقير تريد أن تأخذ ما لغيرك وتستغنى به ، وأنك شقى عريان تقترض حلة الآخرين اتزين بها نفسك . فهيهات أن تفيدك هذه الامور المستعارة التى لا تملك منها شيئاً وما مثلك فى هذه الحال الا كمن يشهر فضائل غيره ويعلن للناس عيوبه . إن الذى يشرفك هو صلاحك لانسبك ، وعملك لا حسبك

قال المخلص لليهود الذين كانوا يفتخرون بانتسابهم إلى ابراهيم «لو كنتم أولاد ابراهيم لكنتم تعملون أعمال ابراهيم » (يو٨: ٣٩)

https://coptic-treasures.com/

فان كنت يا هذا تحب الانتساب إلى شرف أصلك وتريد حفظ اسم عائلتك ، فسر كما سارت واسلك كما سلكت .

إنّ داود كان من نسل حقير ، ولكنه بتقواه وتمسكه بالفضيلة قد شيد لهم صروح مجد ، وأسس لهم شرفاً سامياً . ولكن ماذا فعل آخاب الملكُ الشرير الذى كان ملكاً ومن نسل ملوك ؟ ماذا يفيد جريانُ الماء فى قناة خالية من الأوساخ وهو متعكر ممتلىء بالأوحال ، قال حزقيال النبي يوبخ أورشليم « أبوك أمورى وأمك حثية » (١٦ : ٣) قال ذلك لا لأنهم من نسلهم ، ولكن لاتباعهم شهواتهم

لا تفتخر بأنك شريف الأصل ، وتحتقر غيرك لأنه وضيع ومن عائلة حقيرة . ألسنا كلنا من أب واحد ، فان كان شريفاً فكلنا أشراف . وإن كان حقيراً فنحن متحدرون من صلبه . حسبنا شرفاً واعتباراً ومجداً اننا أولادُ الله الملك السماوى ، ندعوه بدالة المحبة « أبانا » ليس أباً لواحد منا ولكنه أب لجميعنا . وأما إن كنت شريراً فمهما كنت شريف الأصل فلا تسمع الا « أنتم من أب هو

https://coptic-treasures.com/

ابليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا » (يو ٨ : ٤٤)

إن انتساب الإنسان إلى والدين وضيعين لا يحسب عاراً ولا يعد احتقاراً ، لأن الإنسان لم يختر لنفسه هذا الحسب ، فلا تحتقر من كان كذلك بل احترمه واحتسبه كنفسك مادام فاضلاً تقياً ، واعلم أنك لو كنت ملكاً أو أميراً أو متسلطاً أو غنياً فانك إنسان، وذاك أيضاً مهما كان فقيراً حقيراً فهو أيضاً إنسان مثلك ، ولم تزد أنت عليه شيئاً إلا بأعراض فانية وصور وهمية .

شاول الملك اختاره الله من أصغر القبائل وملكه على اسرائيل ، ويفتاح المطرود من اخوته المولود من امرأة زانية انتدبه الرب لقيادة بنى اسرائيل لإنقاذهم من يد العمونيين (قض ١١) . والمخلص لم ينتخب رسله من الأمراء والأشراف ، بل من الصيادين والجهلاء والمزدرى بهم ليخزي الأغنياء والحكماء

https://coptic-treasures.com/

الفصل الثامن والخمسون

عدم التباهى بالقوة والشدة

قال الرب ،، أبطل تعظم المتكبرين وأضع تجبر العتاة ،، (ا ش ١٣ : ١١) لا تفتخر ولا تتباهَ ولا تتجبر بقوتك وبأسك مهما كانت قوتك ، فان الرب يذل المتكبرين ، ويضع العتاة . فجليات الجبار المتباهى بشدة قوته ، قتله داود وهو أعزل بقدرة الرب وقطع رأسه بسيفه .

قال المرتل ،، لن يخلص الملك بكثرة الجيش ، الجبار لا ينقذ بعظم القوة ، باطل هو الفرس لأجل الخلاص وبشدة قوته لا ينجي ،، (مز ٣٣ : ١٦و١٧)

وقال ،، لأنى على قوسى لا أتكل وسيفى لا يخلصنى ،، (مز ٤٤ : ٦) قال الحكيم ،، ان الحكمة خير من القوة والحكيم أفضل من الجبار ،، (حكمة ٦ : ١)

https://coptic-treasures.com/

إن القوة الصحيحة والشجاعة الحقيقيـة هى شهامة النفس وقوتها ، وهى ألا تخاف إلا من الشر وأن تصبر على التجـارب والأتعاب . فهذه هي القوة التى ليس بعدها قوة . إن قوة الجسد قد منحها الله للبهائم ، فليس لك فخرٌ مهما حصلت منهـــا ، أما قوة النفس ففيها شرف نفسك . وكيف تدعى القوة والشهامة وأنت ترغى وتزبد عند سماع كلمة صغيرة تقال فيـك ، فان كنت صـبوراً لدى المحن والنوائب ، لا تنزعج لنزول أدنى تجربة بك ، وتصفح عمن أساء اليك ، فأنت القوى الحقيقي . ان اضطربت من أقل شىء وخرجت عن طورك لأقل شيء ، وارقت لأقل شيء ، فأنت جبـــان وضعيف وخائر العزم والقوة ، وكفاك ضعفاً أن تقهرك آلامك ، وتملـكك شهواتك .

أين قوتك وشهامتك ، وإلى أي درجة تنتهى صولتك وجبروتك وبطشك إذا كانت لذة دنسة تقهرك . ان كنت بطـلاً شجاعاً وبطـلا مغواراً ، فاقهر سطوة القبر وشوكة الموت قبـــل

https://coptic-treasures.com/

أن يقهرك الأعداء ، أيها الإنسان المغرور بقوتك المتباهى بيأسك ، اعلم أن ذلك كله باطل فى جانب قوة النفس وشهامة القلب

فمن قاوم الخطية فهو عظيم القوة ، ومن قمع الجسد بسلاح القناعة فذاك هو القوى البطش . ومن قتل الافكار الشريرة والظنون الرديئة ، فهذا هو الفاتح الظافر الذي يستحق أن يتوج باكليل الغلبة .

https://coptic-treasures.com/

الفصل التاسع والخمسون

بطلان جمال الجسد

قال الحكيم « الحسن غش والجمال باطل » (ام ٣١ : ٣٠)

إن من جملة الأمور التى تمجد الخالق فى مصنوعاته الحسن والجمال ، غير أن كثيرين ينخدعون ويهوون الجمال ويفتخرون به وينقادون له ، بدل أعطاء المجد لله عليه ، لعمرى أن جمال شعر أبشالوم وحسنه صار له آلة لموته (٢ صم ١٨)

إن الأطفال الصغار حين يشاهدون صورة جميلة أو نقشاً فى كتاب أو على حائط ، تأخذهم الدهشة ويطيلون النظر اليه فرحين فلا تكن طفلا صغيراً حين تشاهد الجمال البديع ولا تقف مبهوتاً مندهشاً ، بل اقرأ التعليم الصالح والآداب المقدسة فى ذلك الجمال ، ففيه تراها مسطورة تشير إلى عظمة الخالق وجماله الفائق ، أعلم أن كل ما تراه من جمال الخليقة إنما هو نقطة من بحر جمال الخالق الذى لا يدرك

https://coptic-treasures.com/

لا تنظر إلى جمال الجسد ، ولكن تأمل جمال النفس الداخلية ، وأفصل بين الروح وجمال الجسد ، فلن تجد فى الجسم سوى جيفة يأكلها الدود ثم رائحة كريهة تنبعث منها ، لا تلتفت إلى الخارج ولكن أنظر إلى ذلك الحسن الكائن فى الباطن ، ولا يبهرك الجمال الخارجى فانه باطل،يغيره الزمان ويتلفه المرض ويبيده الموت ، أترى ذلك الجسم النضير، وذاك القوام المياس الذى لا يزال فى أبان شبابه كزهر الربيع الأخضر ، سوف يأتى عليه يوم يكون طعاماً للدود والحشرات الدنيئة ، أتنظر تلك الطلعة البهية وذاك الوجه الصبوح ، سيتحول إلى جثة صفراء خرساء ، هل تشاهد تلك الأعين النجل الجذابة ، سوف تغور وتتحول إلى تراب ، لعمري إن الجمال يخدع الإنسان بلا صوت ولا كلام ، فاحذر أن تطير نظرك اليه وضع حارساً لعينيك . « كل جسد عشب وكل جماله كزهر الحقل . يبس العشب ذبل الزهر لأن نفخة الرب هبت عليه » (اش ٤٠ : ٦و٧)

فزهرة الشباب لا بد أن تجف عند الشيخوخة ، وليس الجمال الحقيق هو الذى يفنى ولا يدوم ، بل هو ذاك الذى لا يغيره سقم

https://coptic-treasures.com/

ولا يعتوره ذبول ولا يتلفــه موت ؟ وهل ترى ذلك إلا فى النفس الخالدة المخلوقة على صورة الله ، فأي جمال لنفسك وأى بهاء تشتمل عليـــه ذاتك ! لو كانت النفس منظورة وتطلعت إلى جمالها الفائق لهزأت بكل جمال الخليقة ، ها أنت ترى المخلوقات والكائنات البديعة ولكن ليس شيء منها خلق على صــورة الله ، وأما النفس فهى وحدها التى تجملت بذاك الجمال الفتان ، الذى يبهر العقول ويفتن الألباب

إن شئت الجمال الحقيقي فجمل نفسك بالفضيلة والآداب الحسنة، ولا تشوهها بالرذيلة والأخلاق الرديئة . ربما تشاهد انساناً جميــلاً ذا طلعة بهية أنيسة ، ولكن نفسه غارقة فى الأدناس ومشوهة فى الداخل بالخطية ومسودة من كثرة الأثم ، وقد ترى غيره قبيح المنظرمشوه الجسد ونفسه مزينة ومجملة بالفضيلة مستنيرة بالنعمة متحلية بالآداب المقدسة ، فلا تنظر إلى الخارج بل التفت وتأمل دائماً فى الباطن

---

https://coptic-treasures.com/

الفصل الستون

عدم التأنق الزائد بالملابس الفاخرة

إن القصد من الملابس هو أن يستر الإنسان بها جسمه وأن تحميه من زمهرير الشتاء وحمّارة القيظ ، فلا تقصد بها إلى غير ذلك، ولا تهتم بالزينة الخارجية ، لأنك مهما تزينت بأبهى الحلل فلا يمكنك أن تظهر بهياً أكثر من زنابق الحقل ، التى سليمان فى كل مجده لم يلبس كواحدة منها (مت ٦ : ٢٩)

قال بولس الرسول « فان كان لنا قوت وكسوة فلنكتف بهما » (١ تى ٦ : ٨)

وقال بطرس الرسول عن زينة النساء « ولا تكن زينتكن الزينة الخارجية من ضفر الشعر والتحلى بالذهب ولبس الثياب ، بل إنسان القلب الخفي فى العديمة الفساد ، زينة الروح الوديع الهادىء ، الذى هو قدام الله كثير الثمن » (١ بط ٣ : ٣و٤)

https://coptic-treasures.com/

وقال بولس الرسول « إن النساء يزين ذواتهن بلباس الحشمة مع ورع وتعقل ، لا بضفائر أو ذهب أو لآلىء أو ملابس كثيرة الثمن ، بل كما يليق بنساء متعاهدات بتقوى الله بأعمال صالحة » (١ تى ٢ : ٩و١٠)

فاذا كان هذا هو أمر الرسول للنساء ، فكم بالحرى يجب عليك أنت أيها الرجلُ أن تكون زينتك الروح لا اللباس ، فأي فائدة إذا كنت من الخارج مزيناً ، وفى الداخل دنساً . فكأنك مثل القبور المكلسة من الخارج مبيضة ومن الداخل مملوءة عظاماً نخرة ، أو كصنم مطلى بالذهب والفضة ولاروح البتة فى داخلة (حب٢: ١٩)

بأى وجه تزين جسدك بأنواع الزينة الباطلة ، وتدع نفسك عريانة وهى التى تستحق كل إكرام وزينة ، إنك لخطيتك لاتستحق سوى الازدراء ، الا يامن يتفاخر بالملابس القشيبة ، ويزين نفسه بالزينات الباطلة ، ماذا تفيدك كل هذه الأباطيل وأنت بعد قليل يفرش تحتك الصديد ويكون غطاؤك الدود (اش ١٤ : ١١)

إن اهتمامك بالزينة الخارجية والملابس الفاخرة لما يجعلك حقيراً

https://coptic-treasures.com/

فى أعين الذين يعرفونك ، فبدلاً من أن يعتقدوا فيك العقل والرزانة يحسبونك جاهلاً طائشاً ويستخفون بك ، ليتك ترفع ألحاظك الى مخلصك وتنظر اليه عرياناً على الصليب لأجلك ، ليتك تجعله نصب عينيك اذاً لكنت تهتم بتزيين روحك بالزينة الحقيقية

الفصل الحادى والستون

عدم توخى مرضاة الناس

قال الرسول « أفأستعطف الآن الناس أم الله ، أم أطلب أن أرضى الناس ، فلو كنت بعد أرضى الناس لم أكن عبداً للمسيح » (غل ١ : ١٠) « فمن أراد أن يكون محباً للعالم فقد صار عدواً لله » (يع ٤ : ٤) قال المخلص « مجداً من الناس لست أقبل . كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجداً بعضكم من بعض والمجد الذى من الأله الواحد لستم تطلبونه » (يو ٥ : ٤١ و٤٤)

https://coptic-treasures.com/

ليكن رائدك في كل شيء أن ترضى الله وحده ، ولا تبتغي رضا الناس بوجه من الوجوه ، لا تفرح ان أكرمك الناس ، ولا تغتم ان تهاونوا بك ، فان مدح الناس لا يزيدك صلاحاً ، وذمهم واستهانتهم لا تنقصان من قيمتك عند الله ، فان الظن البشرى أعمى فى غالب الأحيان ، لايعرف الحق ويخدع فى أمور كثيرة ، احذر فى كل أعمالك أن تكون مبتغياً مجد العالم ورضا الناس لئلا تضيع استحقاقك ، وان فعلت أمراً حسناً فأعط المجد لله الذي أسعفك وقواك على ذلك العمل ، واذا رأيت قوماً أحبوك أو استأنسوا بك أو رضوا عنك فلا تحسب ذلك لفضيلة أو استحقاق فيك ، بل لفضيلتهم ونقاوة قلوبهم ، وقل فى نفسك انهم لو عرفوا حقيقة حالي لما بذلوا لى المحبة والود ، وان لم تر أحداً راضياً عنك فعد ذلك لذنوبك وعدم استحقاقك وانظر الى ذاتك كي تقوّم ما فيها من الاعوجاج

ان احتُقِرت أو أهنت أو ازدري بك فى بعض الأحيان فلا يحزنك ذلك ، بل سلم الأمر لله واطلب تعزيته ورضاه وحده . ان

https://coptic-treasures.com/

قيل فيك كلمة رديئة فلا تغتم لها لأنه ليس بعجيب أن يقول الناس عنك ما قد تجاسرت عليه وفعلته ، وإن كان قول النـاس فيك لا أصل له فلا يضرك . إن جزاء البشر حقير ودنىء وزائل سريع الفنـــاء ، فلا تنتظر مكافأة منهم ، بل اطلب كل مكافأتك من الله الذى لا يضيع أجر أحد . إن كانت لديك درة ثمينة فهل تطلب أن يثمنها لك من لا يعرف قيمتها ، لا : فكيف تبتغى رضا أحد غير الله وحده ، وهو الذى يعرف قيمة أتعابك وأفعالك ، من دون النـــاس .

الفصل الثانى والستون

عدم الاكتراث لأقوال الغير ، وانه لا ينبغي ترك عمل الخير لأجل كلام الناس

ما دمت طالباً مرضاة الله فى كل أعمالك ، فلا تخشَ كلام الناس وتقولاتهم الباطلة ، ولا يهمك أمدحك الناس أم ذموك ، وإن سمعت ذماً وقدحاً وعدم استحسان لعمل تعمله لمجد الله ، فلا يؤلمك ذلك الكلام ، ولا تدعه يثبط عزيمتك ويوهى قوتك ، مادمت لا تبتغى رضا الناس بل مرضاة الله

قال الرسول « البسوا الرب يسوع المسيح » (رو ١٣ : ١٤) ومتى لبست الرب يسوع حينئذ تعود مقتدراً على فعل ما تريد من الخير ولا يؤذيك كلام الناس ، ولكن احذر واحترس من أن تكون لابساً صورة المسيح منافقاً ومرائياً ، تتظاهر بالتقوى والورع أمام الناس وأنت في الباطن ترتكب المآثم والقبائح ، بل البس الرب

https://coptic-treasures.com/

يسوع نفسه واحمله في قلبك ، ولتكن كل حياتك مظهراً لحياة المسيح فيك

إن الكتاب مدح نوحاً البار وقال الله له « إياك رأيت باراً أمامي » (تك ٧ : ١) وقال عن والدي يوحنا المعمدان « انهما كانا بارين أمام الله » (لو ١ : ٦) فهذا هو المدح الحقيقي لأنه من الرب . كان الفريسون يتظاهرون بالقداسة والبر بينما كانوا في الداخل مملوئين دنساً ، وقد وبخهم المخلص قائلاً « ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤن لأنكم تشبهون قبوراً مبيضة تظهر من خارج جميلة وهي من الداخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة ، هكذا أنتم أيضاً من خارج تظهرون للنـــــاس أبراراً . ولكنكم من داخل مشحونون رياء وإثماً » (مت ٢٣ : ٢٧ و ٢٨)

لتترقب مدحك من الله ، وأجرك من السماء ، وكن مع الله فلا تضرك أقوال الناس مهما كانت ، كثيرون كانوا ممدوحين من العالم وممجدين من الناس ، وهم الآن في الجحيم يعذبون ، وكثيرون كانوا محتقرين ومعتازين ومكروبين ومذلين ومخذولين وهم الآن

https://coptic-treasures.com/

يتعزون فى ملكوت الله وقد حسبوا فى عداد القديسين الذين لم يكن العالم مستحقاً لهم (عب ١١ : ٣٨)

قال الرسول « إنى أرى أن الله أبرزنا نحن الرسل آخرين كأننا محكوم علينا بالموت ، لأننا صرنا منظراً للعالم ، للملائكة والناس ، نحن جهـــال من أجل المسيح ، وأما أنتم فحكماء فى المسيح ، نحن ضعفاء وأما أنتم فأقوياء ، أنتم مكرمون وأما نحن فبلا كرامة ، إلى هذه الساعة نجوع ونعطش ونعرى ونلكم وليس لنا إقامة ونتعب عاملين بأيدينا ، نشتم فنبارك ، نضطهد فنحتمل ،يفترى علينا فنعظ، صرنا كأقذار العالم ووسخ كل شىء إلى الآن » (١ كو ٤ : ٩ — ١٣) وما أكثر التعييرات التى وقعت على بولس الرسول حتى سُمى مهذاراً (١ع ١٧ : ١٨) وأنه يهزي (٢٦ : ٢٤) . وما أكثر الافتراء الذى وقع على المسيحيين وعلى الكرازة باسم المسيح، وقد كانت كلمة الصليب جهالة عند الأمم

إن ذمك الناس ورذلوك وأنت سالك سبيل الرب فماذا يهمك، إن البشر يحكمون بحسب الظاهر ، وأما الله فمطلع على الباطن ،

https://coptic-treasures.com/

والإنسان ينظر إلى العينين ، وأما الرب فانه ينظر إلى القلب (١ صم ١٦ : ٧) ليس في قدرة النـــاس أن يمنحوك عطية ، أو يهبوك الملكوت ، ولو كان كل أفراد العالم اصدقاءك وخلانك لما استطاعوا أن ينقذوك من دينونة الله ، فاعمل ما يجب عليك ، ولا تلتفت إلى مذمة الناس وتعييراتهم ، وحسبك أن توجه قلبك إلى الله وتطاب رضاه ، تجاهل كل اضطرابات العالم وأصواته المزعجة

إن الذين يركضون فى الميدان لأجل الجعالة لا يهمهم رأي الناس الذين يمدحونهم أو يذمونهم ، بل ينظرون إلى المكافأة والجزاء ، وانتظر المدح من الله والمكافأة منه وحده ، ولا يهمك أمدحك الناس أم ذموك ، فان من يجمع الشهد لا يثنه لدغ النحل ، ومن يتطلع إلى المعالى يستهين بكل شيء حتى يدرك غايته . إن المصور الماهر لا يتألم إن عابه أحد الجهال . هل أنت أجل قدراً من مخلصك الذي لم ينج من تعييرات الفريسيين ؟ قالوا عنه إنه سامرى، وإن به شيطاناً ، وإنه ليس من الله ، وإنه يمكث مع العشارين والخطاة ، وانه ينقض السبت ، فان كان مخلص العالم لم يسلم من

https://coptic-treasures.com/

الذم والهجو ولم يفلت من الأقوال المختلفة والظنون الكثيرة ، فما بالك تحزن وتكتئب اذا لم يمدحك الجميع ، وقد قال المخلص « ويل لكم اذا قال فيكم جميع الناس حسناً » (لو ٦ : ٢٦)

من العار الشديد أن يمنعك كلام الناس عن فعل الخير . إن الأعمى الذى كان جالساً فى أريحا عند ما كان يصرخ ويستغيث بيسوع لم يخلُ من تبكيت بعض الناس له ، ولكنه كان يزداد صياحاً كلما انتهروه (لو ١٨ : ٣٨ و ٣٩)

ان ألسنة المتفوهين بالشر لن تكف عن التعييرات والمذمات ، ولن تسكت أبداً ، فاتبع طريق الفضيلة غير ملتفت الى كلام الناس ، واعمل الخير ، وثابر على عمل الفضيلة ، وكن مصطلحاً مع الله وضميرك ، مزكى أمامه تعالى ، واعمل مشيئته ، فيلازمك الهدوء والسلام .

ان الذين يتركون عمل الخير لأجل كلام الناس ، يشبهون الخيول التى تجفل من ظلها ، فلا تكن طفلاً يرهب نبح الكلام ، فالعالم ينبح وراءك ليصدك عن الخير ، فلا تلتفت الى ذلك ، لأن

https://coptic-treasures.com/

أحداً لايقدرُ أن يضرك ، لا يصدنَّك أحد عن أي عمل خيري فيه مجدُ الله وخيرُ الإنسانية خوفاً من كلام الناس ، لئلا تحسب من المبتغين كرامة العالم لا كرامة الله ، واقطع رجاءك من العالم، واحسبه غباراً وهباء أمام مجد الله .

قال الرسول « هكذا نتكلم لا كأننا نرضى الناس بل الله الذى يختبر قلوبنا » (١ تس ٢ : ٤) إن كلام البشر ما هو الا ورقة تتحرك في الريح فهل تخافها وترتعب منها ! قال الحكيم « السالك باستقامة يتقي الرب والمعوج طرقه يحتقره » (ام ١٤ : ٢) « أهل الدماء يبغضون الكامل ، أما المستقيمون فيسألون عن نفسه » (ام ٢٩ : ١٠) لا تنقص قيمة الذهب اذا رفضته الحيوانات التى لاتعرف سوى التبن ، وليس بنقيصة الشمس أن لم ترها اليوم « ويل للقائلين للشر خيراً وللخير شراً ، الجاعلين الظلام نوراً والنور ظلاماً ، الجاعلين المر حلواً والحلو مراً ، ويل للحكماء في أعين أنفسهم والفهماء عند ذواتهم » (اش ٥ : ٢٠ و ٢١)

فيا أيتها النفوس لا تخافي ولا تجبني أمام الأشرار ، ولا يرجعنك

https://coptic-treasures.com/

عن عملك مثل هؤلاء المهذارين ، بل انظرى الى عروسك السماوى ، انه ليس بحقير ولا مهان حتى تخافى من أن تحملى عاره .

« موسى لما كبر أبى أن يدعى ابن ابنة فرعون ، مفضلاً بالأحرى أن يذل مع شعب الله ، على أن يكون له تمتع وقتى بالخطية ، حاسباً عار المسيح غنى أعظم من خزائن مصر ، لأنه كان ينظر الى المجازاة » (عب ١١ : ٢٤ — ٢٦)

الرسل لما جلدوا من مجمع اليهود ذهبوا فرحين من أمام المجمع ، لأنهم حسبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل اسمه (اع ٥ : ٤١)

قال السيد « ليس التلميذ أفضل من المعلم ، ولا العبد أفضل من سيده ، يكفى أن يكون التلميذ كمعلمه والعبد كسيده ، ان كانوا قد لقبوا رب البيت بيعلزبول ، فكم بالحرى أهل بيته ، فلا تخافوهم » (مت ١٠ : ٢٤ و ٢٦)

« ان كان العالم يبغضكم فاعلموا انه ابغضنى قبلكم ، لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته ، ولكن لأنكم لستم من العالم ، بل انا اخترتكم من العالم ، لذلك يبغضكم العالم » (يو ١٥ : ١٨و١٩)

https://coptic-treasures.com/

قال الرسول ,, لأن فخرنا هو هذا شهادة ضميرنا ، اننا فى بساطة وأخلاص الله لا فى حكمة جسدية ، بل فى نعمة الله تصرفنا فى العالم » (٢ كو ١ : ١٢)

قال أيوب « الآن هوذا فى السموات شهيدي ، وشاهدى فى الأعالي » (أى ١٦ : ١٩)

فليكن على الله اعتمادك وبه رجاؤك ، ودع أصحاب الأباطيل يقولون ما يقولون ، فان الزوان لا يخنق القمح ، والشوك لا يمنع نمو الورد .

https://coptic-treasures.com/

الفصل الثالث والستون

عدم التهاون بصيتنا واعراضنا

قال الحكيم « الصيت أفضل من الغنى العظيم » (ام ٢٢ : ١)
« الصيت خير من الدهن الطيب » (جا ٧ : ١)

إننا وإن كان يجب علينا ألا نفشل ، ولا نهتم كثيراً لأقاويل الناس الباطلة ، إلا أنه يجب علينا أن نحافظ على شرفنا وصيتنا أمام جميع الناس ، فلا تتهاون بحسن سمعتك وتدع النـــاس يقولون ما يقولون ، نعم تقول هذا القول عند ما تؤدى كل واجباتك ومع ذلك يرميك الأشرار بالمثالب والمعايب باطلا ، حين لا تقدر أن تدافع عن صيتك وحسن سمعتك ، فان الرسول يوصينا قائلا « معتنين بأمور حسنة قدام جميع الناس » (رو ١٢ : ١٧) «ولا يُفترى على صلاحكم » (رو ١٤ : ١٦) متجنبين هذا أن يلومنا أحد فى جسامة هذه المخدومة منا ، معتنين بأمور حسنة ، ليس قدام الرب فقط ، بل

https://coptic-treasures.com/

قدام الناس أيضاً » (٢ كو ٨ : ٢٠ و٢١) وقال « أخيراً أيها الأخوة كل ما هو جليل ، كل ماهو عادل ، كل ما هو طاهر ، كل ما هو مسر ، كل ماصيته حسن ، إن كان فضيلة وإن كان مدح ، ففى هذا افتكروا» (فى ٤ : ٨) وعلمنا أن الذى يختار إلى وظيفة يجب أن تكون له شهادة حسنة من الذين هم من خارج » (١ تى ٣ : ٧) وقال « لسنا نجعل عثرة فى شىء لئلا تلام الخدمة ، بل فى كل شىء نظهر أنفسنا كخدام الله » (٢ كو ٦ : ٣و٤) . وقال عن المسيحيين « أنتم رسالتنا مكتوبة فى قلوبنا ، معروفة ومقروءة من جميع الناس ، ظاهرين أنكم رسالة المسيح مخدومة منا ، مكتوبة لا بحبر بل بروح الله الحى ، لا فى ألواح حجرية بل فى ألواح قلب لحمية » (٢ كو ٣: ٢ و ٣) « لكى تكونوا بلا لوم وبسطاء، أولاداً لله بلا عيب ، فى وسط جيل معوج وملتو ، تضيئون بينهم كأنوا فى العالم » (فى ٢ : ١٥) « مقدماً نفسك فى كل شىء قدوة للأعمال الحسنة ، ومقدماً فى التعليم نقاوة ووقاراً وإخلاصاً وكلاماً صحيحاً

https://coptic-treasures.com/

غير ملوم ، لـكي يخزى المضاد إذ ليس له شيء ردىء يقوله عنـكم »
(تى ٢ : ٧ و٨)

قال بطرس الرسول « وأن تـكون سيرتكم بين الأمم حسنة ، لـكى يكونوا في ما يفترون عليكم كفاعلى شر ، يمجدون الله فى يوم الافتقاد من أجل أعمالـكم الحسنة التى يلاحظونها » (١ بط٢:١٢)

« من يؤذيكم إن كنتم متمثلين بالخير ؟ ولـكن إن تألمتم من أجل البر فطوباكم . أما خوفهم فلا تخـافوه ولا تضطربوا ، بل قدسوا الرب الأله فى قلوبكم ، مستعدين دائماً لمجاوبة كل من يسألـكم عن سبب الرجاء الذى فيكم بوداعة وخوف ، ولـكم ضمير صالح لـكي يكون الذين يشتمون سيرتكم الصالحة فى المسيح يخزون فيما يفترون عليـكم كفاعلى شر » (١ بط ٣ : ١٣ - ١٦)

فاحتفظ بشرفك الشخصى وصيتك ، ولا تدع شـيئاً يخدش حسن سمعتك ، بل كن على الدوام مثالاً للـكمال والآداب « فليضىء نوركم هكذا قدام الناس ، لـكي يروا أعمالـكم الحسنة ويمجـدوا أباكم الذى فى السموات » (مت ٥ : ١٦)

https://coptic-treasures.com/

الفصل الرابع والستون

فى وجوب اقتران العلم بالعمل

قال الرسول « العلمُ ينفخ ولكن المحبة تبنى ، فان كان أحد يظن أنه يعرف شيئاً فانه لم يعرف بعد كما يجب أن يعرف ، ولكن إن كان أحد يحب الله فهذا معروف عنده » (١ كو ٨ : ١ — ٣)

لا تفتخر بعلمك ولا تظن بنفسك شيئاً مهما حصلت من المعرفة، لأنك مهما بلغت إلى أقصى حدود المعرفة فلا تقدر أن تفوق الشياطين فى علمهم .

قل لي أيها الأخ : ما فائدتك من معرفتك الكتب ومعانى الأسرار ورسوخك فى العلم وأنت سيء النية دنس الضمير ؟ فهذا العلم الذى لم يصل إلى قرارة قلبك ويبر عواطفك ويهذبك ويصدك عن الشر ، لا تدعوه علماً ومعرفة وحكمة . وان أردت العلم الحقيقي فاغرس ما تعلمه فى قلبك ، واسلك السبيل الذى يرشدك اليه في الباطن ، واهتدِ بهدايته . لعمرى أن الرجل المسيحي البسيط أفضل

https://coptic-treasures.com/

من ذلك العالم المتكبر الخالى من نعمة الله . قال المخلص « إن علمتم هذا فطوبا لكم إن عملتموه » (يو ١٣ : ١٧) ، وقال يعقوب الرسول « ولكن من اطلع على الناموس الكامل ، ناموس الحرية وثبت وصار ليس سامعاً ناسياً ، بلا عاملاً بالكلمة ، فهذا يكون مغبوطاً فى عمله » (يع ١ : ٢٥)

من ابتغى العلم وطلبه لكى يكون عالماً فقط ، فهذا غبى جاهل، ومن قصده ليكون معروفاً مشهوراً لدى الناس فهو مغرور ، ومن توخاه طلباً للربح والمال ، فهو يتاجر تجارة خاسرة باطلة . ومن طلبه لإصلاح نفسه ، ونفع قريبه ، فهو الحكيم الفاضل الذى تمسك بالفضيلة الكبرى . العلم بدون عمل كشجر بلا ثمر لا فائدة فيه . إن الكهنة أخبروا هيردوس عن مكان ميلاد المسيح ، ولكنهم لم يذهبوا مثل المجوس ليسجدوا له ، وأولئك الرعاة السذج ، انقادوا طائعين لصوت البشارة ونالوا النعمة بمشاهدتهم ابن الله . إن عالماً واحداً ذا ضمير نجس يضر أكثر من مائة جاهل ، لأن خطايا المعلمين هى كبريات الخطايا .

https://coptic-treasures.com/

قال الرب « أما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيماً في ملكوت السموات » (مت ٥ : ١٩) وقد قيل عن المخلص إنه ابتدأ يعمل ويعلم (اع ١ : ١) . ان من يعلم الفضيلة يجب عليه أن يعرف طريقها ، ويكون قدوة فيها قبل أن يعلمها،وإلا كيف يقود شعباً في طريق لم يسلكها قبلهم ؟ أيها المعلم إذا لم تذق حلاوة تلك الثمرة فبأي وجه تمتدح الشجرة ، ان السيد قد لعن تلك التينة التي لم يجد فيها سوى الورق ، فاحذر أيها المعلمُ غيره لئلا يصيبك ما أصاب تلك التينة حين لا يوجد فيك ثمارُ الأعمال بل ورق الكلام فقط ، وماذا تفيدك حينئذ فصاحتك وحسنُ منطقك واقتدارك على التعبير ، لا تكن كالبئر يغسل بمائها الأواني وهي ممتلئة بالأقذار والأوحال في عمق قرارها ، ولا تكن كالضفاضع تنقنق وهي في الطين ، كيف تكون مغموراً بالرذيلة وفي الوقت نفسه تمدح الفضيلة وتدعو الناس اليها ، إن كلماتك البليغة وألفاظك الطلية لا تصل إلا إلى آذان السامعين ، لأنها لم تبرز الا من الفم فقط ، ولكن إن رمت امتلاك القلوب ، ووصول كلامك إلى عمق الأفئدة ، فليصدر كلامك من

https://coptic-treasures.com/

قلبك ، فالنار لا تشتعل الا بنار مثلها ، فكذلك إن شئت أن تشعل قلوب سامعيك فليلتهب أولا قلبك بنار المحبة والفضيلة ، وعند ذلك يمكنك اصلاء ناراً فى تلك القلوب ، فالقلب يخاطبُ القلبَ والروح تؤثر فى الروح .

قال المخلص لقوم أمسكوا امرأة فى زنى ليرجموها « من منكم بلا خطية فليرجمها أولاً بحجر، فعند ذلك خجلوا » (يو ٨ : ١ — ١٠) فكذلك أنت أيها المعلم احذر أن تخجل ولا تقدر أن توبخ تلك الخطايا التى ربما سقطت فيها . قال الرسول «اقمع جسدي واستعبده، حتى بعد ما كرزت للآخرين لا أصير أنا نفسي مرفوضاً » (١ كو ٩ : ٢٧)

قال يعقوب الرسول « من يعرف أن يعمل حسناً ولا يعمل فذلك خطية له » (يع ٤ : ١٧) من يقول ولا يعمل فهو يزرع زرعاً جيداً ولا يأكل من ثمره ، ويشبه انساناً يجلس على مائدة فاخرة ممتلئة أطعمة شهية يقدمها للآخرين ويقوم جائعاً خاوياً .

ان الرب لما أعطى الشريعة من جبل سيناء ظهرت أولا بروق

https://coptic-treasures.com/

ورعود ولهيب نار وحينئذ ابتدأ الرب يتكلم ، هكذا اشتعل أنت أولا بنار المحبة وحينئذ تصدر منك رعود التوبيخات الصارمة وبروق التعليم الإلهى ، فيكون لكلامك وقع وتأثير فى قلوب سامعيك ، ان المرضعة التى ترضع الطفل تتناول غذاءها الجيد كى يستحيل الى مادة مغذية تغذي الطفل منه ، فكذلك أنت ان لم تكن مغتذياً بالنعمة ومتشبعاً بحرارة الروح فلا تستطيع أن تغذى غيرك ، النار تحرق كلّ مادة قريبة منها قبل أن تلهب المواد البعيدة ، فلتلهبك أولا حرارة الإيمان فأنك أقرب اليها ، وحينئذ تلهب البعيدين عنك ، كيف تقدم مياها ليشرب غيرك وأنت عطشان ظمآن ، اشرب أولا ثم ُعد وارو ِ ظمأ الآخرين .

قال الرسول لتيموثاؤس «كن قدوة للمؤمنين فى التصرف ، فى المحبة ، فى الروح ، فى الإيمان ، فى الطهارة ، اعكف على القراءة والوعظ والتعليم ، اهتم بهذا ، كن فيه ، لكى يكون تقدمك ظاهراً فى كل شىء ، لاحظ نفسك والتعليم ، وداوم على ذلك ، لأنك ان فعلت ذلك تخلص نفسك والذين يسمعونك أيضاً» (١تى ٤: ١٢-١٦)

https://coptic-treasures.com/

الفصل الخامس والستون

ان الرؤساء هم قدوة لغيرهم

إن كنت رئيساً فاجتهد أن تكون نموذجاً حسناً فى سائر تصرفاتك ، واحذر فى أي عمل تعمله أن تميل هنا أو هناك ، لأنك أمام مرءوسيك كمرآة ، مايرونه فيك يفعلونه وما تعمله يقتدون به ، فان كانت أعمالك كلها في طريق الخير اقتدوا بك ، وإن حدت عن طريق الفضيلة تتبعوا خطواتك ، وان تعديت الواجب واستهنت بالحقوق ساروا فى طريقك ، واعلم أن خطأ الرئيس فى أي أمر مهما كان صغيراً يعد كبيراً ، لأنه تنتج منه عثرات وتعديات لكثيرين ، إن سقوط حجر صغير من جبل لايؤثر ، لأنه يمكث فى مكان سقوطه، ولكن بسقوط صخرة كبيرة تسقط أحجار كثيرة وتحدث ضرراً بليغاً ، وسقوط حجر من بناء لا يحدث تلفاً ، ولكن سقوط حجر من الأساس يتلف كل البناء المركب عليه . فكذلك إذا زل

https://coptic-treasures.com/

أحد الأفراد فزلته لا تؤثر فى غيره ، ولكن زلة العالم والرئيس الكبير مدعاة لزلة الكثيرين وسقوط الآخرين

قال الحكيم ابن سيراخ « على شبه الوالى تكون خدامه ، ومثل مدبر المدينة هكذا تكون سكانها » (ص ١٠ : ٢) إن كان العود مستقيماً كان ظله مثله ، وإن كان معوجاً كان الظل أعوج ، ذكر عن أبيمالك أنه أخذ الفأس بيده وقطع غصن شجرة ورفعه ووضعه على كتفه وقال للشعب الذى معه : ما رأيتمونى أفعله فاسرعوا افعلوا مثلى ، فقطع الشعب أيضاً كل واحد غصناً وساروا وراء أبيمالك (قض ٩ : ٤٨ و ٤٩)

إن شئت أن يتبعك مرءوسوك فى كل ما تريد فكن قدوة لهم ، وسر أنت أولا في الطريق ، وافتح لهم طريقاً ومعبراً . فيجوزون بعدك الطريق التى فتحتها لهم ، إن الرأس هى التى ترشد كل الأعضاء ، فان كانت ضعيفة وهنت جميع الأعضاء وضعفت ، وإن كانت منتبهة فكل الأعضاء نشيطة متيقظة ، هكذا أنت يامن ألقيت اليك ادارة منصب ، فكن حياً نشيطاً فاضلاً حازماً مثالاً

https://coptic-treasures.com/

للجد، والثبات فتجد صورتك قد انطبعت فى كل واحد من مرءوسيك.
إن الخراف تتبع راعيها أينما ذهب ، والرعية تسير كما يسير رعاتها ، فاحذر أيها القائد أن تكون عثرة لرعيتك . فمتى تعكرت البئر من الداخل بالأوساخ ، تعكرت المياه التى فيها ، فكذلك متى اضطرب الرئيس اختل نظام المرءوسين معه ، لذلك لما اضطرب هيردوس اضطربت كل أورشليم معه (مت ٢ : ٣)

إن العيب الذى يبدو من عامة الشعب هو بمنزلة خدش فى اليد أو فى الرجل يمكن ستره واخفاؤه ، ولكنّ العيب الذى يبدو من رئيس أو شريف فى قومه يكون كوشم فى الوجه يظهر واضحاً للناظرين ، فاحذر أيها الربان أن تكون غير حكيم فتغرق السفينة ومن فيها ، وتجنب أيها الراعي أن تقود رعيتك فى برية قاحلة فتهرب الغنم وتتوه منك في الجبال ، واحترس أيها القائد خشية من هزيمة جيشك أمام الأعداء ، وتيقظ وتنبه وكن دائماً مثالاً لكل فضيلة وكمال .

https://coptic-treasures.com/

الفصل السادس والستون

المحبـــة

المحبة أساسُ الفضائل ، وينبوعُ الآداب ، ورباط الكمال ، وهى عقد ثمين ينظم جميع لآلىء الفضائل . وبدونها لا تحوز فضيلة من الفضائل . فلا عبادة ، ولا صلاح ، ولا تقوى ، ولا خشوع ، ولا صلاة ، ولا تواضع ، ولا وداعة ، ولا صبر ، ولا احتمال ، ولا صدق ، ولا احسان ، ولا لطف ، ولا سلام ، ولا امتناعاً عن خصام ، ولا نجاة من حرب وسلب ، الا بالمحبة وفى المحبة ولأجل المحبة . أنها أسّ الفضائل ، ومنشئة القديسين ومكملة الأبرار . هى التى ملأت السماء بالبشريين

المحبةُ مدرسة سامية مقدسة ، نتعلم فيها كل دروس الفضائل . ورئيس هذه المدرسة معلم ماهر قد حاز كلّ كنوز الحكمة والعلم ، قادر على كل شىء حتى يسكب مواهبه ونعمه على كل طلبة مدرسته، لا يمكن اللحاق بهذه المدرسة الا بالمحبة ، وفوق بابها قد رفع علم

https://coptic-treasures.com/

مكتوب عليه بيد القادر على كل شيء ، بيد دامية من أثر المسامير « الله محبة » . وقد أسست على المحبة وبالمحبة ، فسقفها محبـــة ، وأساسها محبة ، وأسوارها محبة ، وعلى يمينها وعلى يسارها محبة ، وكل شيء فيها محبة ، والدروس هناك لا تلقى الا على منبر المحبة ، والإمتحان فيها تظهر نتيجته من المحبة ، ولا يعرف التلميذ أنه ماهر فى ســائر فضائله الا أن أكمل المحبة . فى هذه المدرسة قد تعلم القديسون ، وجميع الشهداء والمجاهدين وكل الذين فى السماء فيهـا تخرجوا ونالوا شهاداتهم .

فمن لى بلسان فصيح ، ومقول ذرب بليغ ، لأمدحك واقرظك أيتها المحبة المقدسة ، يامنشئة القديسين ووالدة الأبرار والمنتخبين ، هل يقوى لسان العجزة أن يصف مقدارك ويحدد مدى فضلك غير المتناهى ، فأنت أساس الفضائل والكمال ، ومن امتلكك فقد حاز كل شيء ، ومن تتلمذ لك فقد تعلم كل شيء .

ان للمحبه فروعاً كثيرة لا تعد ولا تستقصى ، فالاتحاد والدعة، والمسامحة ، وروح الاحتمال ، من أصولها وثمارها ، والتأنى ، والرفق،

https://coptic-treasures.com/

والصبر، واللطف، والصداقة، والائتلاف، وعدم الشقاق، وعدم الحسد، وعدم الظن السيء، كلها من أولادها، فهي تلد بنين وبنات مباركين في قلب الإنسان، وتفرخ أغصاناً طاهرة، وتبعث أشمة مقدسة نقية قوية تنير كل شيء. «المحبة تتأنى وترفق، المحبة لا تحسد المحبة لا تتفاخر، ولا تنتفخ، ولا تقبح، ولا تطلب ما لنفسها، ولا تحسد، ولا تظن السوء، ولا تفرح بالأثم، بل تفرح بالحق، وتحتمل كل شيء، وتصدق كل شيء وترجو كل شيء» (١ كو ١٣ : ٤ — ٧)

المحبة أثمن كل شيء وأجمله، المحبة تخفف الأثقال، وتحتمل المكاره بصبر، وهي تجعل المر حلواً وتقود الإنسان الى العلو، وترغبه دائماً في السلام، صادقة مسالمة أنيسة وديعة أمينة، ذات حلم ومروءة في كل شيء، وهي متواضعة ومطيعة خالية من العجرفة والكبرياء، وهادئة ورصينة ونقية، منها يصدر كل خير، وصاحبها يستريح في السلام والراحة الكاملة، لا شيء أحسن من المحبة، ولا شيء أثمن، ولا أجمل، ولا أفضل، ولا أكمل، ولا

https://coptic-treasures.com/

أبهج ، ولا اعذب من المحبة . المحبة أرفع وأسمى وأجل شيء ، ولا يوازيها شيء فى السماء ولا على الأرض

من تسكن المحبة قلبه يكون صبوراً متأنياً مترفقاً وديعاً ، يفرح بالخير للآخرين ويحتمل المتاعب والمشقات بصبر جميل ، ويصدق الناس ، ولا يكذب أحداً ، ويرجو الخير والنفع للناس كما يرجوه لنفسه . ومن تتملكه المحبة لا يحسد ولا يتعظم ولا يتعالى ولا يغضب، بل يكون ذا صفح وغفران لمن يسيء اليه ، ولا يظن السوء بأحد . المحب لا يطلب ما لنفسه ، لأن محبة الذات تعدم أمام المحبة الطاهرة. المحب لا يريد خير نفسه فقط بل يطلب الخير لكل أحد « فان كان وعظ ما فى المسيح ، إن كانت تسلية ما للمحبة ، إن كانت شركة ما فى الروح ، إن كانت إحشاء ورأفة ، فتمموا فرحى حتى تفتكروا فكراً واحداً ولكم محبة واحدة ، مفتكرين شيئاً واحداً ، لا شيئاً بتحزب أو بعجب ، بل بتواضع حاسبين بعضكم البعض أفضل من أنفسهم » (فى ٢ : ١ — ٣) المحبة هى كل الأيمان والرجاء والصبر والدعة والحق ، وبالجملة هى كل شيء

https://coptic-treasures.com/

المحب لا ينطق بكلمات قاسية تجعل أخاه مغيظاً محنقاً ، بل يعتبر أنه خير له أن يموت من أن يسبب عثرة لأخيه . لسان المحب عذب وكلماته لطيفة ممزوجة بالوداعة ، تقطر حباً ووداً وتسيل عذوبة ولطفاً ، المحب الوديع يسكن حتى فى وقت اشتداد التجارب ونزول المحن الشديدة ، لا يجد الغضب إلى قلبه سـبيلا ، وإذا حلت به الأوصاب يتقبلها بصدر رحب فرحاً مسروراً . المحب لا يتألم من قدح ، ولا يسر بمدح ، وسواء عنده السراء والضراء . قلب المحب عرش يسكنه روح القدس ، ويحل فيه الثالوث الأقدس . والنفس المتمسكة بالمحبة تسكنها الوداعة والبساطة وطول الأناة ، وهى ملأى من فرح الروح ، شاعرة بسلوان الله الذى يفوق كل عقل ، خالية من كل خبث ، لا تعرف المكر والإساءة ، ولا تسعى وراء الحيل والمفاسد ، بل تفرح بالحق فى إخلاص وبساطة القلب ، ولا تعرف الرياء والتصنع والنفاق .

طوبى لك وما أسعدك يامن تمتلك المحبة ، وما أطهر نفسـك وأقدس روحك لأن الله يسكن معك لأن « الله محبة »

https://coptic-treasures.com/

أيتها المحبة أنت وحدك الفضيلة العظمى التى من يمتلكها يمتلك كل شىء . وعندك كل شىء نافع وبدونك لا شىء نافع . ألا فاسعَ وراءها أيها الحبيب وتمسك بها ولا تدعها تفلت من يديك . دعها واجعلها تحيط بكل ما فيك . تلذذ بودها وارتو بحبها . احتضنها لأنك بها ترتقى إلى السماء وبها تدخل المجد . إنها تقودك إلى فردوس النعيم . فأمسك بها لأنها هي الله « لان الله محبة ومن يثبت فى المحبة يثبت فى الله والله فيه » (١ يو ٤ : ١٦)

https://coptic-treasures.com/

الفصل السابع والستون

تعليم الكتاب عن المحبة

« وصية جديدة أنا أعطيكم أن تحبوا بعضكم بعضاً ، كما أحببتكم أنا تحبون أنتم أيضاً بعضكم بعضاً ، بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذى أن كان لكم حب بعض لبعض » (يو ١٣ : ٣٤ و٣٥)

« تحب الرب إلهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك ، ومن كل فكرك ، هذه هى الوصية الأولى والعظمى ، والثانية مثلها تحب قريبك كنفسك ، بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء » (مت ٢٢ : ٣٧ — ٣٩)

« لا تكونوا مديونين لأحد بشىء ، إلا بأن يحب بعضكم بعضاً ، لأن من أحب غيره فقد أكمل الناموس . لأن لا تزن ، لا تسرق ، لا تقتل ، لا تشهد بالزور ، وإن كانت وصية أخرى ، هي مجموعة فى هذه الكلمة أن تحب قريبك كنفسك ، المحبة لا تصنع شراً للقريب ، فالمحبة هى تكميل الناموس » (رو ١٣ : ٨ — ١٠)

https://coptic-treasures.com/

إن كنت أتكلم بألسنة النـاس والملائكة ، ولـكن ليس لى محبة فقد صرت نحاساً يطن أو صنجاً يرن . وإن كانت لى نبوة واعلم جميع الأسرار وكل علم ، وإن كان لي كل الإيمان حتى أنقل الجبال ، ولـكن ليس لي محبة فلا أنتفع شيئاً . وإن أطعمت كل أموالى وإن سلمت جسـدى حتى احترق ، ولـكن ليس لى محبة فلا انتفع شيئاً » (١ كو ١٣ : ١ — ٣)

« إن الظلمة قد مضت والنور الحقيق الآن يضيء ، من قال إنه فى النور وهو يبغض أخاه فهو إلى الآن فى الظلمة ، من يحب أخاه يثبت في النور وليس فيه عثرة ، وأما من يبغض أخاه فهو فى الظلمة ، وفى الظلمة يسلك ولا يعلم أين يمضى لأن الظلمة قد أعمت عينيـه » (١ يو ٢ : ٨ — ١٠)

نحن نعلم أننا قد انتقلنا من الموت إلى الحياة لأننا نحب الاخوة ، من لا يحب أخاه يبق فى الموت . كل من يبغض أخاه فهو قاتل نفس ليس له حياة أبدية ثابتة فيه . بهذا قد عرفنا المحبة ، إن ذاك وضع نفسه لأجلنا فنحن ينبغى لنا أن نضع نفوسنا لأجل الأخوة ،

https://coptic-treasures.com/

وأما من كان له معيشة العالم ونظر أخاه محتاجاً وأغلق أحشاءه عنه ، فكيف تثبت محبة الله فيه ، يا أولادى لا نحب بالكلام ولا باللسان ، بل بالعمل والحق » (١ يو ٣ : ١٤ - ١٨)

« لنحب بعضنا بعضاً لأن المحبة هى من الله ، وكل من يحب فقد ولد من الله ويعرف الله ، ومن لا يحب لم يعرف الله لأن الله محبة » (١ يو ٤ : ٧و٨)

« إن قال أحد إنى أحب الله ، وأبغض أخاه ، فهو كاذب ، لان من لا يحب أخاه الذي أبصره ، كيف يقدر أن يحب الله الذى لم يبصره ، ولنا هذه الوصية منه أن من يحب الله يحب أخاه أيضاً » (١ يو ٤ : ٢٠ و٢١)

« المحبة فلتكن بلا رياء » (رو ١٢ : ٩)

« أما غاية الوصية فهى المحبة من قلب طاهر وضمير صالح وإيمان بلا رياء » (١ تى ١ : ٥)

« أما الآن فيثبتُ الإيمان والرجاء والمحبة ، هذه الثلاثة ولكن أعظمهن المحبة » (١ كو ١٣ : ١٣)

https://coptic-treasures.com/

الفصل الثامن والستون

نصائح لحفظ المحبة

احفظ المحبة للجميع في قلبك ، ولتكن محبتك من أعماق فؤادك . واكره النفاق والغش والرياء فى كل أمورك . لا تنم على أحد قط،ولا تتجسس على نقائص الآخرين . لا تدن أحداً بل بالحري أنظر إلى ذاتك . ولا تسبب عثرة أو شكاً لأحد ، ولا تبد أدنى احتقار لإنسان ما . لا تغتب أحداً ولا تقل فيه كلمة تحترس أن تقولها فى حضوره . لا تنقل كلاماً سمعته إذا رأيت فيه هدماً لصيت قريبك . وابعد عن الفتن ، واهرُب من بذر الخصومات . ولا تحتد على أحد فى كلامك ، بل كن وديعاً فى تصرفاتك . لا تكن عنيداً ومستبداً برأيك ، بل استعن بالمشورة ، واقبل كلام الحكماء . ولا توبخ بغير حق . وعامل من هم أكبر منك بالاحترام ، والمساوين لك بالمحبة واللطف ، والذين هم أصغر منك بالبشاشة والدعة ، لكى تستميلَ الجميع إلى محبتك . اجتهد كى ترضي وتسر وتساعد كل من

https://coptic-treasures.com/

يطلب مساعدتك ، وإن لم تقدر على المســاعدة ، فليكن فيك لين وعذوبة تجبر القـــلوب الـكسيرة . ولا تظهر كراهة لأحد ، ولا تعرض عن سماع كلام أحد . واحسن ظنك فى الجميع ، يحسنوا ظنهم فيك ، وتكون موضوع ثقتهم ومحبتهم ولتكن محبتك خالصة من كل شائبة لمن تحبه ، ولتطابق روحك روحه ، كأنـكما نفس واحدة ، وروح واحدة ، وخاطب على الدوام من وقت لآخر جميع اخوانك ومحبيك بكتابات رقيقة تقوية تشعر بالمحبة والإخلاص، لتتقوّى بينك وبينهم عروة الإخاء والمودة ، ولا تؤخر الرد على كتب أحد منهم . لأنك إن فعلت تمـكنت محبة الجميع منك وتزيدهم ثقة بصداقتك . وإذا كلفت بأمر فقم به خير قيام ، ولا ترفض قط أن تخدم أى طلب أراده اخوانك منك إذا كان فى وسعك أن تفعله . وشارك الجميع فى شعورهم وإحساسهم ، فان فرح أحد فافرح معه ، وإن تألم فتألم معه كأنك تشعر بما يشعر به . وتـكلم عن الجميع بكلام حسن ، ولا تقل كلمة أو تشر اشـــارة لا تتفق مع المحبة . وعامل

https://coptic-treasures.com/

الناس بما تريد أن يعاملوك به . وإنك إن حفظت ذلك تحب الجميع والجميع يحبونك

الفصل التاسع والستون

الوداعة

الوداعة بكر بنات المحبة ، وهي صورة جميلة للروح ، تجعل فى النفس هدوءاً وسكينة ، فألجم لسانك وقت الغضب ، واصمت حين الاضطراب . إن كنت وديعاً تصر هادئاً ساكناً وقت التجربة وزمن المحن .

النور يبددُ الظلام ، والدعة تبيدُ الغضب والحقد . والوداعةُ سلام للروح ، والغضب قلق للنفس . فلتكن الوداعة فى قلبك ،ولا تظهر كأنك صابر على الألم ومتحمل للمكاره وأنت فى الباطن مشتعل بلهيب الغيظ ، ومحترق بنار الغضب ، فتظاهرك بالوداعة لا يحسب

https://coptic-treasures.com/

إلا رياء ومداهنة ، وأنه لأحسن منك من يظهر غضبه ولا يخفيه ، فانحصار نيران الغيظ فى القلب يولد الحقد والخبث ، ويجفف ماء النعمة ، فلا تعكر صفاء نفسك بشيء ، بل أبعد عن قلبك كل ما يغيظك ، ولا تدع شيئاً مما يكدره يبيت فيه .

الوديع مغبوط من الرب فقد قيل « طوبى للودعاء لأنهم يرثون الارض » (مت ٥ : ٥) فبادر بالتمسك بهذه الفضيلة ، اعتنقها واحفظها واحرص كل الحرص عليها ، لان الله يحبها ، ويسوع قد اتصف بها « ظلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه ، كشاة تساق إلى الذبح ، وكنعجة صامتة أمام جازيها فلم يفتح فاه » (اش ٥٣:٧) « لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع أحد فى الشوارع صوته ، قصبة مرضوضة لا يقصف ، وفتيلة مدخنة لا يطفىء » (مت ١٢ : ١٩و٢٠ و اش ٤٢ : ١ — ٤)

الوديع الروح اذا شتم يبارك ، وإن اضطهد يفرح ، وهو يشكر عند الحزن ، ويصبر وقت حلول المحن ، ويسعى فى الصلح إذا اشتدت الخصومات ، وهو هادىء فى حركاته وسكناته ، ويكره

https://coptic-treasures.com/

التعالي ، ويبغض الكبرياء ، ولا يتعجرف ولا يختال زهواً ، محبوب هو لدى جميع معارفه ومعاشريه ، وهو بينهم كوردة نضرة ذات رائحة طيبة ، الوديع محب السلام بعيد عن الرياء والنفاق ، لا يعرف الخبث والغش والحسد ويكره ويبغض جميع الرذائل

الوداعة صخرة قائمة وسط الأمواج ، تلاطمها الأنواء وهى ثابتة لا تتحرك . وهى عون للصبر ، وبنت المحبة . وأخت للطاعة. إن قلب الوديع عرش يسكنه الله ، والنفس الوديعة مطمئنة هادئة . البساطة بعيدة عن الرياء والمداهنة والخداع . النفس الساذجة الوديعة مملوءة بفرح مقدس ، خالية من التصنع والتهاون في كلامها . أما الخبث فسم فى القلب وشر فى النفس يصحبه تلون وخداع وكذب وكبرياء وحسد ورذائل كثيرة . لا يقترب اليك يسوع إن لم تتعلم البساطة والسذاجة فى كل أحوالك .

فلنجتهد لكي نكون بسطاء وودعاء كالحمام فى كل نوايانا ، ونكون أطفالاً متبعين قول مخلصنا « إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات » (مت ١٨ : ٣)

https://coptic-treasures.com/

الفصل السبعون

الحلم والرفق والدعة على مثال المخلص

كن وديعاً حليماً ذا رفق واحتمال فى كل شيء ، على مثال مخلصك . واهرب من الشر ، ولا تقف أمامه ، فالمخلص هرب الى مصر متخلصاً من شر هيرودس ، مع أنه قادر أن يبيده فى لحظة ، ولكنه تخلص من شره بواسطة مملوءة حلماً ودعة . ولما قصد الفريسيون أن يمسكوه ويُهلكوه لم يشأ مقاومتهم ، بل انسحب من وسطهم وانصرف من هناك (مت ١٢ : ١٤) ولما رام أهل الناصرة مدينته أن يطرحوه إلى أسفل الجبل لم ينتقم منهم بل اختفى عنهم (لو ٤ : ٢٩) ولما رفضه أهل السامرة ولم يقبلوه ، لم يسمح أن يجيب طلب اثنين من تلاميذه بانحدار نار من السماء عليهم ، بل إنتهرهما قائلا « لستما تعلمان من أى روح أنتما لأن ابن الإنسان لم يأت ليهلك الناس بل ليخلص » (لو ٩ : ٥٥ و ٥٦) ولما شتمه اليهود وقالوا عنه إن به شيطاناً لم يجبهم إلا بالحلم ، فقال ليس بى

https://coptic-treasures.com/

شيطان ، (يو ٨ : ٤٩) ولما أراد أعداؤه أن يرجموه اختفى عنهم ولم يقابل غضبهم الا بالحلم والدعة وخرج أمامهم ولم يروه (يو ٨ : ٥٩) ولم يمتنع المخلص من أن يسمح ليهوذا الذى أسلمه بتقبيله ، مع أنها كانت قبله الغش والخيانة (مت ٢٦ : ٤٩) ولم يقابل التجاديف والافتراءات والاهانات وسائر الآلام من قاتليه ومضطهديه والمفترين عليه إلا بالحلم والاحتمال ، ولم يقابل الشر بالشر ، حتى إن كلماته الأخيرة على الصليب كانت طلب الصفح عن أعدائه « ياأبتاه إغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون » (لو ٢٣: ٣٤)

فتعلم أنت من هذا ، واقتف خطوات سيدك ، ولا تقابل الإساءة بالإساءة ، ولا الشر بالشر ، ولا تنتقم لنفسك ولا تجاز أحداً عن شر بشر ، « لا يغلبنّك الشر بل اغلب الشر بالخير ، فان جاع عدوك فأطعمه ، وان عطش فأسقه ، فانك بذلك تجمع جمر نار على رأسه » (رو ١٢ : ٢٠ و ٢١)

لا تقابل شتيمة بشتيمة ، ولا تعامل أحداً ولو كان من ألد أعدائك الا بالحلم واللطف ودماثة الاخلاق . ولا تعامل انساناً بما

https://coptic-treasures.com/

عاملك به ، بل عامل الجميع كما تريد أن يعاملوك . وتعلم الاحتمال ، ليتملكك روح الصفح والغفران ، وليرفع من قلبك كل مرارة وسخط وغضب وصياح . وتخلص من الضرر بالهرب ، وإن لم يمكن الهروب ، فليكن احتمالك للمكروه بصبر وحلم وطول أناةٍ . ولا تنسَ قط مثالَ مخلصك وحلمه ووداعته سواء أهنت ، أو شتمت ، أوجربت ، أو أصبت بأي أمر ، وكن حليماً وديعاً طويل الأناة نحو كل إنسان ، واحتمل الجميع ، وتأنَّ ، واعفُ عند المقدرة ، وإن عشت هكذا تحيا بسلام وتزكى أمام الرب

https://coptic-treasures.com/

الفصل الحادى والسبعون

الوداعة والمسامحة وعدم الانتقام من المسيئين

ليكن لسانك عذباً ، وكلماتك لطيفة ممزوجة بالدعة تقطر حباً لكل إنسان فى جميع أحوالك ، في أشغالك ، وفى معاملتك مع رؤسائك أو مرءوسيك ، كى تحتفظ بمحبة الجميع لك . ولا تتذمر، ولاتتضجر ، ولا تبدِ أدنى شكوى فى عمل الخير ، ولا تظهر الكآبة متى أصابك سوء ، أو وجهت اليك كلمة قاسية قد يكون فيها إهانة لك ، بل كن مثالاً للدعة والاحتمال والمسامحة فى كل شيء « ليكن كلامكم كل حين بنعمة مصلحاً بملح لتعلموا كيف يجب أن تجاوبوا كل واحد » (كو ٤ : ٦) ومتى أديت جميع أعمالك بوداعة ورضا وبشاشة ولطف وايناس صار كل ما لديك سهلاً ، وأمكنك اتمامها بلا تعب ولا عناء ، لأنك تكون فى سلام ولا يعرف الضجر له مكاناً من نفسك . ولكن إن كنت قاسياً فى الكلام ومتعجرفاً فى الجواب ، لا تحتمل نقائص الآخرين ، وتضجر

https://coptic-treasures.com/

لتافه الأمور ، تسأم نفسك وتتضايق روحك ، وتشعر بحزن داخلي يجعلك تهمل وتتكاسل ، ويصعب عليك أقل الأعمال شأناً ، بل تكون مثالاً سيئاً لكل من يراك .

إن تكلم معك أحد بحدة وغيظ ، فلا تعامله كما عاملك ، بل جاوبه بوداعة ولطف ، وإن لم يمكنك ذلك في هذا الوقت لشدة هياجه فتشاغل عنه وكأنك لم تسمعه ، ولا يظهر على وجهك اشمئزاز أو ضجر ، لأنه لا يليق بك أن تطفيء نيران المحبة الملتهبة بقطرات من الماء قليلة . ولا تتكلم بهياج ولا بغيظ ، ولا بصوت مرتفع ، بل احفظ سلامة قلبك وسكون عقلك وهدوء ضميرك ، ولا تفقد نفسك السلام والاطمئنان لأمور لاطائل تحتها تضرك ولا تفيدك . ولا تجمع حطباً على نار غضب غيرك ، ولا ترفض توبيخ أحد .

إن العدو يسعى كثيراً كي يشعل نار الخصام بينك وبين إخوتك ، فلا تساعده في احتدامها ولا تزد اضطرامها وتمدها بالحطب بكلامك وحدتك ، بل اخمدها حالاً واطفئها واطرد الخصام من قلبك ، ولا تترك شر الغيظ يتولد في نفسك ، ولا تدع الشمس

تغرب على غيظك ، وإياك أن تثلم المحبة ، وتجرح الوداد بشيء ، بل عالج كل شيء بالمحبة والدعة ، وإذا أساء اليك أخوك فاصفح عنه وسامحه ، واحسب ماقدحدث هفوة صغيرة فرطت منه ، سببها العدو لزرع بذور الخصام ، ولا تحقد عليه أو تفكر فى الانتقام منه ، بل اعتبره عضواً من أعضائك ، والعضو لا يقتص من عضو آخرآ له ، ولم نرَ قط إنساناً قلع أسنانه لأنها عضّت لسانه ، ولا من ينتقم من قدمه لانها زلت وعثرت فى الطريق فتهشم بعض أعضائه ، إن لم تغفر لمن أساء اليك . فلن تستطيع أن تقول لله « اغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين الينا »

لا تفرح بسقوط أحد ولا بذمه ولا بظهور نقيصة فيه ولا بحصول ضرر له ، بل احفظ فى قلبك كل محبة وسلام لمحبيك وللذين يسيئون اليك « ولا تقل كما فعل بى هكذا افعل به أرد على الإنسان مثل عمله » (ام ٢٤ : ٢٩) بل احفظ ذلك التعليم المقدس « حبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم ، أحسنوا الى مبغضيكم ، وصلوا لاجل الذين يسيئون اليكم ويطردونكم ، لكى تكونوا أبناء أبيكم

https://coptic-treasures.com/

الذى في السموات ، فانه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ، ويمطر على الأبرار والظالمين . لانه ان احببتم الذين يحبونكم فأى أجر لكم ، أليس العشارون أيضاً يفعلون ذلك ، وان سلمتم على أخوتكم فأي فضل تصنعون ، أليس العشارون أيضاً يفعلون هكذا . فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل » (مت ٥ : ٤٣ — ٤٨)

« ليرفع من بينكم كل مرارة وسخط وغضب وصياح وتجديف مع كل خبث ، وكونوا لطفاء بعضكم نحو بعض ، شفوقين متسامحين كما سامحكم الله أيضاً فى المسيح » (اف ٤ : ٣١ و ٣٢)

ألا تذكر ما فعله ويفعله الله معك كل يوم . ألم يغفر آثامك ، ويستر عيوبك ، بل طرحها إلى العمق ومحاها ، فلماذا لا تكون أنت هكذا مع أخيك . فتعلم ألاّ تذكر إساءته وألاّ تخطر على بالك كلمة منه آلمتك ، بل اصرف من ذهنك كل ما هو سيء ، واذكر له حسناته واطرح فى أعماق البحار ما أثار الغضب بينك وبينه . ولا تكن حقوداً على أحد . لماذا تدنس قلبك الذى زرعت فيه

https://coptic-treasures.com/

أزهار الحب والإخلاص وسقيتة بماء اللطف والعذوبة . فلتنم فيك شجرة المحبة وتتأصل ، ولتقتلع من داخلك زوان البغض والشحناء ، وبذور الشقاق والانتقام . إن حقدت فقدت السلام . ولن يعود عليك من ذلك سوى الخسران . فانسَ كل مرارة وافتراء وإهانة وسخط حدث لك من غيرك ، ولا تسمح لأثر من آثارها أن تبيت فيك ، والا أوقعت نفسك فى غضب وإثم ومكثت فى قلق مستمر

إن تذكر الإهانات والشتائم يستثير البغض فى النفس ، وهو سم يسري فى القلب فيفسده ، ويبيد السلام ، وينزع السلوان الروحي ، وهو يربى الخبث ويجدد الغيظ ويولد الحسد والغضب ، وهو إثم ثقيل وبغى وطغيان وشرٌّ لا يطاق ، وصاحبه يشبه أفعى مختفية فى وكرها ، ولكنها حاملة معها السم فى بدنها . فاذكر أن حفظ المرارة والسخط سم دفين يجب عليك أن تنزعه من قلبك . إن ابتغيت أن تذكر الاهانات ، فاذكر مالحقك من أعدائك الروحيين ، وكم أهانوك وأوقعوك فى عثرات كثيرة . وان شئت الإنتقام فانتقم منهم لأنهم قادوك

https://coptic-treasures.com/

مرات عديدة إلى الخطية . لو كنت مسيحياً حقيقياً لملكك روح الصفح والغفران ، بل لحزنت على ذلك الأخ الذى أساء إلى نفسه أكثر من إساءته إليك ، لأنه أوقع نفسه تحت طائلة إنتقام الله . ليتك تنظر استفانوس والاحجار تنهال عليه وهم يرجمونه ، ومع ذلك مات وهو يصرخ بصوت عظيم « يارب لا تقم لهم هذه الخطية » (اع ٧:٦٠)

قال الرسول « محتملين بعضكم بعضاً ، ومسامحين بعضكم بعضاً ، إن كان لاحد على أحد شكوى ، كما غفر لكم المسيح هكذا أنتم أيضاً » (كو ٣ : ١٣)

لا تنتقم لنفسك ، فيكفى انتقامُ الرب وغضبه ، ولا تأخذ سلطان الله وحقوقه وتنتحلها فتنتقم من أعدائك ، يامن تريد أن تأخذ ثأرك بالانتقام ما ذا يفيدك إضرارك بمن أضرك ، هل ذلك يشفي غليلك أو يبرىء جرحك وينفى عنك الضرر الذى ألم بك ، هل ينتج خيرك من شر توقعه لغيرك ؟ لا فان ذلك محال ، ألا فانزع عنك هذا الوهم وتعلم الصفح والغفران

https://coptic-treasures.com/

إن الرب انتقم من اخوة يوسف جزاء عملهم ، لذلك قال بعضهم لبعض «حقاً أننا مذنبون الى أخينا الذى رأينا ضيقة نفسه لما استرحمنا ولم نسمع له ، لذلك جاءت علينا هذه الضيقة فهوذا دمه يطلب» (تك ٤٢: ٢١و٢٢) وآخاب لما قتل نابوت اليزرعيلى أرسل الرب إيليا النبى قائلا له « فى المكان الذى لحست فيه الكلاب دم نابوت تلحس الكلاب دمك أيضاً » (امل ٢١: ١٩) وفرعون لما أغرق اطفال بنى إسرائيل انتقم الرب لهم باغراق المصريين فى البحر . وادونى بازق سمح الرب لبنى اسرائيل أن يقطعوا أباهم يديه ورجليه نظير عمله لذلك قال « سبعون ملكاً مقطوعة أباهم أيديهم وارجلهم كانوا يلتقطون تحت مائدتى ، كما فعلت هكذا جازانى الرب » (قض ١ : ٧) والحية بما أنها خدعت الانسان عاقبها الرب بأن تزحف على الارض وتأكل التراب ، والمرأة لانها أطاعت وتلذذت بالثمرة عاقبها الله بالوجع عند الولادة ، والرجل لانه أكل من الشجرة المنهى عنها عاقبه الله بأن يأكل خبزه بعرق جبينه . فتعلم أيها الانسان من ذلك أن فى الوجود الهاً يثيب ويعاقب ويحاسب على كل

https://coptic-treasures.com/

شيء ، وأما أنت فليس عليك سوى أن ترحم وتصفح وتغفرَ وتسامح .

إنك تخطيء وتسيءُ كلَّ يوم الى الله وهو طويل الأناة عليك ولم ينتقم منك ، فما بالك تغضب وتودُ الإسراع فى الانتقام ممن أساء اليك ولا تطيل أناتك عليه ، لعله يعود إليك طالباً الصفح والعفو فتكون اكتسبت أخاك وسرت فى طريق الفضيلة «فان لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاتكم» (مت ٦:١٥) «لان الحكم هو بلا رحمة لمن يعمل رحمة» (يع ٢ : ١٣) واذكر ما فعله السيد بذلك العبد الذى لم يغفر للعبد رفيقه « هكذا انتم إن لم تتركوا من قلوبكم كل واحد لاخيه زلاته » (مت ١٨ : ٣٥)

https://coptic-treasures.com/

الفصل الثانى والسبعون

كيف نتخذ الأصدقاء ومعاشرة الأتقياء الفضلاء وعدم مخالطة ذوي الرذيلة

إن اتخاذ الأصدقاء من الضروريات للانسان ، فأنهم قوة فى الحياة ، وزينة فى الرخاء ، وعدة فى الشدة ، وعون فى الملمات ، وسلوى في الوحدة . فعليك بانتخاب أصدقاء صالحين ، فقد تكتسب منهم آداباً وأنساً وعوناً وإرشاداً ، ولقد تحتاج اليهم فى أحوال عدة .

هذا إذا كان أصدقاؤك وعشراؤك من الأدباء ، أصحاب الفضل ، الذين يخلصون لك الود ، ويقدرون الصداقة قدرها ، ولكنهم إذا كانوا ممن طبعوا على الخسة واللؤم ، فسوف تصير مثلهم ويحكم عليك بما حكم عليهم ، لأنه من المستحيل ألا تكتسب شيئاً من طباعهم ، وبينك وبينهم صداقة ومودة ، ولذلك قيل لا تصحب شريراً فان طبعك يسرق من طبعه وأنت لا تدرى . فلا تعاشر من كان دأبه الشر والخبث والرياء والنفاق ، بل اصحب ذوى الأخلاق

https://coptic-treasures.com/

الفاضلة والسير المحمودة ، والمتحلين بالنزاهة والعفة والاستقامة والاخلاص . ولا تتخذ لك خليلاً الا وهو مثلك أو ارفع منك عقلاً وأدباً ، ولا تعجل فى انتخاب الأصدقاء ، بل تأنّ فيه . ولا تتخذ لك صديقاً الا بعد الاختبار الطويل

احرص كلّ الحرص على أصدقائك الصالحين المخلصين ، فقد يتعب الإنسان كثيراً ليحصل على صديق مخلص . واعلم أن الأصدقاء المخلصين كنز ثمين يندر الحصول عليه . ولا تضيع صديقاً لك بعدم اصغائك اليه ، وعدم المعاشرة المرضية له . ولا تهجر صديقك لوهم يداخلك ، أو لاشتغالك بصديق جديد ، ولأقل عيب يبدو منه أو زلة يسقط فيها ، وإلا فلن تحصل على صديق مدى الحياة ، ولا تنتقل من صديق إلى آخر بدون سبب ، لئلا تكون كطير يترك غصناً ويقع على آخر فلا يمكنه أن يبنى عشاً على أحد الأغصان ، فكذلك أنت لا تستطيع أن تحصل على موضع من قلب انسان ، ان انتقلت من مصادقة هذا الى مخالفة ذلك . فاحرص أيها العاقل على أصدقائك وتذكر أن خسارة الأصحاب المخلصين شر من ضياع الجوهر الثمين

https://coptic-treasures.com/

إذا تصادقت أو تحابيت مع صديق ، فسر معه باخلاص وصدق وسلامة نية . ووثق بينك وبينه علائق الوداد ، ولا تؤاخذه على كل هفوة ، ولا تذكر له سيئة ، بل انس كل غلطة يسقط فيها ، ولا تسمح لقلبك أن يدخله شيء من جهته ، ولا لتصوراتك أن تجول فى ميادين الأوهام لتظن به الظنون التى ربما لم تخطر على باله ، ولا تقطع حبل مودته الا لأمر كبير وشر مستطير عجزت عن ابعاده عنها ، وكن صبوراً واستعمل الحكمة والتأنى لعل الخلاف يزول . قال الحكيم ابن سيراخ « عاتب صديقك فلعله لم يقل ، وإن كان قال فلا يكرر القول ، عاتب صديقك فان النميمة كثيرة ، ولا تصدق كل كلام ، فرب زال ليست زلته من قلبه ، ومن الذي لا يخطيء بلسانه ، عاتب قريبك قبل أن تهدده » (١٩ : ١٣ - ١٧) ومتى عاتبته فليكن ذلك بكل وداعة وحلم ، ولا تذكر له كلمة تؤلمه لئلا يعود عتابك بالضرر ، وبدل أن يمكن الحب تزيد الجفاء وتجلب النفور

ليكن بينك وبين صديقك نوع من المساواة ، فاذا كنت

https://coptic-treasures.com/

ارفع منه مقاماً فلا ينبغي أن تعامله معاملة الرفيع للوضيع ، أو كعبد رقيق ، ففي ذلك ذل له تأباه النفس العزيزة ، وان كان أرفع منك فلا تعامله الا بما يحفظ كرامتك ويصون مروءتك . أحب جميع النـاس ولـكن لا تعاشرهم وتخالطهم كلهم . ولا تثق بصديقك أو تبح له بأفكارك وأسرارك قبل أن تختبره . ولتكن محبتك للجميع وسلامك مع الـكل ، ولـكن سرك لا يكون مع كل أحد . ان كنت صديقاً فلا تنقلب عدواً ، ولا تسرع بروحك الى الغضب مع صاحبك لأي سبب ، بل كن محتملاً ومتأنياً وحليماً معه . الصديق الأمين معقل حصين ، وسـور منيع من وجده فقد وجد كنزاً ثميناً . لا تخسر صـديقاً لك محباً ووديعاً ومرافقاً لك ومشتركاً معك فى سرورك وآلامك . تصرف بحكمة ورزانة مع أصدقائك كى لا تخسرهم ويخسروك . فان الأصدقاء الأمناء الصادقين والخلان الصالحين هم دواء للحياة ، وعشرتهم لذيذة وسعيدة « الأخ أمنع من مدينـة حصينة » (ا م ١٨ : ١٩) « الصديق يحب فى كل وقت ، أما الأخ فللشدة يولد » (ا م ١٧ : ١٧) « المكثر الأصحاب يخرب

https://coptic-treasures.com/

نفســه ولـكن يوجد محب الزق من الاخ » (ام ١٨ : ٢٤)

لازم الحـكماء ورافق العلماء . واقتد بأهل الكمال ، وا كتسب قدوة من سـير الأفاضل ، واسمع كل حديث ينفعك ، واعمل به . وان رأيت عاقلا حكيماً فطناً فاستمع اليه واصغ اليه بعقلك وقلبك . قال الحـكيم ابن سيراخ « لا تبدل صـديقاً بشيء زمني ولا أخاً خالصا بذهب أوفير » (٧ : ٢٠) « اختبر النـاس ما استطعت وشاور الحكماء منهم . اجعل عشرتك مع العقلاء وكل حديثك فى شريعة العلى » (٩ : ٢١ و ٢٣) « المساير الحكماء يصير حكيماً ورفيق الجهال يضر » (ام ١٣ : ٢٠) « لاتستصحب غضوباً ومع رجل ساخط لا تجيء ، لئلا تألف طرقه وتأخذ شركا لنفسك » (ام ٢٢ : ٢٤ ، ٢٥) « لا تخالط المتقلبين » (ام ٢٤ : ٢١)

« إن كان أحد مدعواً أخا زانياً أو طماعاً أو عابد وثن أو شتاماً أوسكيراً أوخاطفاً لاتخالطوه ولا تؤاكلوا مثل هذا» (١ كو ٥ : ١١) لا تدخل فى سبيل الأشرار ، ولا تسر في طريق الأثمة ، تنـكب عنه ، لا تمر به ، حد عنه واعبر ، لأنهم لا ينامون ان لم يفعلوا سوءاً ،

https://coptic-treasures.com/

وينزع نومهم إن لم يسقطوا أحـــداً ، لأنهم يطعمون خبز الشر ويشربون خمر الظلم ، أما سـبيل الصديقين فـكنور مشرق يتزايد وينير إلى النهار الـكامل ، أما طريق الأشرار فكالظلام لا يعلمون ما يعثرون به » (ام ٤ : ١٤ — ١٩) واعلم « ان المعـاشرات الردية تفسد الأخلاق الجيدة » (١ كو ١٥ : ٣٣) من لمس القار لصق به ، ومن عاشر الأدنياء اكتسب منهم صفاتهم . لن يوجد مرض يعدى كما تعدى الأخلاق الردية أصحاب السجايا الصالحة .

فاهرب وابعد عن كل ردىء خبيث ، واحتسبه شراً من اللصوص والخونة ، فان السارق إنما يسرق أمتعتك أو مالك ، وأما هذا فانه يسلب شرفك وأخلاقك . ويسرق غنى النفس والفضـائل الثمينة التي هي أغلى من اللآلىء . ما بالك تبعد عن المريض بالوباء خشية العدوى ، وصاحب الأخلاق السيئة ذو عدوى أخبث منها . «فاعتزلوا عن خيام هؤلاء القوم البغاة ، ولا تمسوا شيئاً مما لهم ، لئلا تهلـكوا بجميع خطاياهم » (عد ١٦ : ٢٦)

إن شئت أن تعرف أخلاق الإنسان فانظر إلى خلانه وأصحابه

https://coptic-treasures.com/

ومعاشريه . قل لى أيها الأنسان عن خلانك وأصدقائك ، وأنا أقول لك من أنت وما هى أخلاقك . من طلب انساناً مهذباً تقياً بين عشراء أشرار ، كمن يطلب ناراً في ماء وأثماراً من شوك

إن معاشرتك للأتقياء تكسبك فضيلة ، وتجملك واحداً منهم ، فشاول لما اجتمع مع الأنبياء تنبأ مثلهم ، ولكنه لما كان بين الجهال صار جاهلاً . بطرس حينما كان فى وسط التلاميذ أقر واعترف بأن المسيح ابن الله ، ولكن لما كان فى دار قيافا انكره ثلاث مرات . فالمعاشرة تؤثر فى الأخلاق بل تجعل الانسان كعشيره . إن الفحم يشتعل باقترابه من الفحم الملتهب، فكذلك أنت بمرافقتك واقترابك من أهل الفضيلة تستنير مثلهم ، فان كانت اخلاقك غير متكاملة فصديقك التقى يبعث فيك بنور الفضيلة . ذكر فى الكتاب أن ميتاً لمس عظام اليشع النبى فقام للحال حياً (٢مل ١٣) هكذا الخاطىء متى عاشر الاتقياء يقتبس من خصالهم ويكره رذائله ويعود الى حياة النعمة . الرب بارك لابان لنزول يعقوب عنده (تك ٢٤ : ٢٧) وبارك بيت الرجل المصرى لأجل يوسف (تك ٣٩ : ٥) ولوط لما كان مرافقاً لابراهيم

https://coptic-treasures.com/

حصل على ثروة طائلة ، ولكن لما سكن بين الأمم خسر أمواله حتى استرجعها له ابرهيم بعد ذلك (تك ١٣ و ١٤) وبولس لما كان مسافراً في البحر وحصل نوء عنيف وانكسرت السفينة ، نجا جميع الذين فيها إكراماً لبولس، وعددهم مائتان وستة وسبعون نفساً (اع ٢٧ : ٢٤) فرافقتك لأهل الكمال تعلمك الكمال ، وعشرتك لأرباب الفضيلة تسيرك في الفضيلة . فاختر لنفسك ما يجلب لك الحظ الوافر ، وعاشر الأفاضل وانتفع بكلامهم العذب ونصائحهم المفيدة ، واقتد بهم في مناقبهم الصالحة واتبع ما سلكوه من طريق الخير والكمال . فكما أن استنشاق الهواء الجيد ، والسكنى في الاماكن المعتدلة مما يفيد الجسد ، فكذلك معاشرة الأتقياء نافعة ومفيدة لسجاياك وأخلاقك وخصالك ، وان كنت ترحل من مكانك وتقصد الأراضي المعتدلة الهواء لأجل جسدك وحصولك على الصحة والعافية ، فما بالك لا تهربُ وتفر من مخالطة الأشرار وتنفصلُ عن عشرتهم السيئة وتقصد معاشرة الاتقياء والقديسين .

قال ابن سيراخ « الصديق الأمين لا يعادله شيء وصلاحه

https://coptic-treasures.com/

لا موازن له » (ص ٦ : ١٥) ما أقل وجود الأصدقاء الأمناء والمخلصين الحقيقيين فى هذا العالم ، فان أكثر الناس الآن يحبون ذواتهم . وان أظهروا لك البشاشة واللطف والتبجيل ، فانهم يتغيرون غداً ، وفى الغالب تجد كثيرين يظهرون لك المحبة لمنفعة يرجونها أو لخير يؤملونه منك ، فابحث ودقق واختبر أخلاق من تعاشره قبل أن تصادقه . فربما كان من يصادقك لا يحبك ولكن يحب مالك أو جاهك ، أو النفع الذي يبتغيه من ورائك ، وقد لا يخدمك الواحد إكراماً لحبه لك ، بل لأجل ما تستطيع فعله لمنفعته . فان الغراب الذي أطلقه نوح رجع إلى السفينة لما لم تكن مياه الطوفان قد غاضت بعد ، ولكن عندما أطلقه مرة ثانية لم يعد إلى صاحبه لما وجد مايقتات به ، ولم يحفظ عِشْرة من عاله مدة مائة وخمسين يوماً وأنقذه من الموت . فكثيرون فى العالم يظهرون لك أنهم أصحابك وأصدقاؤك ، يزورونك ويمدحونك لافتقارهم اليك لقضاء أغراضهم ،وما داموا قد بلغوا مايريدون منك فلن تلقى منهم وفاء ولا يلتفتون اليك ، فهؤلاء الذين كنت تظنهم خلانك وأصدقائك

https://coptic-treasures.com/

ليسوا في الحقيقة كما توهمت . قال ابن سـيراخ « فى زمن الخير لا يعرف الصديق ، وفى أوان البلية يعرف العدو » الشجرة وهى مثمرة يتردد عليها الناس يطلبون ثمرها ، وحين انقطاع الثمر تهجر وتهمل ولا يعتنى بها .

أورشليم فى زمان مجدها وعزها كان يتقرب اليها جيرانها ويسالمونها ، ولكن لما خربت رثاها أرمياً باكياً نادباً قائلا « كيف صارت كأرملة العظيمة فى الأمم ، السيدة فى البلدان صارت تحت الجزيه ، تبكي فى الليل بكاء ودموعها على خديها ، ليس لها معز من كل محبيها ، كل أصحابها غدروا بها صاروا لها أعداء » (مرا ١ : ١ و ٢)

الزئبق يتحد بالذهب ملتقطاً أياه أينما كان ، ولكن متى دخل الذهب الى النار تحول الزئبق وفر هارباً ، فكثيرون يظهرون الاتحاد بك والإخلاص والمودة ، ومتى سقطت أو وقعت فى تجربة انقلبوا عليك وبقيت أنت وحدك فى شدائدك ، فاياك والاغترار بمثل هؤلاء . فالصديق الامين هو الذي يهتم بخيرك الروحي

https://coptic-treasures.com/

والجسدى وخلاص نفسك ، وليس هو الذى يداهنك ويتملقك ثم يروغ منك كما يروغ الثعلب ، وهو الذى يغار عليك ، ويحزن لمصائبك ، ويتألم لآلامك ويشاركك فى سائر أمورك ، ويتوسل إلى الله لاجلك ، وينصحك دائماً بالمحبة . لا توجد صداقة صحيحة ولا محبة صادقة إلا فى الله وبالله . إن شئت صديقاً ودوداً أميناً محباً مخلصاً كريماً تسلم له قلبك وافكارك ، فلن تجد غير الله الذى لا يغفل عن محبيه . فلم يهمل يوسف فى سجنه ، ولم يترك داود فى اضطهاده ، ولا سوسنة فى محنتها ، وهو لا يتخلى عن أصفيائه فى الشدة ، بل حين يهجرك الأصحاب والأقارب ، وحين تترك ليل هاته الحياة لا يكون لك صديق سواه ، يسير معك ويبلغك الى مقر الراحة الأبدية . ودونك صديقاً آخر يؤاكلك ويعاشرك ويسير معك ، واذا فرحت فرح معك ، وإذا تألمت تألم معك ، وهو مرافق لك في كل ادوار الحياة ، وسيضطر يوماً ما أن يسير معك فى طريق الابدية ، وهو ضميرك . وهو صديق أمين وعادل ، لو سمعت له واتبعت ارشاده استغنيت عن كل صديق غيره .

https://coptic-treasures.com/

الفصل الثالث والسبعون

اجتناب دينونة الآخرين والاحتراس من الظنون الردية واحتمال نقائص الغير

إن فى داخلنا ميلاً خفياً كامناً يتطلع دائماً إلى الوقوف على نقائص الآخرين ودينونتهم ، وهذه السجية تتولد من الكبرياء وحب الذات . فأمت هذا الميل من داخلك ، ولا تدعة يحيا فيك ويبحث عن نقائص الناس وزلاتهم ويدينهم . واعلم ان الاطلاع على الخفايا، والبحث عما فى القلوب ، حق من حقوق الله وحده لم يشأ إعطاءه للناس ، فلا تختلسه وتتخذه لنفسك. فمن أقامك رقيباً على الناس ، ومن خولك حق الدينونة حتى تدين غيرك . لا تتعب نفسك وتفتش عن نقائص الناس وزلاتهم ، بل افحص ضميرك وادخل مخدع قلبك وحاسب نفسك على ما فعلت . فانك إن فعلت ذلك وجدت نقائص كثيرة وزلات متعددة تناديك بأن تلجم لسانك عن غيرك ، وتعلمك

https://coptic-treasures.com/

ترك الدينونة وتأمرك بالرفق بقريبك ، خف فقط على نفسك ، وحاسب ذاتك ، وفتش ضميرك ، وابحث عن نقائصك وأصلح نفسك ، واعلم أنك غير مسئول عن غيرك ، ولا تجازى أمام الله والناس بغير ما تعمل

من جملة ثمار المحبة الشهية التى تتولد فى نفوسنا عدم الظن السيء فى أحد ، ولكن عدو الخير الذى لا يهدأ الا بنقض كل بناء للمحبة ، يسعى ويحركنا الى الظنون الرديئة حتى نظن بالآخرين ظنوناً هم أبرياء منها ، أو يجعلنا نحكم على بعض خصالهم ، واذا بحثنا وجدنا أنهم أفضل منا ، ولكى ينهب سلامنا الروحى يجتهد أن يلقى فى قلوبنا ظنوناً لا أصل لها ، ومتى سقط أخ لنا فى زلة خفيفة معنا ينتهز العدو فرصة ليكبرها لنا وينشىء فى أذهاننا أفكاراً ويولد فيها شكوكاً . فان شئت أن تزيل هذه الظنون الخبيثة ، وتصون المحبة من الأشواك ، فانزع كل شك واخرج كل فكر فاسد من قلبك ، حتى ولو كان صحيحاً ، وانظر الى أخيك من جهة حسناته ولا تدع الشكوك تلج عقلك وتستولى على فكرك ، لأن الظنون سم المحبة ،

https://coptic-treasures.com/

وسوس الاتحاد ، وجرثومة شر وفساد لوحدانية الروح ، الشكوك طاعون خفى وسم دفين يولد الغدر ، وينشىء الأفكار الدنسة، ويفسد القلب ويمزق سلام الجماعة . ما بالك تذكر عيوب القريب ، وتهين اسمه ، وتشين صيته ، وتفتح باباً للبغض والاحتقار ، أى اثم تجلبه على نفسك ، وأية خطية تجترمها بهدم صيت قريبك ، وثلم عرضه ، وكرامته أمام النـاس بظنونك الرديئة ، من غير دليل لديك أو حجة عندك ، هبك أقمت دليلاً فمن كلفك به ؟ اعلم أن ذلك خطية عظيمة وجرم شديد عند الله والناس ، وهدم الفضيلة والانسانية ، والكمال والاحتشام والبناء الروحى . كيف تفترى على أخيك ، وتظنّ فيه السوء ، وتخترع ضده الشرور والمفاسد وهو ساكنٌ آمن . إن الله لا يغفر لك هذا الاثم إن كنت لا تصلح قلبك ، وتربى فيه المحبـة الـكاملة التى لاتحسـدُ ولا تحقد ولا تظنّ السوء بالآخرين

ألا تحزن وتتألم لو عاملك غيرك بما عاملت به قريبك . ألا تغتم لو ظن أحد فيك سوءاً . أما كنت تحسب أنه أهانك وأساء

اليك بهذا الفعل الذميم ، فلماذا لا تسلك أنت هذا الطريق ، وكيف تعامل الغير بما لا تريد أن يعاملوك به

« لا تدينوا لكي لا تدانوا ، لانكم بالدينونة التي بها تدينون تدانون، وبالكيل الذى به تكيلون يكال لكم ، ولماذا تنظر القذى الذى في عين أخيك ، وأما الخشبة التى فى عينك فلا تفطن لها ، أم كيف تقول لأخيك دعنى أخرج القذي من عينك وها الخشبة فى عينك ، يامرائى اخرج اولاً الخشبة من عينك ، وحينئذ تبصر جيداً أن تخرج القذى من عين أخيك » (مت ٧ : ١ ـ ٥)

« لذلك أنت بلا عذر أيها الانسان ، كل من يدين ، لانك فيما تدين غيرك تحكم على نفسك ، لانك أنت الذى تدين تفعل تلك الأمور عينها » (رو ٢ : ١)

« من أنت الذي تدين عبد غيرك ، هو لمولاه يثبت او يسقط » (رو ١٤ :٤)

«وأما أنت فلماذا تدين أخاك أو أنت أيضاً لماذا تزدرى بأخيك ، لأننا جميعاً سوف نقف أمام كرسى المسيح ، فلا نحاكم أيضاً بعضنا

https://coptic-treasures.com/

بعضا ، بل بالحرى احكموا بهذا أن لا يوضع للاخ مصدمة أو معثرة » (رو ١٤ : ١٠ و ١٣)

اذاً لا تحكموا فى شىء قبل الوقت ، حتى يأتى الرب الذى سينير خفايا الظلام ويظهر آراء القلوب ، حينئذ يكون المدح لكل واحد من الله » (١ كو ٤ : ٥)

« لا يذم بعضكم بعضاً أيها الاخوة ، الذى يذم اخاه ويدين اخاه يذم الناموس ويدين الناموس ، وان كنت تدين الناموس فلست عاملاً بالناموس بل دياناً له ، واحد هو واضع الناموس القادر أن يخلص ويهلك فمن أنت يامن تدين غيرك » (يع ٤ : ١١ و ١٢)

من اقامك دياناً وقاضياً حتي تعلو منبر القضاء وتحكم بالظلم والغدر والسوء على غيرك . فأكرر عليك القول ألا تختلس حقوق الله ، ولا تسرق دينونة القادر على كل شىء ، فهو المطلع وحده على القلوب والضمائر ، وكل شىء مكشوف وعريان أمامه . إن الظنون الردية ودينونة الآخرين تنشأ من الكبرياء، الذى بسببه يظن الانسان أنه شىء ، أو أنه حاصل على ما لم يحصل عليه غيره من الفضائل

https://coptic-treasures.com/

والمواهب . ولكنك لو اتضعت وعرفت حقارة ذاتك لاجتنبت الدينونة ، ولما تطلعت إلى نقائص الغير . فراقب نفسك لئلا يقال لك « أيها الطبيب اشف نفسك » إن رأيت نقيصة فى قريبك فابحث ذاتك هل هى فيك أم لا ، فان وجدتها كامنة فى شخصك فاجتهد لتنتزعها ، وان وجدت فضيلة أو محمدة فى آخر فاكتسبها منه ، ان كانت غير موجودة عندك ، لان ذلك أليق وأفضل لك ، وضع أمام عينيك أن البغضة تهيج خصومات والمحبة تستر كل الذنوب (ام ١٠ : ١٢) «ومن يستر معصية يطلب المحبة ومن يكرر أمراً يفرق بين الأصدقاء » (ام ١٧ : ٩)

لا تطمع أن يكون جميع الناس خالين من النقائص ، فلا بد من العجز والضعف ان تظهر نقائص كثيرة يجب أن تحتملها ، وإن لم تحتملها فكيف يحتمل الناس نقائصك . هل تظن فى نفسك أنك خال من العيوب ، فان كنت لا تقدر ان تقوّم ذاتك كما تريد ، فكيف تتوقع أن يكون غيرك خالياً من النقائص

لا أحد بغير نقيصة ، ولا انسانَ خالياً من عيب وما من أحد

https://coptic-treasures.com/

يحرز الكمال . بل كلنا فى حاجة لان نحتمل بعضنا بعضاً ، وينصح بعضنا بعضاً ، لاننا جميعاً مفتقرون الى المعونة والمساعدة .والصفح والسماح والشفقة ، كلنا فى حاجة الى الرفق والتـأنى والاحتمال والغفران. اعرف ذاتك وما فيها من النقص والضعف والوهن ، ولا تعكر صفوك من زلات صغيرة تجدها فى الغير . وروض نفسك على ذلك ، وثبت علائق المودة بينك وبين إخواتك ووطد بذلك دعائم الأمن والسلام .

الفصل الرابع والسبعون

الاغتياب والنميمة

الاغتياب دود فاسد يمتص دم المحبة ، وهو يتولد من فساد القلب ونجاسة الضمير ، ينشأ من الظنون الردية ، وهو ابن للكبرياء ، ونسيب للادعاء ، وعامل الفتنة ، وزوان بين إلفة الجماعة ، وزارع الخصومات ، ومقلق السلام ، ودليل البغض والكراهة ، ونتيجة المقت . وهو شر أشد قبحاً من السرقة . لأن السارق إنما يسرق الأشياء العرضية والمواد التي يمكن تعويضها ، ولكن النمام يثلب أعراض الناس وصيتهم ، ويسطو على العرض والشرف والصيت التي هي أثمن من المال ، لأن الصيت أفضل من الغنى (ا م ٢٢ : ١)

« كلام النمام مثل لقمة حلوة وهو ينزل إلى مخادع البطن » (ا م ١٨ : ٨) « فلا تقبل خبراً كاذباً ولا تضع يدك مع المنافق » (خر ٢٣ : ١) « بعدم الحطب تنطفىء النار وحيث لا نمام يهدأ

https://coptic-treasures.com/

الخصـام » (ا م ٢٦ : ٢٠) « رجل الأكاذيب يطلق الخصومة والنمام يفرق الأصدقاء » (ا م ١٦ : ٢٨) «مشيع المذمة هو جاهل» (ا م ١٠ : ١٨)

إن سمعت قولاً يشين صيت أحد ، فاعتبره كأن لم تسمعه ولا تفه به لغيرك ولا تتكلم بما يضاد المحبة ، ولا يكفى ألا تتكلم في حق القريب فقط ، بل يجب ألا تصغى بأذنك إلى اغتيابه ، لئلا يعلق شيء منه فى قلبك ويكون عثرة لسلامك . ولا يمنعك الحياء أن تصرف المغتاب إلى حديث آخر مفيد ، وإن لم يمكنك ذلك فحسبك أن تنصرف عنه أو تقطع الحديث معه بطريقة لطيفة معلناً أن ذلك خطية . لأن رغبتك فى الاستماع تدل إما على استحسانك الحديث ، أو اشتراكك مع النمام ، أو موافقتك ورضائك عنه .

أما تخطىء ان رأيت ناراً مشتعلة في بيت قريبك وتستطيع إطفاءها ولم تتحرك إلى ذلك ، فكيف إذاً ترى نار النميمة ، ولهيب الغيبة مشتعلة فى حق أخيك ولا تبادر إلى اخمادها . إن رأيت نقيصة أو عيباً في صاحبك فالأولى بك أن تصلى لأجله لا أن

https://coptic-treasures.com/

تذمه وتغتابه ، لأن اغتيابك له لا يصلحه ولا يجديك نفعاً . وقد يكون من تراه ناقصاً ومذموماً يتوب إلى ربه ويقبله ، فكيف يليق بك أن تحسبه شريراً والرب قد قبله واحتسبه طاهراً . هل تعلم أنك لن تسقط يوماً ما فى تلك السقطة التي كنت تذمها فى غيرك . خف الله ، واكفف لسانك عن قريبك ، إنك لن تدان عنه ، وتجازى بفعله ، ولم ترسل مديراً لأمورالناس وأفعالهم وحكماً عليها . فلا تحكم على أحد حتى ولو رأيته يفعل خطية ظاهرة ، لانك لا تعرف آخرته وآخرتك . إن الكرّام الحكيم لا يقطف إلا الأثمار الناضجة ويترك الباقي ، فكن أنت كذلك لا تنظر فى غيرك إلا الصفات الحسنة وتغاض عن الهفوات ، ولا تنقل كلمة ردية سمعتها قيلت فى حق قريبك ، بل اجتهد لتجبر كل صدع ، وتصلح كل رأب ويؤلف بذلك بين القلوب،واحترس من الألفاظ القاسية ،لإن فظاظة الكلام تربي العداوة والكراهية . ولا تنطق بكلمة تغيظ أخاك ، ولا تحاول أن تمس كرامة أحد لا فى حضوره ، ولا فى غيبته ، وتعلم أنه خير لك أن تموت من أن تسبب عثرة لغيرك

https://coptic-treasures.com/

« صن لسانك عن الشر وشفتيك عن التكلم بالغش »
(مز ٣٤ : ١٣)

« يارب من ينزل فى مسكنك ، من يسكن فى جبل قدسك ، السالك بالكمال والعامل بالحق ، والمتكلم بالصدق فى قلبه ، الذى لا يشي بلسانه ، ولا يصنع شراً لصاحبه ، ولا يحمل تعييراً على قريبه » (مز ١٥ : ١ — ٣)

الفصل الخامس والسبعون

طول الروح وعدم الغضب

قال الحكيم « طول الروح خير من تكبر الروح ، لا تسرع بروحك إلى الغضب لأن الغضب يستقر فى حضن الجهـــال » (جا ٧ : ٨و٩) « بطىء الغضب خير من الجبار ، ومالك روحه خير ممن يأخذ مدينة » (ام ١٦ : ٣٢) الغضب هلاك للنفس ،

https://coptic-treasures.com/

وأتون يحرق فيه سلام القلب ، ونار تفنى المحبة ، وهو وحش كاسر مفترس ، وجنون وقتى . الضباب يظلم الجو ، فكذلك الغضب يجعل غشاوة على العقل ، ويعكر صفاء النفس ويؤلمها ، ويصيّر المزاج سقيماً عليلاً

الغضوب يقتل نفسه بنفسه ، ويقضى عليها بغيظه ، فقلب الغضوب حانق كل حين ، وجبينه مقطب ، ومزاجه سقيم ، وحاله فى يأس ، فهو دائماً حزين النفس ، مكتئب الروح ، فاقد الشعور . وعينه شريرة ، وهو مكروه من الجميع . أما المتمهل فهو سعيد فى حياته وهو كينبوع صاف يصعب تكديره . فالإمهال مذهب للغضب ملين للقساوة ودعامة الصلح والسلام . فكن طويل الروح تنل الغبطة والسعادة . فالكثير الأناة يكون دائماً فرحاً ومسروراً . والطويل الروح لا يعرف الغضب ولا يشعر بالحقد ، بل يصبر على صروف الدهر ونوائبه ، إذا كنت طويل الروح فلن تشتعل نفسك غضباً ولن تثب إلى الغيظ عند الإهانات ، وتبقى ثابت الجأش راسخ القلب لدى كل شيء . الطويل الروح لا يظلم ولا يحزن ولا يتعدى

https://coptic-treasures.com/

على غيره ، وجهه بشوش ، وقلبه ساكن ، ضميره هادىء ، وعقله رزين ، وكل شىء فيه حسن ، يعالج كل شىء بالصبر وطول الأناة .

من لا يتخلق بطول الأناة يفقد الصبر ويسرع دائما إلى الغضب والخصومات ، ويحتدم غيظاً لنزول أى محنة به ، ويصير قلقاً مضطرباً فى سائر أفعاله وحركاته ، يكون كورقة تحركها الرياح كيف شاءت. فتعلم أن تكون متأنياً طويل الروح فى كل أحوالك فيحسن حالك ويستريح قلبك وينعم بالك . فما أسعدك إن تعلمت أن تنبذ الغضب لأنك تكون فى سلام دائم • وان أبعدت عنك روح الغضب فقد طردت الحرب والاضطراب . عش سالماً واسلك سبيل الدعة ، ولا تتكلم بحدة ، فتنفى عنك أسباب الغضب ، وتصير مسكناً للروح القدس . إن حفظت نفسك من الغضب تقدر أن تقتنى المحبة والدعة والتواضع والصبر. قيّد الغضب بسلاسل من حديد ، واحسبه عدواً ظالماً ضاراً بنفسك وداوه بالوداعة . واضربه بسياط التأنى والسكون. والجمه بلجام المحبة الخالصة . متى يتملكك الغضب فاضبط نفسك بالسكوت والصمت . إذا أهنت أو احتدّ أو اعتدى عليك أحد

https://coptic-treasures.com/

فليكن دفاعك عن نفسك بهدوء ولين ، ولا تعامل غضوباً وأنت غاضب واعلم « ان الجواب اللين يصرف الغضب والكلام الموجع يهيج السخط » (ام ١٥ : ١) « ببطء الغضب يقنع الرئيس واللسان اللين يكسر العظم » (ام ٢٥ : ١٥) « بطيء الغضب كثير الفهم وقصير الروح معلى الحمق » (ام ١٤ : ٢٩) « الحجر ثقيل والرمل ثقيل وغضب الجاهل أثقل منهما كليهما » (ام٢٧ : ٣) « تعقل الإنسان يبطيء غضبه وفخره الصفح عن معصية » (ام ١٩ : ١١)

إذا تحادثت مع إنسان فليكن كلامك بتمهل وتأن ، وإذا حاججت أو دافعت عن حق فليكن بلا غضب . وإذا نصحت فليكن برفق ولطف . إن شئت أن تخرج القذى من عين أخيك ، فلاتتخذ آلة ضخمة لئلا تتلف عينه ، فكذلك الكلام القاسي ، والتوبيخات المرّة تفقد بها أخاك ، فاستعمل الكلام اللين ووبخ بلطف ، وعظ بمحبة وأصلح بدعة ، وانصح بشفقة ، وتكلم بكل تأن ووداعة . ولكنك ان استعملت الشدة عكرت صفو أخيك وفقدت صداقته . بعض

https://coptic-treasures.com/

المعادن كالرصاص يلين بالطرق، وبعضها كالحديد يزيد صلابة بالطرق. فالنصائح والتوبيخات الصارمة تفيد القلوب اللينة وتقسي ذوي العواطف الخشنة القاسية ، فاعطِ كلاً ما يناسبه من الدواء

الفصل السادس والسبعون

الصمت والاحتراس من فضول الكلام

إن فضول الكلام باب للوقيعة والاغتياب ، وقائد الى المذمة والهزؤ والسخرية ، وهو يشتت العقل ويبيد السكون والسلام ، ويزيل التأمل ويطفيء حرارة الروح .أما الصمت لحفاظ لهدوء العقل، وحياة للخشوع ، ورقيب على الأفكار ، وقرين السلام ، ومرشد إلى حسن الجواب . وهو والد الصلاة ، ومخبأ لحرارة الروح ، ورفيق للدموع المقدسة ، وأخو الندامة وزرع للفضيلة وسبيل للارتقاء ، ومن يعرف أن يلجم لسانه فهو ملك قاهر ، أما من لا يعرف ذلك

https://coptic-treasures.com/

فهو مهذار ثرثار لا يعرف كيف يدبر نفسه ، فضع حداً للسانك وتعلم كيف تمسك بزمامه .

احترس من فضول الكلام ، ولا تتكلم إلا عند الحاجة ، وحسبما يقتضيه المقام . ولا تمدح كثير الكلام لأن الثرثار لا يخلو من الفضول ، بل سر بشفاه تتحرك بهدو بعد أناة وتفكير . كثرة الكلام تشوش الذهن وتحول دون التمتع بالأفكار المقدسة وتفقد سلام الروح . إذا جلست في مجلس يكثر فيه اللغط بالأباطيل والأمور المزدرى بها ، ولم يمكنك الابتعاد عنه فكن هناك كأعمى لا يرى ، وأصم لا يسمع ، وأبكم لا يتكلم ، كي لا تفقد سلامك ولا تتعلق بتلك الأباطيل . قال يعقوب الرسول « ليكن كل إنسان مسرعاً في الاستماع مبطئاً في التكلم » (يع ١ : ١٩) « إن كان أحد فيكم يظن أنه دين ، وهو ليس يلجم لسانه بل يخدع قلبه فديانة هذا باطلة » (يع ١ : ٢٦) « إن كان أحد لا يعثر في الكلام فذاك رجل كامل قادر أن يلجم كل الجسد ، هوذا الخيل نضع اللجم في أفواهها لكي تطاوعنا فندير جسمها كله ، هوذا

https://coptic-treasures.com/

السفن ايضاً وهى عظيمة بهذا المقدار وتسوقها رياح عاصفة تديرها دفة صغيره جداً إلى حيثما شاء قصد المدير ، هكذا اللسان أيضاً هو عضو صـــغير ويفتخر متعظماً ، هوذا نار قليلة أى وقود تحترق ، فاللســـان نار عالم الإثم هكذا جعل فى أعضائنا ، اللسـان يدنس الجسم كله ويضرم دائرة الكون ويضرم من جهنم ، لأن كل طبع للوحوش والطيور والزحافات والبحريات يذلل وقد تذلل للطبع البشرى ، وأما اللسـانُ فلا يستطيعُ أحدٌ من الناس أن يذلّله ، هو شر لا يضبط مملوء سماً مميتاً ، به نبارك الله الآب ، وبه نلعن الناس الذين قد تكونوا على شبه الله ، من الفم الواحد تخرج بركة ولعنة ، لا يصلح يا أخوتي أن تكون هذه الأمور هكذا ، إلعل ينبوعاً ينبع من نفس واحدة العذب والمرّ ، هل تقدر ياأخوتى تينة أن تصنع زيتوناً ، أو كرمة تيناً ، ولا كذلك ينبوع يصنع ماء مالحاً وعذباً » (يع ٣ : ٢ ـ ١٢)

«قلت أتحفظ لسبيلي من الخطاء بلسانى، أحفظ لفمي كمامة فيما الشرير مقابلي ، صمت صمتاً سكت عن الخير فتحرك وجعى » (مز٣٩ :١و٢)

https://coptic-treasures.com/

إن الصمت لا يحفظك فقط من الغلط والخطأ ، بل إن أحسنته أجدت الكلام ، لأن العقل يدعوك الا تتكلمَ إلا بعد التفكر ، ولا ترد الجواب إلا بعد التدبر ، ولا يمكنك الحصول على هذه المزية إلا إذا اعتدت الصمت ، الذى به تحفظُ فكرك وبه تعرف كيف ترتب كلامك ، ومتى تقوله وبأى صورة تقوله « من يحفظ فمه يحفظ نفسه ، ومن يشحر شفتيه فله هلاك » (ام ١٣:٣) « من يحفظ فمه ولسانه يحفظ من الضيقات نفسه » (ام ٢١ : ٢٣) « فى معصية الشفتين شرك الشرير اما الصديق فيخرج من الضيق » (ام ١٢ : ١٣) « الموت والحياة فى يد اللسان وأحباؤه يأكلون ثمره » (ام١٨:٢١) « كثرة الكلام لا تخلو من معصية أما الضابط شفتيه فعاقل » (ام ١٠ : ١٩) «الحلم يأتى من كثرة الشغل وقول الجهل من كثرة الكلام » (جا ٥ : ٣) مدينة متهدمة بلا سور الرجل الذى ليس له سلطان على روحه » (أم ٢٥ : ٢٨)

من لا يحفظ فمه فهو كالإناء المكشوف يسقط فيه الغبار والتراب ،ويكون مملوءاً بالاوساخ والاقذار ، إذ إنه ليس له غطاء

https://coptic-treasures.com/

يصونه ويحفظه . ليس المراد بالصمت عدم التكلم على الأطلاق ، لأننا ما وهبنا قوة النطق إلا لنتحادث ويفيد بعضنا بعضاً ، وإنما المقصود به الاحتراس من نقائص الكلام وفضوله ، لنترك فرصة لأفكارنا وأرواحنا أن تشتغل فى الباطن بالمخاطبة الروحانية والمفاوضة الإلهية مع الله ، التى تلق فى قلوبنا العزاء الروحى والسلوان المبهج ، فتستقبل التأملات السماوية فتبعث فى أفئدتنا الفرح الداخلى والسلام الحقيق . ليس من الصـــــواب الامتناع عن الكلام عند وجوبه ولزومه ، كما أنه من الفضول والخطأ الاندفاع في التكلم عند عدم الحاجة اليه . فاستمع أكثر مما تتكلم ، فقد أعطيت أذنين للسمع ، وما منحت إلا لساناً واحداً كي يكون كلامك أقل من استماعك ، وقد خلقت الأذن مفتوحة ، وأما اللسان فاغلق عليه بابين هما الشفتان والأسنان كي ينفتحا عند اللزوم ، فتفكر وتأمل كثيراً قبل أن تتكلم ، فان لسانك مرتبط بقلبك ، ومن القلب تصدر أفكارك وألفاظك ، وباللسان يستدل على ما فى قلبك ، فزن الكلمة بميزان الحكمة ، وأبردها بمبرد العقل ، وأصقلها فى محك

الاختبار ، قبـــل أن تهم بالنطق بها ، فقد تثير كلمة غير محكمة خصومات ومجادلات لاحدَّ لها ، فكن حريصاً على كل كلمة تقولها ، واعرف أولا قبل افتتاحك الكلام ماذا تتكلم ولماذا تتكلم ، ومن أنت بالنسبة للذى تتكلم معه ، وكيف تتكلم أمامه ، ولا تفه بكلمة إلا فى حينها وفى محلها، وقد قيل «تفاح من ذهب فى مصوغ من فضة كلمة مقولة فى محلها » (ام ٢٥ : ١١)

ولا ترد جواباً قبل أن تسمع السؤال وتستوعبه جيداً ، وإياك أن تقاطع غيرك في كلامه ، لأن ذلك يدل على عدم اكتمال أدبك ، وبه تسيء إلى المتكلم كأنك محتقر كلامه . « من يجيب عن أمر قبل أن يسمعه فله حماقة وعار » (ام ١٨ : ١٣) فاذا سئلت عن شيء وأجبت عن غيره فلن يصفك الناس بالحذق لسرعتك ، بل تكون قد جلبت على نفسك صفة الحماقة والعار ، وأظهرت الجهل ودللت على غباوتك ، ولا ترد على سؤال ما يوجه إلى غيرك ، لئلا تكون متطفلاً ومتكبراً، تريد التقدم غير محترم من وجه اليه الكلام ، فاقد الثقة به مستصغراً له فى عينيك . وإذا كنت في مجلس ووجه إلى

https://coptic-treasures.com/

الجميع سؤال فلا تكن البادىء بالإجابة ، لئلا يظن فيك أنك تروم التقدم والظهور فتفقد بذلك التواضع . تكلم بصوت منخفض بقدر ما يسمعك المتكلم ، لأن التكلم بصوت عال أكثر مما يجب أمر لا يتفق مع الاحتشام والأدب ، ومتى تكلمت فلا تكثر من حركات الأعضاء ، كهز الرأس والإشارة بالأصبع ، ورفع الجبين ، وتقطيب الحاجبين ، ولا تظهر حركة غير مناسبة فى أعضائك ، لا بعينيك ولا بأنفك ولا بشفتيك ، ولا بغيرهما ، بل ليكن كلامك بهدوء ورزانة وبشاشة وليكن وجهك طلقاً فيكسوك ذلك الهيبة والوقار . لا تتصنع اللطف والتنميق فى الكلام ، ولا تقلد أحداً فى كلامه ، بل ليكن الكلام مملوءاً عذوبة ولطفاً حقيقيين ، بعيداً عن الخشونة والقسوة لا سيما عند النصح ، ولا تظهر غضباً عند كلامك كي تؤثر آدابك فيمن تكلمه أكثر من كلامك ذاته ، «لا تزجر شيخاً بل عظه كأب ، والأحداث كأخوة ، والعجائز كأمهات ، والحدثات كأخوات بكل طهارة » (١ تى ٥ : ١ و ٢)

واعلم أنك لن تندم على كلمة لم تفه بها ، ولكنك سوف تأسف

https://coptic-treasures.com/

على كلمة نطقت بها فى غير محلها ، لأن الكلام الذى احتجزته فى نفسك ، يمكنك أن تقوله فى أى وقت ، وأما ما قلته فهيهات أن تستطيع استرداده

الفصل السابع والسبعون

الصبر

الصبر قوةُ القلب ، وشهامة النفس ، هو حصن المجاهدين ، وملجأ أمين فى الشدة والضيق ، منشط النفس ومؤيدها ، قاهر للكسل والفتور ، مقاتل للقلق والضعف ، وهو سيف ذو حدين يستأصل التعب ، وهو ذهب خالص فى البودقة ، ومعدن صلب تحت المطارقة ، وقمح جيد داخل الاهراء ، فما أجمل الصبر وما أحسنه . أنه لمغبوط من يتصف به ، لأن فيه الرجاء ، والرجاء لا يخزي . من يصبر يتحمل المشقات بسرور ويتقبل الإهانات بقلب غير جزع ،

https://coptic-treasures.com/

ويحسن الطاعة ، ويتسع قلبه ، ولا يضيق صدره لدى أى شيء ، ويسالم الجميع ويتقن المحبة ، ويبارك عند الشتائم . ويكون ساكن النفس رابط الجأش ، جلداً فى الخدمة ، قوياً فى الأعمال الصالحة ، لذيذ المحادثة ، وديع الروح ، حريصاً على حفظ الرجاء . مسكين من لا يحتمل مرارة الصبر ، وسعيد من يتذوق حلاوته . شقي من ينبذ كأس الصبر . فمن لا يشربه فهو جائع للخصومة ، متذمر على الرب ، ضجر لدي المحادثة ، عاجز فى الصلاة ، فقير لا يملك شيئاً من خيرات الفضيلة

تمسك بالصبر ، وطول الروح فى كل أعمالك ، واحتمل بشهامة كل ما يأتيك من الشدائد ، وافتح لها صدراً رحيباً ، سواء أكانت أمراضاً ، أم تعييرات ، أم غموماً ، أم هموماً ، أم آلاماً جسدية ، أم أحزاناً ، أم حروباً من قبل العدو . لا يمكنك أن تتبع يسوع ما لم تحمل صليبك وراءه ، فان محناً كثيرة ، وآلاماً مرة تنتاب الأنسان فى كل أدواره ، ولكن « بصبركم اقتنوا أنفسكم » (لو ٢١ : ١٩)

https://coptic-treasures.com/

أصبر صبراً جميلاً واتكل على الله وانتظر العون فيأتيك العزاء سريعاً بالنعمة ، إن فقدت الصبر ضاقت نفسك ، وضاعت قوتك وشهامتك ، وضجرت وثقل عليك أقل الأشياء ، وسئمت الجهاد والتعب وقطعت الرجاء والأمل ، فاياك أن تفقد قوة الصبر ففيها خلاصك . اتبع الصبر فتتبع آثار القديسين ، وتسلك فى خطوات الرب . فالقديسون والأنبياء والشهداء وكل رجال الله حاقت بهم المحن ، ولكنهم احتملوها بصبر جميل ، فسروا لها وفرحوا بها لأنهم كانوا ينتظرون الثواب من الله . فان شئت أن تكون تلميذاً للرب فاعدّ نفسك للمحن وقوم ذاتك واحتمل كل شىء بالصبر وطول الأناة .

تقلد الصبر سلاحاً فى كل شىء وردّدْ قول المرنم « انتظر ، ليتشدد وليتشجع قلبك ، وانتظر الرب » (مز ٢٧ : ١٤) ليكن لك هذا القول كعكاز تستند عليه وقت الضيق والشدة ، وحينئذ تستطيع أن تحتمل النوائب بصبر جميل . إن صليت أو صمت أو سهرت أو جاهدت ، أو فقدت التعزية أو حاولت النهوض بما فيه نشاط لروحك

https://coptic-treasures.com/

وقوة لاتمام الفضيلة . فجاهد بقدر ما تستطيع ، واصبر ما أمكنك الصبر ، لا تفقد قوتك أو تعدم شجاعتك ، فانه عما قريب ينتهى جهادك،وتحصد ما زرعت وتحصل على نتيجة صبرك

ويل للقلوب الخائرة ، والنفوس الحائرة،والأيدى المتراخية،فانها تضيق ذرعاً عند التجربة ولا تثبت أمام الجهاد ، ولا تجد الحماية لعدم إيمانها وفقدان صبرها. فيامن تركتم الصبر إنكم ستخيبون وتخذلون ، ويامن فقدتم نعمة الاتكال على الرب علامَ تستندون والى من ترتاحون ؟

اعلم أن الصبر عزاء لدى الأحزان والكوارث ، « لتتشدد ولتتشجع قلوبكم ياجميع المنتظرين الرب » (مز ٣١ : ٢٤) » فان الذى يصبر الى المنتهى يخلص » (مت ١٠ : ٢٢) «انتظر الرب واصبر له » (مز ٣٧ : ٧) ولكنى أراقب الرب أصبر لأله خلاصى ، يسمعنى إلهى » (مي ٧:٧) «لانى لك يارب صبرت أنت تستجيب يارب إلهى » (مز ٣٨:١٥) « إن كنا نصبر فسنملك أيضاً معه » (٢تى ٢:١٢) « أما الذين بصبر فى العمل الصالح يطلبون المجد والكرامة والبقاء

https://coptic-treasures.com/

بالحيوة الأبدية » (رو ٢ : ٨) « فلا تطرحوا ثقتكم التى لها مجازاة عظيمة ، لانكم تحتاجون إلى الصبر حتى إذا صنعتم مشيئة الله ، تنالون الموعد، لأنه بعد قليل جداً سيأتى الآتى ولا يبطىء» (عب ١٠: ٣٥ ـ ٣٧)

« فتأنوا أيها الاخوة إلى مجيء الرب ، هوذا الفلاح ينتظر ثمر الأرض الثمين متأنياً عليه ، حتى ينال المطر المبكر والمتأخر ، فتأنوا أنتم وثبتوا قلوبكم لأن مجيء الرب قد اقترب ، لا يئن بعضكم على بعض أيها الإخوة لئلا تدانوا ، هوذا الديان واقف قدام الباب ، خذوا ياأخوتى مثالاً لأحتمال المشقات والاناة ، الانبياء الذين تكلموا باسم الرب ، هانحن نطوب الصابرين ، قد سمعتم بصبر أيوب ورأيتم عاقبة الرب ، لأن الرب كثير الرحمة ورؤوف » (يع ٥ : ٧ ـ ١١)

« لأنك حفظت كلمة صبرى ، أنا أيضاً سأحفظك من ساعة التجربة العتيدة أن تأتى على العالم كله ، لتجرب الساكنين على الأرض، ها أنا آتى سريعاً تمسك بما عندك لئلا يأخذ أحد إكليلك » (رؤ ٣ : ١٠ و ١١)

https://coptic-treasures.com/

« هنا صبر القديسين ، هنا الذين يحفظون وصايا وإيمان يسوع »
(رؤ ١٤ : ١٢)

الفصل الثامن والسبعون

التحلي بالحق والصدق وعدم الكذب

لا تستحِ من إظهار الحق ، بل إخجل من الباطل والزور . وجاهد وذُد عن الحق حتى لو أدى بك ذلك إلى الموت، وفي الوجود إله قدير يحميك فلا يدَعُك تغلب . لا تتزلف للأكابر ولا تخف الحق أمام المقتدرين . وليكن كلامك واحداً ولا تميل مع كل ريح . وكن دائماً صادقاً في كل أقوالك لتحوز ثقة من تكلمه ، واهرب من الكذب في كل احوالك . فيكفي الكذب حطةً وشناعةً أن كل إنسان يتبرأ منه ولو كان متصفاً به ، فهو مثار سخط للرب وللناس،وصاحبه لا يركن اليه ولا يوثق به أبداً .

https://coptic-treasures.com/

« كراهة الرب شفتا كذب ، أما العاملون بالصدق فرضاه » (ام ١٢ : ٢٢)

« ابتعد عن كلام الكذب ولا تقتل البرىء والبار، لأني لا أبرر المذنب » (خر ٢٣ : ٧)

« لأن أفواه المتكلمين بالكذب تسد » (مز ٦٣ : ١١)

« الشاهد الأمين لن يكذب، والشاهد الزور يتفوه بالأكاذيب» (ام ١٤ : ٥)

« لا تكذبوا بعضكم على بعض إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله » (كو ٣ : ٩)

« لذلك اطرحوا عنكم الكذب وتكلموا بالصدق كل واحد مع قريبه ، لأننا بعضنا أعضاء البعض» (اف ٤ : ٢٥)

متى تكلمت عن أمر أو حدثت عن شيء فاحذر من المبالغة فيما تقول . ولا تخرج بكلامك عن حد الاعتدال ، ولا تضف اليه من عندك شيئاً يفهم منه سامعوك عدم الصدق في القول . بل حسبك

https://coptic-treasures.com/

أن تروى الحديث كما هو ، والعقل والحق يعضدان قولك ويظهران صدقك .لا تتكلم عن شيء معتداً برأيك ، مغتراً بنفسك، فقد تكون مخطئاً وليس الحق فى جانبك ، ولا تفه بما يحتمل كثيراً من المعانى، ولا توجه كلاماً إلى واحد وقصدك منه أن ترمى به أحد الحاضرين . ولا تكن فى كلامك متلوناً تقول غير ما تريد وتظهر خلاف ما تبطن ، بل تعلم أن تنطق بالحق واضحاً وبالكلام صريحاً . ودعك من التلويح والرمز ، لأن تلك الخصال تدل على المكر واللؤم وسوء الضمير وهى أشنع من الكذب . وليكن كلامك بالحق فان ذلك يدل على نقاء القلب وسلامة النية . وكن حكيماً فى كل شيء وتبصر فى كل أمر . لأنه لا يليق بك وأنت عاقل أن تصدق كل ما يقال ، أو تثق بأى فكر ورأى ، بلا إمعان ولا تبصر ، بل يدعوك الصواب وسداد الرأى أن تزن الأمور بميزان الحق والصدق لترى الحق من الباطل . لاتصدق سريعاً ما يعزى من الشر إلى الآخرين . ولا تركن إلى كل ما تسمعه ، بل اجتهد دائماً أن تتحقق الأمور بنفسك . وابحث وافحص وفتش ودقق ، وبعد

https://coptic-treasures.com/

ذاك ثق إن وجدت محلا للثقة ، واركن إن وجدت مكاناً للركون .

لا تتسرع ولا تتعجل الحكم على أمر من الأمور قبل التحقق والتثبت ، فعدم الاسراع في الحكم حكمة عظيمة . لا تسرع بروحك إلى الغضب عند سماعك أمراً تظنه مكدراً لك ، فلربما وجدت فيه خيراً لك أو لقريبك . لا تكن عنيداً ولا مستبداً برأيك ، فرب شيء تعتقده صحيحاً وهو في ذاته لا أساس له من الصدق ، ومن الحكمة أن تكون متأنياً وصبوراً في كل أمر . ولا تبادر إلى إذاعة ما سمعته أو رأيته . ولا تنقل خبراً لاتكون متأكداً من صحته .

https://coptic-treasures.com/

الفصل التاسع والسبعون

تجنب المزاح

كن هادئاً رزيناً محتشماً فى كل أحوالك ، ولا تكن مهذاراً كثير الضحك والهزل . واحترس من المزاح غير اللائق فانه يفقدك سلامة القلب ، ويسلبك نعمة التقوى والخشوع ، ويصيرك متوانياً متراخياً فى الروحيات ، ويبعد عنك روح العزاء الإلهي والسلوان الباطنى ، ويحط من قدرك فى عيون الآخرين . فافرح وانشرح وتمتع بما هو مباح ولائق . لا تكن كثير الضحك لأى سبب ، لأن كثرة الضحك دليل الخفة وقلة العقل . بل إنها لتميت القلب . كثيرون يطلبون المزاح ، ويفرطون فيه ويصرفون جل أوقاتهم فى الهزل ، زعماً منهم بأنه يخفف عنهم أثقال العالم وينسيهم هموم الحياة ، ولكن باطلاً مايرجون وما هم فى ذلك إلا واهمون ، فالراحة الحقيقية والفرح الدائم يوجدان عند من له ضمير نقي وقلب سليم . لأن الكثير الهزل

https://coptic-treasures.com/

لاشرف له ولا اعتبار ، وليس من الرزانة والرصانة فى شيء . الجرس يعرف من طنينه ، أجيد هو أم لا ، فكذلك كلام الإنسان يظهر باطنه، فان سمعت كلاماً مملوءاً مزاحاً وهزلاً فاقطعه بحديث ملؤه الرزانة والاحتشام،لأنه « كصوت الشوك تحت القدر هكذا ضحك الجهال» (جا ٧ : ٦)

كثيرون يعدون المازحين أناساً لطفاء مسامرين أصحابهم وخلانهم ، ذوى أنس ومسرة ، ويهزءون بمن يجعلون كل أحاديثهم وأقاويلهم فى خلاص النفس وهدوء الروح وسلامة القلب . ولكنهم لودروا لعرفوا أنهم قوم مستهزئون ساخرون خالون من النعمة، وليس ذلك منهم أنساً ولا لطفاً، بل جهالة وعدم فطنة وتمييز ، وسوف يقال لهم «ويل لكم أيها الضاحكون الآن لانكم ستحزنون وتبكون » (لو ٦ : ٢٥)

أما أنت فابتعد عن ذلك وتصرف بحكمة المسيحي الحقيقى ، ولاتعود فمك أن ينطق إلا بما هو نافع وصالح لبنيان الآخرين « ليكن

https://coptic-treasures.com/

كلامكم كل حين بنعمة ومصلحاً بملح لتعلموا كيف يجب أن تجاوبوا كل واحد » (كو ٤ : ٦)

« لا تخرج كلمة ردية من أفواهكم ، بل كل ما كان صالحاً للبنيان حسب الحاجة ، كى يعطى نعمة للسامعين » (اف ٤ : ٢٩)

« اطرحوا عنكم أنتم أيضاً الكل الغضب السخط الخبث التجديف الكلام القبيح من أفواهكم » (كو ٣ : ٨) كما يليق بقديسين ولا القباحة ولا السفاهة ولا الهزل التى لا تليق بل بالحري الشكر » (اف ٥ : ٤)

https://coptic-treasures.com/

الفصل الثمانون

البشاشة والفرح بالرب وعدم الحزن والكآبة

ليكن وجهك دائماً طلقاً بشوشاً ، لأن البشر والطلاقة وعذوبة الكلام تجذب قلوب الناس اليك . فلا تعاشر الناس أو تقابلهم أو تخاطبهم إلا بوجه طلق بشوش . أظهر لهم على الدوام الدعة والاحتشام المقرونين باحترام ، ولا تدع الاكتئاب والكدر والحزن تتسلط عليك أو ترتسم على محياك ، ولاتزعج راحة الذين معك باكتئابك وغمك. وقابل الجميع باللطف ولوكانوا ألدّ أعدائك، كما عامل يوسف إخوته الذين باعوه . ألاترى المخلص سمح ليهوذا أن يقبله ودعاه ياصاحب . واعلم أن هدوء اخلاقك وحسن ملاطفتك ، يجلب لك الفرح والسرور ومحبة الناس، وتنزع منك البغض والحقد والغيظ

كن فرحاً بالرب كل حين ، ولا تحزن لأن الحزن يؤذي النفس

https://coptic-treasures.com/

ويضيق الصدر . واصرف كل غم وحزن عن نفسك بالقاء همك واتكالك على الله الذى يدبر أمورك ، ولا تكن كبحر مضطرب لايهدأ نأمته ولا تسكن أمواجه ، بل كن كوردة نضرة فى وسط الشوك ، وليظهر رضاؤك بما يأتى به الرب إبان التجارب وزمن الضيق والشدة ، ونق نيتك وأصلح ضميرك وكن خاضعاً لإرادة الله فتكون فرحاً على الدوام

إن أحببت البر وأبغضت الأثم فيمسحك الرب إلهك بدهن الفرح والابتهاج (مز ٤٥ : ٧) لأن الفرح الحقيقى لا يوجد فى خيام الأشرار، بل فى منازل الصديقين، فالقديسون تلذذوا بكثرة السلامة، وكانوا دائماً فرحين حتى فى أوقات دموعهم . بولس الرسول كان فرحاً وهو مقيد بالسلاسل والأغلال ، فان قطرة واحدة يرتشفها القلب من سلام الرب تملأ القلب فرحاً وعزاء « الرب أمامى فى كل حين لأنه عن يمينى فلا أتزعزع ، لذلك فرح قلبى وابتهجت روحى، جسدى أيضاً يسكن مطمئناً » (مز ١٦ : ٨و٩) « أما نفسى فتفرح بالرب وتبتهج بخلاصه ، جميع عظامى تقول من مثلك يارب من

https://coptic-treasures.com/

مثلك » (مز ٣٥ : ٩ و ١٠) « تعظم نفسى الرب وتبتهج روحى بالله مخلصى » (لو ١ : ٤٧) « افرحوا بالرب كل حين » (فى ٤:٤) « تلذذ بالرب فيعطيك سؤال قلبك » (مز ٣٧ : ٤) « افرحوا بالرب وابتهجوا يا أيها الصديقون واهتفوا ياجميع المستقيمى القلوب» (مز ٣٢ : ١١) « افرحوا مع أورشليم وابتهجوا معها ياجميع محبيها ، افرحوا معها ياجميع النائحين عليها ، لكي ترضعوا وتشبعوا من ثدى تعزياتها ، لكي تعصروا وتتلذذوا من درة مجدها ، لأنه هكذا قال الرب هانذا أدير عليها سلاماً كنهر ومجد الأمم كسيل جارف ، فترضعون وعلى الأيدى تحملون وعلى الركبتين تدللون ، كإنسان تعزيه أمه هكذا أعزيكم أنا ، وفى أورشليم تعزون فترون وتفرح قلوبكم وتزهو عظامكم ، وتعرف يد الرب عند عبيده » (اش ٦٦ : ١٠ — ١٤) « فمع أنه لا يزهر التين ، ولا يكون حمل فى الكروم ، يكذب عمل الزيتونة ، والحقول لا تصنع طعاماً ينقطع الغنم من الحظيرة ، ولا بقر فى المزاود ، فأنى ابتهج بالرب وافرح باله خلاصى » (حب ٣ : ١٧و١٨)

https://coptic-treasures.com/

لا تعود نفسك الحزن ولا تدع الضجر والغم يستوليان عليها ، ولا تسمح للهم والغم أن يسكنا قلبك ، فان الحزن دود يأكل سلام القلب ، وسوس يفسد الرجاء ، وظلام يخيم على العقل ويبيد المعرفة ،ويعوق كثيراً من الناس عن السير فى طريق الفضيلة ، ويترك آثاراً محزنة فى القلب ، ويضعف القوى ويجعل العزم خائراً،والنشاط فاتراً والهمة منحطة والسلامة معدومة ، فيستولى الضجر عليك ، وتصير الصلاة حملاً ثقيلاً ، والتأمل فى الروحيات أمراً عسيراً ، والتلاوة فى الكتب المقدسة كلاماً مريراً ، وبالاجمال ترى النفس الحزينة يصير كل شيء أمامهاثقلا لاتستطيع حمله « كنزع الثوب في يوم البرد ، كخل على نطرون ، من يغنى أغاني لقلب كئيب » (ام ٢٥ : ٢٠)

الحزن يفتح باباً لابليس ليلقى بصاحبه فى اليأس والفشل ، ويقوده إلى الغضب . ويحمله على الزهد فى الاحتمال والوداعة وطول الأناة . والحزن جرثومة شرور كثيرة . فهو يوهن قوة القلب ويباعد بين الانسان والصبر ويصيره جباناً . ويرغبه فى حب العالم

https://coptic-treasures.com/

والميل إلى الملاهي والملذات ، ظناً أن ذلك يسرى عنه الهموم ويكشف عنه الأحزان . فكن فرحاً بالرب . واجعل مسرتك في يسوع فينزع حزنك ، ولا تشته ما لا تملكه من أمور العالم ، ولا تخش فقد ما عندك . ولن تجد علاجاً للحزن أنجع من الصلاة فمن كان فرحاً فليرتل ومن كان حزيناً فليصل ّ (يع ٥ : ١٣)« نور قد زرع للصديق وفرح للمستقيمى القلوب ، افرحوا أيها الصديقون بالرب واحمدوا ذكر قدسه » (مز ٩٧ : ١١ و ١٢) « القلب الفرح يجعل الوجه طلقاً وبحزن القلب تنسحق الروح » (ام ١٥ : ١٣)

يوجد حزن مقبول وهو نتيجة الندم على الخطية لأجل التوبة ، « لأن الحزن الذي بحسب مشيئة الله ينشىء توبة لخلاص بلا ندامة، وأما حزن العالم فينشىء موتاً » (٢ كو ٧ : ٩ و١٠) « اهلكتنى غيرتى لأن أعدائى نسوا كلامك » (مز ١١٩ : ١٣٩) « الحمية أخذتني بسبب الأشرار تاركى شريعتك » (مز١١٩ : ٥٣) والحزن والتألم لمجاورة الأشرار . « ويل لغربتى فى ما شك لسكنى في خيام

https://coptic-treasures.com/

قيدار ، طال على نفسى سكنها مع مبغض السلام » (مز١٢٠: ٥و٦) والأنين لاجل الاشتياق إلى السعادة . « فاننا فى هذه أيضاً نئن مشتاقين إلى أن نلبس فوقها مسكننا الذى من السماء (٢ كو ٥: ٢)

الفصل الحادى والثمانون

رقة القلب وقساوته

كن رقيق القلب ولين العواطف ودقيق الاحساس وانزع من قلبك كل قسوة ، فان قساوة القلب منشؤها الإثم ، وهى تميت العواطف وتبيد الإحساس والشعور الرقيق ، وتشل نزعات النفس الطيبة عن الظهور وتفقدها لذة الفضيلة وتدنس الضمير

قساوةالقلب تطفىء حرارة الروح،وتقلل من الندم على الخطية،وترغب فى الانتقام وتجعل الإنسان يكره المحبة ، ويستثقل الفضيلة ويتظاهر بالتقوى . فنمّ فى قلبك الشعور الرقيق ، وحاول أن تشعر دائماً

https://coptic-treasures.com/

بمصائب الغير ، وارث لهم وتألم مع المنكوبين المحزونين كأنك أنت المتضايق « اذكروا المقيدين كأنكم مقيدين معهم والمذلين كأنكم أنتم أيضاً فى الجسد » (عب ١٣ : ٣)

مرّن قلبك على مشاطرة الناس آلامهم . ولا تُحزن نفساً ضعيفة ، ولا تسبب غيظاً لرجل فقير ، بل كن مساعداً لكل أحد ، مواسياً الفقير والحقير والبائس والمسكين . لا تماطل فى وعدك ولا تبطىء فى عطيتك ، ولا تسبب قلقاً لأحد ، ولا ترد مسكيناً ، وإن لم تعطه فرده بكلام لين . إياك أن تغلظ الكلام لبائس فحسبه ضنكه وشدة عوزه ، فلا تزده ضنكاً بقسوة جوابك وعدم رقة قلبك

إرفق بالمسكين ، وكن عوناً له ، وارأف باليتيم وافتح له ذراعيك وتحنن عليه وساعده بقدر امكانك . طوبى لك إذا أنقذت مظلوماً من يد ظالم ، أو أغثت ملهوفاً استجار بك . إبدِ عواطف الشفقة والحنان لكل أحد . وساعد الفقير والحزين والمريض والمصاب والمنكوب ، وقدم لكل منهم ما يحتاج اليه من التعزية والتسلية .

https://coptic-treasures.com/

ولا تتأخر عن مساعدتهم بنفسك وبمالك وبكل ما تملك من الوسائط .
ومد يدك لأغاثة الملهوفين والمنكوبين وانتشلهم من وهدة اليأس والاكتئاب « طوبى للأنسان المتقى دائماً ، أما المقسى قلبه فيسقط فى الشر » (ام ٢٨ : ١٤) « الكثير التوبيخ المقسى عنقه بغتة يكسر ولا شفاء » (ام ٢٩ : ١) « وأعطيكم قلباً جديداً واجعل روحاً جديدة فى داخلكم ، وانزع قلب الحجر من لحمكم وأعطيكم قلب لحم » (حز ٣٦ : ١٦)

---

https://coptic-treasures.com/

الفصل الثانى والثمانون

الغيرة على خلاص القريب

إن أكمل الأعمال ما يعودُ على الغير بالنفع والخير ، وأفضلُ الناس من لا يعمل لذاته بل لما هو للآخرين أيضاً . قال الرسول « مهتمين بعضكم لبعض اهتماماً واحداً » (رو ١٢ : ١٦) «لا يطلب أحد ما هو لنفسه بل كل واحد ما هو للآخرين » (١ كو ١٠ : ٢٤) « فليرض كل واحد منا قريبه للخير لأجل البنيان ، لأن المسيح أيضاً لم يرضِ نفسه، بل كما هو مكتوب تعييرات معيريك وقعت على » (رو ١٥ : ٢و٣) « كما أنا أيضاً أرضى الجميع فى كل شيء غير طالب ما يوافق نفسى بل الكثيرين لكى يخلصوا »(١ كو ١٠ : ٣٣) « لأن المحبة لا تطلب ما لنفسها » (١ كو ١٣:٥)

فالعمل على خلاص القريب فضيلةٌ عظمى تصدر من المحبة، لان المحبة فضيلة مخصبة لا توجد وحدها بل تلد وتخصب خيراتٍ كثيرة لخير الإنسان ،« أيها الأخوة إن ضلّ أحد بينكم عن الحق فرده أحد،

https://coptic-treasures.com/

فليعلم إن من رد خاطئاً عن ضلال طريقة ، يخلص نفساً من الموت ، ويستر كثرة من الخطايا » (يع ٥ : ١٩ و ٢٠)

لا تعش متبطلاً متعطلاً ، بل إعمل دائماً كل ما من شأنه أن يعود بالخير والنفع على الآخرين ، غِرْ غيرة للرب واتعب وعظ واكرز للآخرين فى كل وقت ، ولا تظن أن ذلك واجب الرعاة والوعاظ فقط ، بل عليك أنت أيضاً أن « تخبر بفضائل الذى دعاك من الظلمة إلى نوره العجيب » (١ بط ٢ : ٩) « لكن كل واحد بحسب ما أخذ موهبته يخدم بها بعضكم بعضاً كوكلاء صالحين على نعمة الله المتنوعة ، إن كان يتكلم فكأنه من قوة يمنحها الله ، لكي يتمجد الله فى كل شيء بيســـوع المسيح » (بط ٤ : ١٠ و ١١) «وبالمحبة اخدموا بعضكم بعضاً » (غل ٥ : ١٣) اقتنص نفوس الذين حولك وخلصها من يد ابليس المغتصب ، وردها إلى الله صاحبها ، فتكون قد عملت في كرم الرب . أحيِ فى قلبك الغيرة على خلاص القريب،وربِّ في نفسك الرغبة الشديدة لدفع كل ما يناقض مجد الله وما يضاد إكرامه ومشيئته ،فالغيور يفرح كثيراً بامتداد ملكوت الله ،وانتصار المسيح

https://coptic-treasures.com/

على أعدائه ، ويسر بارتفاع النور وانهزام الظلام ، وهو يحزن متى رأى الفضيلة مهانة محتقرة ، ويتفجع لهلاك النفوس ، ويساعدها على الخلاص بقدر إمكانه .

اقتدِ بموسى الذي لشدة غيرته على شعبه قال للرب « والآن إن غفرت خطيتهم وإلا فامحني من كتابك الذى كتبت » (خر ٣٢:٣٢) أنظر غيرة أستير التي قالت للملك « فلتعط لى نفسى بسؤلى وشعبي بطلبتي » (اس ٧ : ٣) وغيرة نحميا على شعبه الذي قال « كيف لا يكمد وجهي والمدينة بيت مقابر آبائى خراب وأبوابها قد أكلتها النار » (نح ٢ : ٣) وقال لشعبه « أنتم ترون الشر الذى نحن فيه كيف أن أورشليم خربة وأبوابها قد أحرقت بالنار ، هلم فنبني سور أورشليم ولا نكون بعد عاراً » (نح ٢ : ١٧) وغيرة بولس التى دعته أن يقول « أقول الصدق فى المسيح لا أكذب وضميرى شاهدلى بالروح القدس ، أن لى حزناً عظيماً ووجعاً في قلبي لا ينقطع ، فاني كنت أود لو أكون أنا نفسي محروماً من المسيح لاجل أخوتى أنسبائى حسب الجسد » (رو ٩ : ١ ـ ٣) وقوله « من يضعف

https://coptic-treasures.com/

وأنا لا أضعف من يعثر وأنا لا ألتهب » (٢ كو ١١ : ٢٩) « وأما أنا فبكل سرور أنفِق وأُنفَق لاجل أنفسكم ، وإن كنت كلما أحبكم أكثر أحب أقل » (٢ كو ١٢ : ١٥) « كنا مترفقين وسطكم كما تربى المرضعة أولادها ، هكذا اذ كنا حانين اليكم ، كنا نرضى أن نعطيكم لا انجيل الله فقط بل أنفسنا أيضاً ، لانكم صرتم محبوبين الينا » (١ تس ٢ : ٧ و ٨)

الغيور لايحب أن يدخل السماء وحده ، بل يريد أن يشرك الآخرين معه فى المجد . المرأة السامرية لما عرفت المسيح ذهبت ودعت كثيرين اليه (يو ٤ : ٩ و ٢٠) غر غيرة للرب ودافع عن حقه الإلهى . إنك لا تحتمل كلمة تقال فى صديق لك ، فما بالك لا ينطق لسانك لتدافع عن جلال مجد الله وشرف اسمه

كن دائماً نصوحاً للخير ومساعداً لمن يطلب مساعدتك . انصح هذا أن يترك طريق الشر ، وخاطب ذاك بكلام روحى وأرشده إلى التوبة والخلاص ، فتكون بذلك قد أظهرت غيرتك للرب وللقريب. وإن لم يمكنك أن تصلح حالهم فسلم أمورهم للرب، وصلِّ عنهم بحرارة وارفع يديك إلى السماء من أجل اخوتك .

https://coptic-treasures.com/

الفصل الثالث والثمانون

الطمع والبخل ومحبة المال وتعلم السخاء والعطاء

الطمع والبخل ومحبة المال ، كلها ضرب من عبادة الأصنام، وتؤدي بالإنسان إلى الكفر ، لأنها تضعف الإيمان وتقطع الثقة بالله ، وتبعد المتعبد عن الاتكال عليه تعالى ، وهى خطية مملوءة شراً ونفاقاً وإثماً، فاستأصل هذه الرذائل من نفسك فيذهب عنك اضطراب الفكر . من تعبد لمحبة المال فهو شقى تعيس ، لا يعرف حنواً ولا شفقة . يضحى بابيه وأمه وأصدقائه وأحبائه فى سبيل المال ، ولا يهتم حتي بنفسه لأنه محب لماله فقط . فلا تشته أن تكون غنياً ، فتصيب نفسك باوجاع مختلفة،لا تحسبنّ الراحة والسعادة في الغنى ، فكم من فقيرسعيد مرتاح البال ، وما أكثر الأغنياء التعساء الأشقياء، حتي أنهم ليحسدون الفقراء على هدوئهم وراحتهم واستمتاعهم بالبعد عن القلق والتعب . إشتهِ دائماً أن تكون غنياً بالأعمال الصالحة ، وادخر لنفسك زاداً للفضيلة . وانم فى النعمة فان ذلك خير

https://coptic-treasures.com/

من اشتهاء الغنى « لا يقدر أحد أن يخدم سيدين لإنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر ، لاتقدرون أن تخدموا الله والمال » (مت ٦ : ٢٤) لأن الطمع عبادة أوثان (اف ٥ : ٥ وكو ٣ : ٥)

« وأما التقوى مع القناعة فهي تجارة عظيمة ، لأننا لم ندخل العالم بشيء » فان كان لنا قوت وكسوة فلنكتف بهما ،وأما الذين يريدون أن يكونوا أغنياء فيسقطون فى تجربة وفخ وشهوات كثيرة غبية ومضرة تغرق الناس فى العطب والهلاك ، لأن محبة المال أصل لكل الشرور ، الذى إذ ابتغاه قوم ضلوا عن الايمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة » (١ تى ٦ : ٦ — ١٠)

لا تعش لذاتك بل أشرك معك أخاك المسكين فى خيراتك . لا تتعلق بمحبة الفضة ، فانها قاتلة للنفوس ، مميتة للفضيلة ، مهلكة للاحساس والشعور ، وداعية لكل إثم ، فلا تفتتن بها ولا تسجد لصنمها ، فما المال سوى وسيلة لقضاء حاجات الإنسان ، فلا تجعله غايتك وموضوع محبتك . أعط المساكين مما عندك ، مما يزيد عن حاجتك لينتفع به الآخر المحتاج ، ولتكن كالأرض متى ارتوت

https://coptic-treasures.com/

بالماء تترك باقيه ، والغصن إذا نال من الكرمة رطوبة كافية يكف عن أخذ ما يفضل ليترك للأغصان الباقية نصيبها ، فاترك للفقراء ما فضل عن حاجتك ليسدوا به رمقهم .

كان بنو اسرائيل يجمعون من المن ما يسدون به حاجتهم ، وإن جمعوا لليوم الثاني ينتن . والسفينة ان لم يخفف حملها تغرق ، والطيارة ان زاد ثقلها لا تستطيع الطيران ، والبئر كلما أخذت من مائها جادت ماء أصفى وأنقى وأعذب ، وإذا احتفظت بمائها أسن وأفسد وأنتن ، فالمال إن حفظ عند البخل نجس الضمير وأفسد القلب ، وإن فرق منه على الفقراء والمحتاجين ازداد بركة ونموا ، واعلم أن ما عندك من المال ليس ملكا لك فكل شيء لله وما نحن إلا وكلاء عليه ، فيجب علينا أن نكون حكماء أمناء فى تصرفاتنا ونعطي شيئاً لله من خيراته التى وهبها لنا ، فهو يطلب حقه منا بواسطة المحتاجين البائسين .

« إن كان فيك فقير أحد من أخوتك في أحد أبوابك فى أرضك التى يعطيك الرب إلهك ، فلا تقس قلبك ولا تقبض يدك

https://coptic-treasures.com/

عن أخيك الفقير ، بل افتح يدك واقرضه مقدار ما يحتاج اليه ، أعطه ولا يسوء قلبك عند ما تعطيه ، لأنه بسبب هذا الأمر يباركك الرب إلهك في كل أعمالك وجميع ما تمتد اليه يدك ، لانه لا تفقد الفقراء من الأرض ، لذلك أنا أوصيك قائلا افتح يدك لاخيك المسكين والفقير فى أرضك » (تث ١٥ : ٧ — ٨ و ١٠ — ١١)

« طوبى للذي ينظر إلى المسكين فى يوم الشر ينجيه الرب ، ويحفظه ويحييه ، يغتبط فى الارض ، ولا يسلمه إلى مرام أعدائه ، الرب يعضده وهو على فراش الضعف » (مز ٤١ : ١ — ٣) « أليس أن تكسر للجائع خبزك ، وأن تدخل المساكين التائهين إلى بيتك ، إذا رأيت عرياناً أن تكسوه ، وأن لا تتغاضى عن لحمك » (اش ٥٨ : ٧) « الصالح العين هو يبارك لأنه يعطى من خبزه للفقير » (ام ٢٢ : ٩) « النفس السخية تسمن والمروى هو أيضاً يروي » (ام ١١ : ٢٥) « من يعطى الفقراء لا يحتاج ، ولمن يحجب عنه عينيه لعنات كثيرة » (ام ٢٨ : ٢٧) « من يرحم الفقير يقرض الرب وعن معروفه يجازيه » (ام ١٩ : ١٧)

https://coptic-treasures.com/

« ارم خبزك على وجه المياه فأنك تجده بعد أيام كثيرة » (جا ١١ . ١٠) « من سألك فاعطه ، ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده » (مت ٥ . ٤٢) « اذا صنعت ضيافة فادع المساكين الجدع والعرج والعمى فيكون لك الطوبى » (لو ١٤ . ١٣) « اعطوا ما عندكم صدقة فهوذا كل شيء يكون لكم نقياً » لو ١١ . ٤١)

« من كان له ثوبان فليعط من ليس له ، ومن له طعام فليفعل هكذا » (لو ٣ . ١١) « لا تنسوا فعل الخير والتوزيع لانه بذبائح مثل هذه يسر الله » (١٣ . ١٦) « من يزرع بالشح فبالشح أيضاً يحصد ، ومن يزرع بالبركات فبالبركات أيضاً يحصد ، كل واحد كما ينوى بقلبه ، ليس عن حزن ولا اضطرار ، لان المعطى المسرور يحبه الله » (٢ كو ٩ . ٦ و ٧) « ينبغى أنكم تتبعون وتعضدون الضعفاء ، متذكرين كلمات الرب يسوع ، أنه قال مغبوط هو العطاء أكثر من الاخذ ». (اع ٢٠ . ٣٥) « أوص الاغنياء فى الدهر الحاضر أن لا يستكبروا ، ولا يلقوا

https://coptic-treasures.com/

رجاءهم على غير يقينية الغنى ، بل على الله الحى الذى يمنحنا كل شيء للتمتع ، وأن يصنعوا صلاحاً ، وأن يكونوا أغنياء فى أعمال صالحة ، وأن يكونوا أسخياء فى العطاء ، كرماء في التوزيع ، مدخرين لأنفسهم أساساً حسناً للمستقبل ، لكى يمسكوا بالحياة الأبدية » (١ تى ٦ : ١٧ – ١٩) « اكرم الرب من مالك ، ومن كل باكورات غلتك ، فتمتلىء خزائنك شبعاً ، وتفيض معاصرك مسطاراً » (ام ٣ : ٩ و ١٠)

«هاتوا العشور إلى الخزنة ليكون فى بيتى طعام ، وجربونى بهذا قال رب الجنود ، إن كنت لا افتح لكم كوى السموات وأفيض عليكم بركة حتى لا توسع ، وانتهر من أجلكم الآكل ، فلا يفسد لكم ثمر الأرض ، ولا يعقر لكم الكرم فى الحقل قال رب الجنود» (ملا ٣ : ١٠ و ١١)

---

https://coptic-treasures.com/

الفصل الرابع والثمانون

شر الحسد

الحسد وليد الكبرياء ، بسببه يكون القتل والإنتقام والبغض ، وتكثر النمائم والاغتياب والوقيعة،وبه ينهدم صرح الفضائل،لأنه سمٌ للنفس، وهو يهلك ويبيد كل خير . من اتصف به فقد شارك ابليس الذى بسببه دخل الموت إلى العالم . فالحسود متكبر لا يود أن يفضل عليه أحد مهما كان . فهو يستصغر الجميع ، وينصب فخاخاً لمن يسلك مسلكاً حسناً منهم،ويذم الفضلاء وذوى السيرة الحسنة،ولا يرتاح إلى مدح أحد ، لأنه يولد فيه الاستئثار ، فلا يفرح بنجاح الآخرين ، بل يشتهى سقوطهم ويحب كبوتهم، وان رأى ساقطاً لا يقيله من عثرته ، وان أبصر غافلاً لا يوقظه من غفلته ، وهو عدو الجميع وعدو نفسه، لأنه دائماً حزين مهموم مغموم ضعيف القوة ، منافق مراء، متلوّن فى كلامه مخلف لوعوده . إن من لا يعرف الحسد يحب نجاح الجميع ، وإذا رأى أخاه موفور الكرامة سره ذلك وأفرحه ، لأنه يعتبر أن

https://coptic-treasures.com/

الجميع أفضل منه وأكثر إستحقاقاً منه فى كل شيء، ويود لو يقوم إعوجاج الساقطين ، ويقوى الضعفاء ويساعد الساعين فى الخير ويبتهج بذوى السيرة الحسنة

« الغيظ يقتل الغبى والغيرة تميت الأحمق » (اى ٥ : ٢) « من يقف قدام الحسد ؟» (ام ٢٧ : ٤) «حيث الغيرة والتحزب هناك التشويش وكل أمر ردى » (يع ٣ : ١٦) « فاطرحوا كل خبث وكل مكر والرياء والحسد وكل مذمة ، وكأطفال مولودين الآن اشتهوا اللبن العقلي العديم الغش لكى تنموا به » (١ بط ٢ : ١و٢) « حسدوا موسى فى المحلة وهرون قدوس الرب ، فتحت الأرض وابتلعت داثان وطبقت على جماعة أبيرام واشتعلت نار فى جماعتهم ، اللهيب احرق الاشرار » (مز ١٠٦ : ١٦ ـ ١٠)

« قايين حسد أخاه هابيل فقتله » (تك ٤ : ٨) ولما نجح اسحق وحصل مئة ضعف حسده الفلسطينيون وطردوه من أرضهم (تك ٢٦ : ١٢ ـ ١٧) ولما اتسع رزق يعقوب ونجح حسده بنو لابان وغيروا وجوههم ضده (تك ٣١ : ١ ـ ٣) وأخوه يوسف لما حسدوه

https://coptic-treasures.com/

باعوه (تك ٣٧ : ١١) ولما حلّت الروح على السبعين شيخاً وتنبأ الداد وميداد ، غار يشوع لموسى وقال له ياسيدى اردعهما ، فقال له هل تغار أنت لى ياليت كل شعب الرب يتنبئون اذا جعل الرب روحه عليهم (عدد ١١ : ٢٧ : ٢٩) ومريم لما حسدت موسى ضربها الرب بالبرص سبعة أيام (عدد ١٢ : ١٠)

وداود لما قتل الفلسطينى لاقته النساء قائلات ضرب شاول ألفه وداود ربواته ،فاغتاظ شاول وغار قائلاً :أعطين داود ربواته وأما أنا فاعطيننى الألوف ، وبعد فقد تبنى له المملكة ، فحسده، فاقتحم الرب شاول بروح ردى وجن فى البيت (١ صم ١٨ : ٦-١٠) «سنبلط الحورونى وطوبيا العبد العمونى ساءهما مساءة عظيمة لما وجدا نحميا جاء يطلب خيراً لبنى اسرائيل » (نح ٢ : ١٠) وهامان لما رأى ماحصل لمردخاي من المجد والعظمة أسرع إلى بيته نائحاً ومغطى الرأس (اس ٦ : ١٢ و ١٣) دانيال لما فاق على جميع المرازبة والوزراء فى بابل لان فيه روحاً فاضلة حسدوه ، ولم يقدروا أن يجدوا علة ولا ذنباً عليه ، ودبروا له مكيدة لإلقائه فى جب الاسود ، فنجاه الرب ووقعوا هم فى الشر (دا ٦ : ٣ - ١٠)

https://coptic-treasures.com/

الفصل الخامس والثمانون

العفة والطهارة

العفة صفة من صفات الملائكة ، وهى فضيلة محبوبة لدى الرب يسوع ، وهى ثوب أبيض نقى . وسماء أرضية ، وسياج للفضيلة ، وباب للنعمة ، ونبراس للكمال ، وغذاء للنمو فى الحياة الروحية ، وأســـاس للسلام ، وثبات وقوة للنفس ، وأنفة وترفع عن الدنايا والأدناس

إن بين الروح والجسد عراكاً شديداً ، فالجسد يشتهى ما هو ضد الروح ، والروح تميل إلى ما هو ضد الجسد ، فابتهل إلى الرب دائماً ليهبك العفاف ولا تثق بذاتك ، ولا تركن إلى قوتك ، بل ضع نفسك بين يدى الله وتحت حراسته . وكن قنوعاً فى مأكلك ، ولا تجعل الشراهة ديدنك فتتقلد سلاحاً للعفة . فالعفة فضيلة ليس من السهل الحصول عليها ، فصل ليحفظك الرب ، ويهبك قوة لها . وداوم على الصلاة ، وأمت شهواتك ورغائبك لتستطيع أن تسير فى

https://coptic-treasures.com/

طريق هذه الفضيلة واحذر الذئاب ، واحترس من الثعالب المفسدة التى تغريك بالزلات الطفيفة . واهرب من كل دنس ، وابتعد عن كل ما يثير شهواتك ، واحفظ عينيك من المناظر الفاتنة ، وأذنيك من سماع الأغانى النجسة . واحفظ قلبك من الانحراف ، واضبط جميع حواسك ووجهها للخير ولا تقرأ أو تسمع ما يدعو إلى الخلاعة وحب الشهوات . وانفر من كل ما يضاد العفة . وتحدث دائماً فى التقوى ، وروض ذاتك فى الرياضات الروحية ، ولا تشغل فكرك بأمر دنس . واطرد من عقلك كل فكر يثير الشهوة . اهرب مما يسبب لك عثرة وسقوطاً ، لأن الهرب هو الدواء الوحيد الذى يخلصك من هذه الأشراك ويحفظ لك العفاف والطهارة .

كن صورة نقية ومرآة صافية للكمال والفضيلة ، واعلم أن زينة كل شىء العفاف . واهرب من الخطية وفر من الدنس ، واحتفظ بطهارة قلبك ونقاوة جسدك من كل دنس ، فان الطهارة جزيلة الثمن تفوق اللآلىء والجواهر الكريمة فى قدرها ، واقتن الطهارة فتملك الراحة والسلامة . واسع وراءها فترتقى إلى السماء ، أحبها فتسعد

https://coptic-treasures.com/

نفسك ، وحاول أن تكون رفيقة لك فى حياتك ، تمسك بها تهبك إكليل النعمة وتمنحك تاج الحياة . ولا تسمح لأحد قط أن يدنس طهارتك . وتأمل حياة مخلصك الذي سمح لأعدائه أن يقرفوه بمثالب عدة ، ولكن لم يسمح لأحد أن يثلم طهارته بكلمة واحدة ، بل قال لهم « من منكم يبكتنى على خطية » فاحتمل كل صنوف التعييرات والتجاديف والافتراءات ولكن لم يرض أن تمس طهارته ، فأحب الطهارة وتق اليها وسر فى طريقها وكن ملاكاً على الأرض فى سيرك وكلامك وأفعالك وفكرك ونظرك ، وكل أحوالك . وكن طاهراً باطناً وظاهراً فى كل تصرفاتك

أطلب على الدوام نعمة الله التى لا يمكنك أن تحصل على الطهارة بدونها ، فمن لم يرد أن يكون ملاكاً طاهراً فهو شيطان خبيث نجس ، لان خطية الدنس شر جميع الخطايا ، لانها تفسد كلّ حواس الإنسان ، وتدنس النفس ، وتظلم العقل ، وتشوش الافكار ، وتتملك على القلب فتتأصل سائر الرذائل فى ذلك القلب الموبوء ، وهي تتملق الانسان حتى توقعه فى حبائلها ، وتلاطفه لتقتنصه فى شراكها .

https://coptic-treasures.com/

وهى تتشكل فى ذلك بصور شتى . فتارة بشكل البساطة والسذاجة، وطوراً تحت رداء المحبة ، وأحياناً تخفى وجهها ببرقع الغيرة،فاحذرها واعلم أن الشيطان يتشكل بصورة ملاك نور . فاحترس من ذلك السم لئلا يكون مختفياً لك فى الدسم . وابتعد عن أسباب الخطايا، واحفظ قلبك عن كل نزعاتها ، وإذا حفظت العفاف صرت نقياً طاهراً كملاك على الارض «اسلكوا بالروح فلا تكملوا شهوة الجسد» (غل ٥ : ١٦) «امتنعوا عن الشهوات الجسدية التى تحارب النفس» (١ بط ٢ . ١١) « وكل من له هذا الرجاء يطهر نفسه كما هو طاهر » (١ يو ٣ . ٣) « بدون القداسة لن يرى أحد الرب » (عب ١٢ : ١٤) « واذ اعتقتم من الخطية وصرتم عبيداً لله ، فلكم ثمركم للقداسة والنهاية حيوة أبدية » (رو ٦ . ٢٢)

« لا تقدموا اعضاءكم آلات اثم للخطية ، بل قدموا ذواتكم لله كأحياء من الأموات ، وأعضاءكم آلات برلله » (رو ٦:١٣) « قدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله ، عبادتكم العقلية ، ولا تشاكلوا هذا الدهر بل تغيروا عن شكلكم بتجديد

https://coptic-treasures.com/

أذهانكم ، لتختبروا ما هى إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة»
(رو ١٢ : ١ و ٢)

الفصل السادس والثمانون

بساطة القلب وسلامة النية ووجوب اقتران البساطة بالحكمة

كن طاهر القلب ، سليم النية تجد سلام الله مقبلاً اليك ، لأن طهارة القلب كنز ثمين لا يقدر ، وسلامة النية ترقى بالإنسان إلى أوج القداسة . إن حرصت على طهارة القلب وسلامة النية فلا شىء يقلقك ، إن الضمير الطاهر يرى كل شىء حسناً وينظر إلى جميع الناس بمرآة نفسه . أما الضمير الدنس فيكتظ بالظنون الرديئة ، ويعيش صاحبه قلق البال ، مشوش الخاطر . إن كنت طاهراً وضميرك نقياً يصعد قلبك إلى السماء . فتتمتع دائماً بفرح الروح ، وعذوبة السلام .

https://coptic-treasures.com/

والضمير الصالح يحتمل المشقات بدعة وشكر جزيل ، ويصبر على الضيق ولا يعرف الفزع ويقبل الإهانات لأجل المحبة

من له ضمير طاهر فأنه ينام نوماً هادئاً مطمئناً ، اذ ليس هناك تبكيت ولا تشويش . بل يكون على حالة واحدة عند المدح والذم . وحياته تكون منيرة مضيئة وهادئة . قلوب البسطاء مسكن للروح القدس ، أما أصحاب القلوب المتكبرة والنفوس والارواح الممتلئة خبثاً ومكراً وخداعاً فلا يساكنها روح الله . كما أن حجر النار يقدح شرراً ، فكذلك النفس الخبيثة الشريرة تفيض شروراً . وكما أن المريض يجد الطعام الحلو مراً لمرارة فمه ، فكذلك الشرير يظن كل القلوب شريرةً مثله .

النية هى السراج الحقيق والقائد الأمين « فان كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيراً ، وإن كانت عينك شريرة فجسدك كله يكون مظلماً ، فان كان النور الذى فيك ظلاماً فالظلام كم يكون » (مت ٦ : ٢٢ و ٢٣)

لما أراد مخلصنا أن يعلم تلاميذه البساطة والطهارة فى النية ويضرب لهم مثالاً لها . أتراه أقام أمامهم فيلسوفاً أو عالماً حاذقاً أو

https://coptic-treasures.com/

غنياً وجيهاً يقتدون به ، لا لعمري بل أقام طفلاً فى وسطهم مشيراً إليه قائلاً « إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السماوات» (مت ١٨ : ٣ و٣) فتعلم أن تكون مثله طفلاً فى نيتك وضميرك ، فان الأطفال يفرحون ويمرحون وسط النحيب والبكاء ، ولا يعرفون مكراً ولا غشاً ، ويثقون بكل ما يقال لهم ، ويعملون ولا يغضبون ، يبكون ثم يعودون إلى ما كانوا عليه من المرح والضحك ، لا يعرفون الخجل والحياء ، لان الشر لم يتطرق إلى نفوسهم . ما أحلى تلك الحياة التي يحيونها ، وما أجمل النفوس وقت الطفولة . فهم أزهار الحياة ونور الدنيا وملائكة الإرض « طوبى للأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله » (مت ٥ : ٨) البساطة تظهر لأصحابها أسراراً عميقة خفية ، أخفاها الله عن الحكماء وأعلنها للاطفال (لو١٠ : ٢١)

يجب أن تقرن بساطة قلبك بحكمة ، فقد قال السيد « كونوا حكماء كالحيات وبسطاء كالحمام » (مت ١٠ : ١٦) ولا يكفى ان تكون بسيطاً وديماً ، بل يجب أن تتدرع بالحكمة ولا تقتحم

https://coptic-treasures.com/

الأمور اقتحاماً ، وتخاطر فى كل أمر من غير ترو ولاتدبر ، بل كن فطناً متبدبراً عارفاً كيف تسير فى الأمور ، ولا تدخل في أمر لا تعرف لك منه مخرجاً . وكن حكيماً متبصراً بمواقع الخلل ، وتدبر مواطن الأمن . وكن سليماً ونقى الضمير ووديعاً وانيساً ولطيفاً ، إذا أحدق بك خطر أو بدا لك امر غير لائق ، فكن حكيماً كالحية ، وابحث لترى باباً للنجاة ، وانظر دائماً إلى الأمام لتتدبر عواقب الأمور ، حتي لا تزل قدمك ، فكثيراً ما ينخدع البسطاء أمام الأشرار ، ويجتهد المنافقون ليخفوا شرورهم تحت ستار الخير ليخدعوا السذج ويمتلكوا قلوب الودعاء . فكن حكيماً لتكشف حيل الاعداء المحتالين والأشرار المنافقين ، ولا تأمن للخبثاء ولا تثق بظواهرهم وحيلهم ، ولا تأتمنهم على أفكارك ونواياك ، بل اقرن بساطتك بفطنة ، ووداعتك بحكمة

https://coptic-treasures.com/

الفصل السابع والثمانون

الصلاة والمداومة عليها

الصلاة شركة مع الله ، وصلة بين العبد وربه ، إذ هى رفع القلب اليه ، وسكب النفس أمامه . وهي غذاء للفضيلة ، ونمو للحياة الروحية ، وهي محادثة ومفاوضة مع الله ، ومعاشرة مع القدير . وهى حلة لمحبة الله . وقوة للنفس ، وغذاء للروح ، وهى تملأ النفس أشواقاً روحية . فحين تضعف الرغبة فى الصلاة تجبن النفس وتخور الروح ، فالصلاة حياة الروح ، حين تنسى يجف ينبوع النعمة . إن لم نسهر ننعس ، وإن نمنا يأتى العدو ويزرع فينا ما يشاء من الزوان. فالصلاة حارس النفس ، ومطهر للروح ، بها نطرد الأفكار الغريبة . وقلب ليس له حارس ، ولا رقيب عليه ، ولا يحمل عدة ولا سلاحاً، يكون هدفاً لسهام العدو . فانشط للصلاة كل حين . لأنها أم الفضائل ومبعث كل حاسة دينية . وسياج لكل فضيلة ومعدن البركات ، وهى حارس القناعة ، ولجام الغضب ، وخافضة لروح التكبر ،

https://coptic-treasures.com/

وهى نصر المحارب ، ولواء المقاتل ، ومجلبة للفيوض الإلهية ، وهى خاتم العفاف ، وزمام البتولية ، وحارس المسافرين والراقدين . وهى قوة الضعفاء ، وثروة الفقراء ، وملجأ المكتئبين ، وشفيع المذنبين، وبها يقتدر المؤمن على كل شيء ، لأنها تحرك اليد التى تدبر الكون، تفتح له باب السماء ، وتجعل له نصيباً فى جميع الخيرات ، وتحطم قوة الشيطان ، وتكسر سلاسل الخطية ، وتفك قيود الشر ، وترفع نير الظلم ، وتصد تقلبات الدهر ، وتبيد سطوة الموت ، وتحول غضب الله إلى رضا وبركة .

الصلاة سلم نورانى نرتقي به إلى السماء ، وطريق أمين تسير فيه فلا يدركك الظلام بل تهتدي إلى مكان الراحة . هي طيب ذو رائحة زكية يستنشقه القدير كعرف طيب . وهى للنفس كالأساس للبناء وكالماء للارض . بها تخصب النفس وتثمر لك رياضات التقوى.وهى قناة تجرى فيها أنهار النعمة إلى قلبك . وهي غذاء للنفس بدونها تجدب وتموت . وبها يرتفع عقلك إلى السماء ، وترتسم فيه صورة القداسة والنعمة . والنفس بدونها مقفرة جدباء توشك أن تفنى .

https://coptic-treasures.com/

إذ يذهب نضارتها ويفنى جمالها . إذا أهملت الصلاة أحسست التراخى واستولى عليك الكسل ، وخارت منك العزيمة ، وفقدت الحرارة الروحية ، وزال النشاط ، وفنى الشوق إلى السماويات ، واضمحلت المقاصد الحميدة ، واستسلم القلب للاهواء الشريرة ، وبادت كل عاطفة مقدسة ، وفقد الفرح والسلام . فالصلاة قوة كل شيء وبدونها تفقد كل شيء . جسدك إن لم يقتت بالمآكل يفنى ويبيد ، ونفسك إن لم تغذها بالصلاة والتأمل فى الروحيات تجف وتيبس . وإن لم تروضه وترحه يضعف ويسقم . والنفس ما لم تتعود الرياضة الروحية تسقم ويعتورها الألم ويصيبها الفساد . فلتكن الصلاة مرآتك ترى فيها نفسك كل يوم ، وميزاناً تزن بها قلبك ومقاصدك وسائر رغائبك وميولك ، ولتكن سلاحك وسيفك ، فبدونها تكون كجندى دخل معركة القتال وهو أعزل . فيها تجد علاجاً شافياً لزلاتك ، وملجأ من الشر والفساد . ان تراخيت ، أو ثارت عليك الآلام البشرية ، أو انخدعت بغرور العالم ، فالجأ الى الصلاة تجد فيها خلاصك ونجاتك

https://coptic-treasures.com/

ما أشرف الصلاة وأسماها ، لا شيء يفوقها أو يدانيها في كل تكاليف العبادة . وما أسمى المرتبة التى تنالها بالصلاة ، بها تخاطب القدير بلا حجاب ، بل تتلذذ بالرب كيفما شئت وبمقدار ما تريد وتشتهى، فيها كل ما تريد وبها تنال كل ما تشتهى ، بها تتفاوض مع الله، وتأتنس به تعالى ويكون حاضراً لديك وسامعاً لك . إذا عاشرت أهل الفضل وترددت على أهل الحكمة ، إكتسبت شيئاً كثيراً من خصالهم وفضلهم ، فكم تكسب من الفوائد بترددك على الله . من يقترب من نار ولا يشعر بشىء من حرارتها ؟ ومن يصلى ولا يستنير عقله ويطهر قلبه ويصفى ضميره ، بالصلاة تنمو الفضيلة والنعمة ، بالصلاة يمتلىء القلب بالرغائب المقدسة السامية فيتعالى عن الطبيعة البشرية ، ويسمو على ما في الأرض وتستحيل ميوله كلها الى نزعات إلهية روحية .

إن جيوش الأعداء كثيرة متوثبة لمحاربتك ، ولن تغلب الأعداء حتى تتوجه إلى الله طالباً معونته . فقل له على الدوام «يا إلهنا أما تقضى عليهم ، لأن ليس فينا قوة أمام هذا الجمهور الكثير

https://coptic-treasures.com/

الآتى علينا، ونحن لا نعلم ولكن نحوك أعيننا» (٢ اى ٢٠:١٢)

هل رأيت ذاتك مرة غير محتاج لمعونة الله لتدفع عنك النوازل والبلايا، فلماذا تتأخر عن الصلاة. هل تبنى البيوت بلا بنائين، أو تخصب الأرض بدون فلاحين؟ كذلك لا يمكنك الحصول على مواعيد الله بدون الصلاة، لأن الله هكذا رسم وهكذا حدد ووعد، «اسألوا تعطوا، اطلبوا تجدوا، اقرعوا يفتح لكم، لأن كل من يسأل يأخذ، وكل من يطلب يجد، وكل من يقرع يفتح له» (مت ٧: ٧ و ٨)

«إن كان أحدكم تعوزه حكمة فليطلب من الله الذي يعطى الجميع بسخاء ولا يعير فسيعطى له» (يع ١ : ٥)

«لهذا يصلى لك كل تقى فى وقت يجدك فيه، عند غمارة المياه الكثيرة إياه لاتصيب» (مز ٣٢ : ٦)

«إنى قبلما يدعون أنا أجيب، وفيما هم يتكلمون بعد أنا أسمع» (اش ٦٥ : ٢٤)

https://coptic-treasures.com/

« تدعو فيجيب الرب ،تستغيث فيقول هانذا » (اش٥٨ : ٩)

« فاسهروا وصلوا لئلا تدخلوا فى تجربة » (مت ٢٦ : ٤١)

« اسهروا إذاً وتضرعوا في كل حين ، لكى تحسبوا أهلاً للنجاة من جميع هذا المزمع أن يكون وتقفوا أمام ابن الإنسان » (لو ٢١ : ٣٦)

« لا تهتموا بشىء ، بل فى كل شىء بالصلاة والدعاء مع الشكر لتعلم طلباتكم لدى الله » (فى ٤ : ٦)

لو سمح لك ملك بمخاطبته مرة فى حياتك ، لعددت ذلك شرفاً كبيراً وفضلاً عظيماً ، وتحدثت بذلك فى كل ناد ومجلس . فما بالك لا ترتقب تلك المخاطبة ، ولا تشكره عليها وهى أسمى وأشرف ، فقد سمح الله لك وطلب منك أن تخاطبه وتطلب منه ما تريد ، وهو مصغ كل حين لسماع صوتك ، ولا يغفل قط عن تضرعاتك . وهو يحثك على الصلاة والدعاء ، ليقيم لك دليلاً على استعداده لقبول طلبك . إن صليت صباحاً أومساء، وان اتجهت إلى ساحته عند طلوع الفجر أو وقت زوال الشمس تجده مصغياً إليك، وإن التجأت اليه فى السوق، أوعند

https://coptic-treasures.com/

قيامك بعملك ، وإن دعوته فى البر أو فى البحر تجـــده حاضراً معك .

« مساء وصباحاً وظهراً أشكو وأنوح فيسمع صوتى » (مز ٥٥ : ١٧)

« ينبغى أن يصلى كل حين ولا يمل » (لو ١٨ : ١)

« مواظبين على الصلاة » (رو ١٢ : ١٢)

« مصلين بكل صلاة وطلبة كل وقت فى الروح ، وساهرين لهذا بعينه بكل مواظبة وطلبة » (اف ٦ : ١٨)

« واظبوا على الصلاة ساهرين فيها بالشكر » (كو ٤ : ٢)

« صلوا بلا انقطاع ، أشكروا في كل شيء ، لأن هذه هى مشيئة الله فى المسيح يسوع من جهتكم » (١ تس ٥ : ١٧ و ١٨)

« وإنما نهاية كل شيء قد اقتربت ، فتعقلوا وأصحوا للصلوات » (١ بط ٤ : ٧)

https://coptic-treasures.com/

«اصحوا واسهروا ، لأن إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمساً من يبتلعه هو » (١ بط ٥ : ٨) .

الله لا يمل منك ولا يسأم من طلباتك ، بل كنوزه مفتوحة لكل من يقبل اليه ويأخذ مجاناً بلا تعب « غنى لجميع الذين يدعون به » (رو ١٠ : ١٢)

إن أهملت الصلاة أهملتك رحمة الله وحرمت كنوزه وخيراته .

« مبارك الله الذى لم يبعد صلاتى ولا رحمته عنى » (مز ٦٦ : ٢٠)

https://coptic-treasures.com/

الفصل الثامن والثمانون

كيف نتقدم بخشوع في الصلاة

إن اللذة التى توجد فى النفس من الصلاة لا يمكن التعبير عنها ، ولا يعرفها إلا من كابدها . فهى تطبع فى النفس صورة الله وتؤثر فيها تأثيراً لا يمحى ، ولا تقدر عليه كل قوات الشر فى النفس . كثيرون قد تساموا فى الصلاة ه كالقديس انطونيوس ، وبلغوا فيها الدرجة القصوى ، حتى أنهم كانوا لا يشعرون بأنفسهم أو فقدوا كل مايخص ذواتهم ، لأنهم كانوا مستغرقين فى الله تعالى ، ومن شدة تبحرهم وتفانيهم فى الله نسوا ذواتهم

من يشرب الخمر يبتدىء تأثيرها فيه بأن يسر عند تعاطيها ويفرح ، ثم لا يلبث أن يسكر بها ، حتى ليكاد من شدة سكره يفقد حسه وشعوره ، فمن شرب خمر محبة الله فى الصلاة ابتدأ بالفرح والسرور ، ولا يلبث أن يسكر بهذه الخمر ويستغرق فى سكرته حتى يفقد وجدانه وشعوره . فما أجملك واشهاك أيتها الخمرة المقدسة . إن

https://coptic-treasures.com/

خمرة العالم سم مميت ، ولكن خمرة حب الله مقدسة شهية « كلوا أيها الأصحاب واشربوا واسكروا أيها الأحباء » (نش ٥ : ١)

قف أمام الله بخشوع ، واعرف أمام من قد وقفت . إن وقفت أمام ملك أو أمير تجتهد فى إخفاء كل عيب أو نقص ، ويكون كلامك بحشمة وأدب ، فاجتهد إذا وقفت أمام القدير المطلع على القلوب والأفكار أن تكون مثالاً للكمال والوقار . وإن كنت خادماً لسيد كبير أتستطيع أن تشتغل عن خدمته وهو ناظر اليك ، وإن تقدمت إلى القاضى تبثه شكواك واحتجاجك فهل تنصرف عنه بأمر آخر وهو مصغ لسماع أقوالك . فكذلك فى الصلاة أنت ماثل بين يدى الحضرة الآلهية وهو ـ تقدس اسمه ـ ناظرٌ اليك ، وسامعه لصلواتك ، فكيف تلهو عنه ، ولا تتجه اليه بقلبك ؟ اذكر حين تبدأ فى الصلاة أنك دخلت السماء ومثلت أمام صاحب العرش الأقدس ، هناك حيث ملك المجد متسربل بالبهاء والجلال والملائكة وقوف حول العرش ، مصطفين عن يمينك وعن شمالك وهم ينظرون اليك . حين تدخل الكنيسة اجمع أفكارك وحواسك وقل لها « هلم

https://coptic-treasures.com/

نسجد ونركع نجثوا أمام الرب خالقنا ، لأنه هو إلهنا ونحن شعب مرعاه وغنم يده » (مز ٩٥ : ٦ و ٧) بعد أن تكون قد طردت من قلبك الأفكار الدنيوية والأنعطافات الردية

إن الطيش فى الصلوة ناتج من التوانى والكسل والتلهى بالعالم وانشغال القلب بأمور باطلة ، وهى تسبب جفافاً ويبوسة في الروح وفتوراً فى الصلاة وكما أن الإناء ينضح بما فيه . فكذلك قلبك إن كان ممتلئاً بحب العالم ، فلا تطمع أن تكون صلواتك إلا فاتره وأعمالك كلها ميته . لا يمكنك أن تحصد إلا ما زرعت ، فازرع فى قلبك النقاوة تحصد ثمرة الطهارة

لتكن صلاتك من كل قلبك ، لأن الصلاة الصادرة من الشفتين فقط ليست إلا كطائر مقصوص الجناح ، لا يقوى إلا على المشى فى ردهات البيت ، فلا تتعدى صلاتك أركان المكان الذي وقفت فيه .
إن الله لاتهمه الألفاظ إن كانت حسنة الإنشاء منمقة العبارة « لان الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا » (يو ٤ : ٢٤) فلتكن صلواتك لله من قلبك بلا تصنع ولا تكلف ،

https://coptic-treasures.com/

فان العشار تبرر بقوله « اللهم ارحمني أنا الخاطىء » والابن الشاطر تحنن عليه أبوه بقوله « أخطأت يا أبتاه فى السماء وقدامك » فتواضع أمام الله واعرف حقارتك تجاه قداسته الإلهية . وواظب على الصلاة وداوم عليها ولا تملها ، وإن طلبت شيئاً ولم تنله ، فلا تنثن عنه ، بل ازدد حرارة وواصل الطلب ، فمن أدمن القرع لا بد أن يفتح له ، ومن ألح في السؤال والطلب لا بد أن يعطى

« اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم » (مت ٦ : ٣٣) « هذه هى الثقة التى لنا عنده إن طلبنا شيئاً حسب مشيئته يسمع لنا » (١ يو ٥ : ١٤) ليكن إيمانك وثيقاً « لأن كل ما تسألونه فى الصلاة فآمنوا بأنكم تنالونه فيكون لكم» (مر ١١ : ٢٥) « وليكن لكم حسب إيمانكم » (مت ٩ : ٢٩) « وكل شىء ممكن للمؤمن » (مر ٩ : ٢٣) « ليطلب بايمان غير مرتاب البتة ، لأن المرتاب يشبه موجاً من البحر تخبطه الريح وتدفعه ، فلا يظن ذلك الإنسان أنه ينال شيئاً من عند الرب » (يع ١ : ٦ و ٧) صلاة بلا إيمان كأشعة كثيرة الانفراج لا قوة لها على الاحراق

https://coptic-treasures.com/

والحرارة « فلنتقدم بثقة إلى عرش النعمة لكي ننال رحمة ونجد نعمة عوناً فى حينه » (عب ٤ : ١٦)

الفصل التاسع والثمانون

التأمل قبل الصلاة

اصرف قبل الصلاة زمناً تتأمل فيه حالك وما تصلي لأجله ، وابحث ذاتك ، وفتش قلبك ، واذكر خطاياك ، لأن الصلاة بلا تأمل فاترة ضعيفة ليس لها فعل ولا اقتدار . أن التأمل أخو التلاوة الروحية ، وأس للفضيلة والتقوى ، مشجع على الصلاة ، ومرشد إلى الأعمال الصالحة ، ومنبه العواطف الجامحة . ومحرك للحواس الميتة، وهو يربي فينا الميل نحو العبادة ، لأنه يضرم القلب بنار الشوق، ويستجلب النعمة ويستحضر الإرادة،وهو للصلاة بمنزلة قدح الزناد لإخراج النار ، فاقدح زناد قلبك بالتأمل لتتولد فيك حرارة الروح

https://coptic-treasures.com/

وتتربى فيك بذور الفضيلة فتصـــلى بحرارة وشوق . الإرادة ضعيفة فإن لم ينبهها العقل فهى نائمة مستكينة ، هكذا الصلاة بغير التأمل ، تكون ضعيفة والتأمل يحييها وينشطها ويوقظها ويجعلها حارة قوية . لأنه يريك حقيقة نفسك ويرشدك إلى أقوم الطريق ، ويعلمك ماذا تطلب ، والصلاة تفتح لك باب النعمة، وتهبك ماتبتغيه.

كثيرون قد ازدحموا حول الرب يسوع وهو ماش فى الطريق ولم يلمسه غير المرأة النازفة الدم (مر ٥ : ٢٥ — ٣٤) فلا يكفيك أن تسير مع المسيح وتزدحم حوله بل ينبغى عليك أن تلمسه وتقترب اليه كل القرب ليشفيك من أمراضك المزمنة

https://coptic-treasures.com/

الفصل التسعون

الاختلاء الروحى

علم نفسك الاختلاء الروحى ، والانفراد الباطنى ، واختل بنفسك أحياناً ولو ساعة فى كل يوم . لأن الاختلاء مرشد إلى الفضيلة ، ومهذب للأخلاق، وباعث لحرارة الإيمان ، وهو ينير النفس ، ويرقى بالعقل ، ويظهر لنا حقيقة أنفسنا ، ويوقفنا على خداع العالم وغروره ، لحين تشاهد ذاتك فى سكون واطمئنان وأمان . وقت خلوتك بعيداً عن ضجيج العالم واضطرابه ، تمثل أمام عينيك الأبدية التى لا قرار لها ، فتنقاد إلى انسحاق القلب وخشوعه ، فى هدوء وصمت وسكون ، وترتب أمورك الروحية وتذكر حالك وتتعلم الاهتمام بالامور المستقبلة الاختلاء الروحي مدرسة للفضيلة والتعاليم السماوية ، وهو سلم نورانى سريع الايصال إلى الله .

ما أجمل هذا الاختلاء سيما إذا كان فى برية أو فى خلوة بعيداً عن غوغاء العالم وضجيجه . إن أصوات الطبول والابواق تحول

https://coptic-treasures.com/

دون الاستمتاع بأنغام القيثارة الشـــجية ذات الصوت البديع ، فـكذلك يستحيل أن تسمع صوت الله وأنت محاط بضجة العالم ، وتشتت العقل وخداع الحواس ، ولـكنك إن كنت منفرداً وحدك يخاطبك الله فى الداخل ، وينفذ اليك صوته العذب ، فيدخل عقلك، ويفتتن به لبك ، ويشغف فؤادك حباً . هناك فى الاختلاء تتعلم في مدرسة سامية حسن التأمل وجمال الصلاة ، وتشعر بسلوان الله وتعزياته التى لا يعرفها أهل هذا العالم ، هناك تراجع النفس أعمالها وتتذكر إهمالها ، وتجد سلامها . فما أبهى ذلك الضياء الذي يشرق على عقلك ، وما أرفع وأسمى ذلك اللهيب السماوى الذي يشتعل فى قلبك ويتملك لبك فى الخلوة بين الـكهوف والبرارى ، هناك ترضع أفاويق السلوان وتشعر بفرح التعزيات التي لا يعرفها إلا من ذاق حلاوتها . فكف نظرك عن العالم ، وجرد قلبك عن حب الخليقة ووجه كل عواطفك إلى الله واشغلها بحبه ومناجاته ترَ سلام الله مقبلا اليك . اختلى ايليا فى البرية مع الله ، وانفرد موسى على الجبل حتى استلم الشريعة الإلهيه فى جبل سينا ، ويوحنا المعمدان كان فى البرية ،

https://coptic-treasures.com/

ويسوع مخلصنا كان ينفرد في البرارى والجبال ويصلى هناك . حين تختلى بنفسك وتشعر بتلك العذوبة الإلهية تستنير بوميض النور الإلهى ، وحينئذ ترى لذات العالم مرارة ، والسعادة الأرضية أضغاث أحلام ، والخليقة كلها شيء تافه إذا وازنته بذلك المجد الذى لا يوصف ، وتعرف أن كل ما فى الحياة غرور وخداع ووهم . إن ضجيج العالم والاهتمام به يكوّنان على القلب غيوماً كثيفة تمنع الإشراقات الإلهية ، وتحجب ذلك النور المتألق . وأما الزهد الممتلىء بالنعمة فيجلب للنفس نوراً متألقاً ، فترى وتعاين مجد الله الباهر ، « طوبى للأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله » (مت ٥ : ٨) طوبى لتلك الأعين التي تغض ألحاظها عن العالم لتشاهدو تتمتع بذلك النور الإلهى المشرق في قلوب القديسين .

الفصل الحادي والتسعون

تلاوة الكتاب المقدس وقراءة الكتب الروحية

الكتاب المقدس خزانة المواعيد السماوية ، واهراء البركات الإلهية ، فيه زاد ومئونة تدخر لوقت الحاجة ، وهو أرض مخصبة تنبت قمحاً جيداً ، مراع نضرة ،أو كرمة تتدلى بها ثمار شهية ناضجة ، وغذاء دسم للروح ، ينبوع سرور لا ينضب ، ونهر زاخر لا يغيض ، ومجرى مقدس يفيض نعمة وبراً وحكمة وخلاصاً وكمالاً وجلالا وعذوبة وسلاماً وبركة ودعة ورحمة وعزاء . التلاوة الروحية قوت للنفس ، وغذاء للروح ، وعدة عند التجارب ، وتعزية لدى المحن والضيقات ، وسلاح فى المخاطر ، وسهام للمحاربة ، فهى تملأ النفس أشواقاً مقدسة وتجعلها تنمو فى الفضيلة ، وترفع العقل،وتنيره وتبلغه إلى السماء ، وتحفز الأرادة إلى الإيمان ، وتفعم النفس سروراً وفرحاً وتعزية حين الضجر والضيق . الكتاب المقدس سراج وهاج ينير ظلمة العالم . « سراج لرجلى كلامك ونور لسبيلى » (مز ١١٩ : ١٠٥)

https://coptic-treasures.com/

« عندنا الكلمة النبوية وهى أثبت ، التى تفعلون حسناً إن انتبهتم اليها كما إلى سراج منير فى موضع مظلم ، إلى أن ينفجر النهار ويطلع كوكب الصبح فى قلوبكم» (٢ بط ١ : ١٩) بدونه يسير الانسان فى ظلمة مدلهمة ويتعثر فى طريق شائكة ، هو دليل الحياة ، بدونه نتيه ونضل فى فيافى الاثم وقفار الخطية . هو القائد الى أورشليم السماوية ، والمرشد الى أرض كنعان ، هو مصدر التقوى ، وينبوع الآداب الصحيحة وأساس القوة والعظمة « ناموس الرب كامل يرد النفس ، شهادات الرب صادقة تصير الجاهل حكيماً ، وصايا الرب مستقيمة تفرح القلب ، أمر الرب طاهر ينير العينين ، خوف الرب نقي ثابت إلى الأبد ، أحكام الرب حق عادلة ، أشهى من الذهب والابريز الـكثير ،وأحلى من العسل وقطر الشهاد» (مز١٩:٧ـ١٠)

« كلمة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذى حدين،وخارقة إلىمفرقالنفسوالروح والمفاصل والمخاخ ،ومميزة أفكار القلب ونياته » (عب ٤ : ١٢) « كما ينزل المطر والثلج من السماء ، ولا يرجعان إلى هنالك ، بل يرويان الارض ، ويجعلانها تلد وتنبت زرعاً للزراع

https://coptic-treasures.com/

وأ كلاً للآ كل ، هكذا تكون كلمتى التى تخرج من فمى ، لا ترجع إلىَّ فارغة ، بل تعمل ما سررت به وتنجح فيما أرسلتها اليه » (اش ٥٥ : ١١و١٢) « يهطل كالمطر تعليمى ويقطر كالندى كلامى ، كالطل على الكلأ وكالوابل على العشب » (تث ٣٢ : ٢) « أليست هكذا كلمتى كنار وكمطرقة تحطم الصخر » (ار ٢٣ : ٢٩)

إنك فى الصلاة تناجى الرب وتحادثه ، وبتلاوة كتابه تصغى اليه يحدثك ويناجيك . فان كنت تصلى فقط . ولا تقرأ الكتب المقدسة ، فانك تناجيه وهو لا يناجيك ، وتخاطبه ولا تسمع كلامه ، وتكون صلتك بالله ليست متينة . ولكى تنمو نمواً حقيقياً فى النعمة ، اقرأ كلام الله ، واصغ لصوته ، لتعرف ارشاداته وارادته ومشوراته. إن تغربت زماناً طويلاً عن وطنك ، ولم ترد اليك رسائل تنبئك عن سلامة أهلك قلقت وفزعت ، فما بالك لا تقرأ تلك الرسائل المقدسة ، رسائل الحب التي جاءتك من أبيك السماوي ، لتعرف محبته لك ، وما عمله لأجلك ، وتعرف أخبار القديسين اخوتك الذين هم فى السماء ، وتقف على أفراحهم وراحتهم الأبدية ، وما هى

https://coptic-treasures.com/

الطريق التى ساروا فيها لتتبع آثارهم ، وترسم خطواتهم . كيف تكون جندياً لله إن لم تحمل معك سلاح كلمته ، وبأى حق تدعي أنك من أولاد الله وأنت لاتعرف وصية الآب وميراث البنين .

الكتاب بمنزلة مرآة مصقولة نقية فيها نرى أنفسنا وحاجتها وما يجب علينا ، تارة يخبرنا عن أفعال القديسين لنقتفى أثرهم ، وطوراً يرينا جهادهم واحتمالهم لنقتدى بهم .وآونة يخبرنا عن مجدهم وسعادتهم لنشاركهم فى فرحهم . وحيناً يكشف لنا عن ضعفهم وسقطاتهم حتى يرينا ضعفنا ونقصنا كى لا نثق بذواتنا . أرانا أيوب الذى عت فضيلته بين هجمات التجارب وأشواك الأوصاب ، وعرفنا داود عندما سقط مغلوباً ، وأوضح لنا قيامه تائباً حتى نتعلم احتمال التجربة وعدم الاتكال على الذات وملازمة التواضع والحزن والحذر ، حتى في أوقات نمونا ونجاحنا الروحي . فالكتاب مرآة مجلوة فيه ترى مابه تصلح ذاتك ، فيه ترى عيوبك فتصلحها ، وحاجة نفسك فتطلبها .

لا يفيدك أن تقرأ كلام الله وتتلوه دون أن تتذوق طعمه وتتفهم لفظه . لعمرى إن القراءة بدون تأمل هى بمنزلة قشر بدون لب ،

https://coptic-treasures.com/

ولكن اللب الداخلي هو الروح المغزى . وكما يتذوق الفم الطعام فكذلك النفس تعرف وتتذوق لذة كلام الله . المريض يجد الحلو مراً فى فمه هكذا النفس الخبيثة لا تذوق حلاوة كلمة الله . والمعدة التي لاتضبط المآكل فى جوفها مريضة وفى حالة سيئة ، والنفس التى لا تحفظ كلام الله هي فى حال أسوأ

قوم يقرأون الكتاب لأجل العلم ومنفعة الآخرين وتعليمهم ، وهذا مفيد ونافع ، ولكن له وقت خاص . وآخرون يخصصون أوقاتاً لدرس الكتب الروحية لاكتساب الفضيلة لتربية أنفسهم ونموهم الروحي ، وهذا ضرورى لكل انسان .

« لتكن هذه الكلمات التى أنا أوصيك بها اليوم على قلبك ، وقصها على أولادك ، وتكلم بها حين تجلس فى بيتك ، وحين تمشى فى الطريق،وحين تنام وحين تقوم ، واربطها علامة على يدك، ولتكن عصائب بين عينيك ، واكتبها على قوائم أبواب بيتك وعلىأبوابك»
(تث ٦ : ٦ — ٩)

https://coptic-treasures.com/

الفصل الثانى والتسعون

نصائح وقواعد لدرس الكتاب

أولاً - عين لنفسك وقتاً مخصوصاً كل يوم لدرس الكتاب بدون انقطاع - ولا يوجد وقت أحسن وأنسب من الصباح الباكر حين يكون الذهن متقداً ، والقلب خالياً ،والجسم مستريحاً من متاعب الحياة؟ فكرسه لقراءة كتاب الله قبل أن تبدأ باشغالك،لتقدس يومك وتبارك عملك ، وتتسلح فيه لصد هجمات التجارب التى قد يمكن حدوثها أثناء النهار ، كان بنو اسرائيل يجمعون المن وقت الندى فى الصباح الباكر قبل بزوغ الشمس ، لئلا تذيبه حرارة النهار ، فاجمع أنت المن المقدس وفتش عن الجواهر الكريمة فيه باكراً لئلا تأتى الأشغال وتطفىء الحرارة من قلبك ، ومتى تعودت ذلك كل يوم يروقك هذا الغذاء الدسم ،وكلما تغذيت منه زادت شهيتك وتضاعف إشتياقك إليه

ثانياً — اقرأ باصغاء وتأمل وإمعان - وقف قليلاً عند ما تجد

https://coptic-treasures.com/

آية تحتاج إلى تفكير انتأمل فيها . الطيور عندما تشرب الماء لاتشربه دفعةً واحدة ، بل دفعات متوالية ، وفى كل مرة ترفع رأسها إلى فوق . فكن أنت كذلك لا ترتوى من مياه النعمة الجارية من أنهار الكتاب الإلهى الا إن أمعنت النظر وتأملت بخشوع ما تقرأه . خير لك أن تقرأ جزءاً يسيراً بإمعان وتأمل من أن تقرأ كثيراً بلاروية. لانه ليس المراد كثرة القراءة ، بل تحصيل المنفعة ، وطلب القوت الروحي كقوت الجسد ، فانه ليس العبرة فيه بكثرة المآكل بل على قيمته الغذائية ، وحسن هضمه . وجل بأفكارك بقية النهار فيما قرأته ولو كان آية واحدة لا بد أن تجعلها موضوع تأملك . الكتاب كله جواهر ثمينة ،وهو من لا يفنى ولا يفرغ،وحفنةمن هذاالدقيق التى كافية لغذاء الانسان مدى الحياة ، وهو مثل كوز الزيت الذى لم ينقص من بيت الأرملة فى أيام ايليا

ثالثاً — ارفع يديك قبل التلاوة واطلب من الله أن يكشف الحجاب عن عينيك لترى عجائب من شريعته. واسأله بركةوإرشاداً، لأنه لايعرف تفسير الكتاب أحسن من الكاتب نفسه ، فالروح هو الذى ألهم الانبياء لكتابة الكتاب « لانه لم تأت قط نبوة بمشيئة

https://coptic-treasures.com/

إنسان بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس » (٢ بط ١ : ٢١) « كل الكتاب هو موحى به من الله، ونافع للتعليم والتوبيخ ، للتقويم والتأديب ، الذى فى البر ، لكى يكون انسان الله كاملاً متأهباً لكل عمل صالح » (٢ تى ٣ : ١٦) « ومتى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق » (يو ١٦ : ١٣) « وهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم » (يو ١٤ : ٢٦)

رابعاً — اقرأ الكتاب بترتيب — ولو أن الكتاب كمنجم للجواهر والذهب الخالص ، فحيثما حفرت وجدت كنزاً . ولكن أنسب طريقة لدرس الكتاب ومعرفة ما فيه ، درسه بالترتيب وعلى التوالى سفراً سفراً . فاقرأ السفر بتمامه ، وأثناء قراءتك تأمل صلة الآيات بعضها ببعض ، فى جميع الأسفار بواسطة الحواشى التى تشير اليها . ولا تجعل كتاب الله كتاب تسلية بل ادرسه بكل امعان .

خامساً — اجتهد حين تتأمل الآيات أثناء قراءتك ، أن تجمع أهم النصوص التى أنارت عقلك ، واستولت على قلبك ، أو أشر اليها فى نفس كتابك لحفظها والرجوع اليها .

https://coptic-treasures.com/

سادساً — اقرأ الكتاب لمنفعتك الشخصية وبنائك الروحي ونموك في النعمة ، مستخرجاً غذاءك الدسم ومئونة حياتك . واقرأه كرسالة حبية من والد لابنه . إذا رأيت فيه وعداً من مواعيد الرب،فاطلب منه تعالى أن يعطيك إياه ، واجتهد لتستحقه ، لأن الكتاب لم يعط للقراءة فقط،بل لنيل البركات والمواعيد التي فيه. فلا فائدة من القراءة ان لم تنل مواعيدها . وهو لم يعط للتفكهة واللذة، بل لتأخذ الجواهر التي فيه وتمتلكها . إذا سطع أمامك نور باهر من خلال سطوره المقدسـة فاهتدِ به . إذا رأيت ثمرة شهية وعنقوداً لذيذاً من هذه الكرمة فاقطفه « كم أحببت شريعتك اليوم كله هي لهجي» (مز ١١٩ : ٩٧) «وجد كلامك فأكلته فكان كلامك لي للفرح ولبهجة قلبي » (ار ١٥ : ١٦)

سابعاً — اقرأ الكتاب بالوقار والاحترام والخشوع والهيبة التي تليق بكتاب الله،وقل مع النبي «من كلامك جزع قلبي » (مز ١١٩: ١٦١) واقبل تعاليمه بخضوع وطاعة ، فان « الرب يدرب الودعاء في الحق ويعلم الودعاء طرقه ، سر الرب لخائفيه وعهده لتعليمهم » (مز ٢٥ : ٩ و١٤) « إلى هذا أنظر إلى المسكين والمنسحق والمرتعد من

https://coptic-treasures.com/

كلامي » (اش ٦٦ : ٢) « لذلك اطرحوا كل نجاسة وكثرة شر فاقبلوا بوداعة الكلمة المغروسة القادرة أن تخلص نفوسكم » (يع ١ : ٢١)

ثامناً — اخضع لمشورات الكتاب وأطع ارشاداته واعمل بها ، واعلم أن لا فائدة فى القراءة ما لم تعمل بما تأمرك به ، فان أطعت كلماته يفتح لك باباً للنجاح ويرشدك إلى فهم ما تقرؤه ويساعدك على اتمامه ، وإن لم تطع يزول من أمامك النور المشرق وتفنى شهيتك ورغبتك . لايكفيك أن تقرأ الكتب المقدسة أوتتكلم بكلام النعمة،بل المطلوب هو العمل والقوة . فليس الكلام عن أحسن المآكل وأشهى المشارب هو كالأكل والشرب حقيقة ، وليس البحث فى الجواهر كامتلاكها ، وليس الكلام عن الحرب كالدخول فيحومة القتال ، فلا سبيل لأن يكون البحث في النعمة والحديث فى الروحيات نافعاً ، ان لم تمتلك النعمة حقيقة وتفعل فى الانسان الباطن بالحق والقوة

«لا يبرح سفر هذه الشريعة من فمك ، بل تلهج فيه نهاراً وليلاً ،

https://coptic-treasures.com/

لكي تتحفظ للعمل حسب كل ما هو مكتوب فيه ، لأنك حينئذ تصلح طريقك وحينئذ تفلح » (يش ١ : ٨)

وكما يجب عليك درس كتاب الله ، كذلك من النافع لك اختيار الكتب الروحية المفيده لتقرأها ، فهى خير الجلساء،وتفيدك أكثر مما يفيدك الأصدقاء ، لأنها تزيدك علماً وتهذيباً ، وتهديك إلى أحسن الآداب ، وترشدك إلى طريق الحياة الحقيقية والسعادة الأبدية . إن قراءة الكتب الروحية تفيدك أكثر من سماع الوعظ أحياناً ، لأنه لا يمكنك أن تجد واعظاً فى كل حين ، ولكن الكتب دائماً بين يديك، مطيعة لك وتحت أمرك ، تقرأ فيها ما تشاء وبمقدار ما تشاء فى كل مكان وأي زمان . وما يقوله الواعظ يمر سريعاً ولا تستطيع تأمله كل وقت ، وأما الكتب فيمكنك تأملها ومراجعتها كلما شئت ، ولك فى الكتاب كنز ثمين ، فما لا يأتى به الواعظ تجده فى الكتاب، فيعظ ويوبخ وينصح وينذر بلا خوف للجميع على حد ســـواء . بالقراءه فى الكتب يمكنك أن تحادث القديسين وتسمع كلامهم كأنك معهم

https://coptic-treasures.com/

وكما تهرب من معاشرة السفهاء واللئام ، فابتعد كذلك بكل قوتك عن الكتب التى تفسد الأخلاق وتدنس النفس .

وابعد عن الكتب المملوءة بالخلاعة والداعية إلى الفساد .

لا تقرأ كتاباً لافائدة فيه لئلا تضيع زمناً أنت أحوج اليه ، ولا تكثر القراءة إلا فى كتب سامية المعانى جميلة الآداب لترتسم فى ذهنك صوراً نافعة من قراءتها ، وانبذ كل كتاب خالٍ من الأدب كما تنبذ السفهاء .

https://coptic-treasures.com/

الفصل الثالث والتسعون

عدم فحص ما يتجاوز عقولنا وعدم الرغبة فى أستقصاء احكام الله العالية

سلم الأمر لله ، ولا تهتم بالبحث فيما يتجاوز قدرتك . والتفتيش في أمور الله الغامضة . ولاتسل لماذا كان هذا قوياً وصحيحاً معافى ، والآخر مبتلى بالأمراض ومثقلاً بالأوجاع ؟ ولماذا سعد هذا وشقى ذاك؟ ولأى شيء ذلك يفرح وهذا رازح تحت ثقل الأحزان . وهذا مضروب بالآلام وغيره متمتع بالمسرات . ولم يموت هذا النافع شاباً بينما كثيرون فى سن الشيخوخة وهم عديمو النفع ! لماذا يشرق النور على هذا ، ولا يزال ذاك فى ظلمة الليل الحالك ؟

اترك هذا كله فانه لم يعط لك أن تفحص فيه وتفتش عنه ، فهو مما يفوق إدراكك . أمور الله وأحكامه غامضة لا يدركها عقل ولا يفحصها برهان . وما عليك الا الخضوع لأحكامه . وعندما يحفزك العقل على البحث ، أو يستحثك الناس أو يوسوس لك العدو فقل

https://coptic-treasures.com/

« بار أنت يارب وأحكامك مستقيمة) « مز ١١٩ : ١٣٧) « أحكام الرب حق عادلة كلها » (مز١٩ : ٩) «هكذا صارت المسرةأمامك» (مت ١١ : ٢٦) اهتم بما يجب عليك واشغل بالك فيما تؤدية . مالك واستبطان الأسرارالغامضة العويصة التي يقصر فكرك عن إدراكها؟ وحين تظن أنك تبحث عن هـذه الأمور اعلم أن عقلك يقودك الى الضلال قال الحكيم ابن سيراخ « لا تطلب ما يعييك نيله ، ولا تبحث عمـا يتجاوز قدرتك ، لـكن ما أمرك الله به فيه تأمل ، ولا ترغب في استقصاء أعماله الـكثيرة ، فانه لا حاجة لك أن ترى المغيبات بعينيك ، وما جاوز أعمالك فلا تـكثر الاهتمام به ، فانك قد اطلعت على أشياء كثيرة تفوق ادراك الانسان ، وان كثيرين قد أضلهم زعمهم وأزل عقولهم وهمهم الفاسد » (٣ : ٢٢ ـ ٢٦) « السرائر للرب الهنا والمعلنات لنا ولبنينا » (تث ٢٩ : ٢٩)

فلا تـكن فضولياً ومدعياً ، ولا تستقص أمور الله التي تعلو على ادراكك . والأولى بك أن تخـاف من أحكامه وتنحني طاعة لها ، فذلك خير من أن تبحث عنها وهي تفوق أطوار العقل البشري .

https://coptic-treasures.com/

« مَن من الناس يعرف أمور الإنسان إلا روح الإنسان الذى فيه، هكذا أمور الله لا يعرفهـــا أحد الا روح الله » (١ كو ٢ : ١١) « هل تنصت فى مجلس الله » (اي ١٥ : ٨) « أألله يعلّم معرفة وهو يقضى على العالين ، هذا يموت فى عين كماله ، كله مطمئن وسا كن، أحواضه ملآنة لبناً ومخ عظامه طرى ، وذلك يموت بنفس مرة ولم ولم يذق خيراً ، كلاهما يضطجعان معاً فى التراب والدود يغشاهما » (اى ٢١ : ٢٢ ــ ٢٦) « هوذا الله يتعالى بقدرته ، من مثله معلماً ، من فرض عليه طريقة أو من يقول له قد فعلت شراً » (ا ى ٣٦ : ٢٢) « من قاس روح الرب ومن مشيره يعلمه ، من استشاره فافهمه وعلمه طريق الحق وعلمه معرفة وعرفه سبيل الفهم . هوذا الأمم كنقطة من دلو ، وكغبار في الميزان تُحسب ، هوذا الجزائر يرفعها كدقة ، كل الأمم كلا شيء قدامه من العدم والباطل تحسب عنده » (ا ش ٤٠ : ١٣ — ١٧) « لأنه من وقف فى مجلس الرب ورأى وسمع كلمته ، من أصغى لكلمته وسمع » (ا ر ٢٣ : ١٨) « يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه ، ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء ، لأن من عرف فكر الرب أو من صار له مشيراً ، أو

https://coptic-treasures.com/

من سبق فأعطاه فيكافأ ، لأن منه وبه وله كل الأشياء ، له المجد إلى الأبد آمين » (رو ١١ : ٣٣ — ٣٦)

« أإلى عمق الله تتصل ، أم الى نهاية القدير تنتهى ، هو أعلى من السموات فماذا عساك أن تفعل ، أعمق من الهاوية فماذا تدري ، أطول من الأرض طوله وأعرض من البحر . ان بطش أو أغلق أو جمّع فمن يرده ، أما الرجل ففارغ عديم الفهم ، وكجحش الفرا يولد الإنسان » (اى ١١ : ٧ — ١٢) « لا يدرك الانسان العمل الذى يعمله الله منذ البداية الى النهاية » (جا ٣ : ١١) « رأيت كل عمل الله أن الانسان لا يستطيع أن يجد العمل الذي عمل تحت الشمس ، مهما تعب الانسان فى الطلب فلا يجده ، والحكيم أيضاً وإن قال بمعرفة لا يقدر أن يجده » (جا ٨ : ١٧) « كما أنك لست تعلم ما هى طريق الريح ، ولا كيف العظام فى بطن الحبلى ، كذلك لا تعلم أعمال الله الذى يصنع الجميع » (جا ١١ : ٥)

https://coptic-treasures.com/

الفصل الرابع والتسعون

التوبة

التوبة صلح مع الله ، وتطهير للخطايا ، ومحو للمآثم وبغض للشرور ، ورجوع إلى الله. تصلح ما أفسدته الخطية ، وتبني ما هدمته المعصية ، تجدد قلب الخاطىء وتلبس الآثم حلة البر ، وتطرد الفساد وتقاوم الملكات الردية ، وتنير العقل ، وتحجز الشر ، وتطرد أعمال الظلمة ، تعيد السقيم صحيحاً ، والعليل معافى ، والشره عفيفاً ، والغافل منتبهاً متيقظاً ، والسارق أميناً ، والقاتل بريئاً . ترد وتشفي وتبرر العاصي والضال والشرير والمجرم والأثيم وتدخلهم دار الأمان

بالخطية نفقد كل النعم والمواهب وما نملكه من الفضائل ، والتوبة تعيد لنا ما فقدناه وتهبنا ثروة من الفضائل لا نستحقها . فطريق التوبة طريق أمين ، وهي باب مفتوح للخلاص لا يقفل ، إذ هو صدر الله الرحيب « من يقبل إليّ لا أخرجه خارجاً » (يو ٦ : ٣٧)

https://coptic-treasures.com/

الله أب رؤوف رحيم لايذكر المعصية ، ولا يحقد على أحد . إن ارتكب الإنسان كل المعاصى والآثام،وعاد اليه تائباً نادماً يفتح صدره الحنون لإقتباله ، ولا يذكر آثامه بل يطرحها إلى عمق البحر . قال له المجد : « إذا رجع الشرير عن جميع خطاياه التى فعلها ، وحفظ كل فرائضى . وفعل حقاً وعدلاً فحيوة يحيا لا يموت ، كل معاصيه التي فعلها لا تذكر عليه ، فى بره الذى عمل يحيا . هل مسرة أسر بموت الشرير يقول السيد الرب الا برجوعه عن طرقه فيحيا . وإذا رجع البار عن بره وعمل إثماً وفعل مثل كل الرجاسات التي يفعلها الشرير أفيحيا ؟ كل بره الذى عمله لا يذكر في خيانته التى خانها وفى خطيته التى أخطأ بها يموت » (حز١٨ : ٢١ — ٢٤)

اذكر انك اخطأت ، وتب واندم على ما فعلت وكن واثقاً أن الرب يقبل بفرح جميع التائبين اليه ، اقترب إلى الله وقلبك مملوء بعواطف الإيمان والرجاء والمحبة . وقبل التوبة استشعر قلبك بثقل خطاياك،واعرف ذنبك وكيف اهنت القدوس وأسخطته بإثمك ، واقتنع بأنك مجرم أثيم بددت ما وهبت من النعمة ، وخسرت كل

https://coptic-treasures.com/

شيء ولم تعد مستحقاً شيئاً من خيرات السماء وتأسف واحزن واندم على ما فعلت من الإثم وعلى ما أهملت من الخير . وليكن حزنك ناتجاً من فقدانك الله الذى هو الخير المحض . وتقدم إلى التوبة بقلب منكسر وروح منسحق لأن «القلب المنكسر والمنسحق لا يرذله الله» (مز ٥١ : ١٧) وحينئذ تقدر أن تصرخ مع داود والابن الضال والعشار قائلا « إنى عارف بمعاصى وخطيتي أمامى دائماً ، اليك وحدك أخطأت والشر قدام عينيك صنعت » (مز٥١:٣و٤) « يا أبي أخطأت الى السماء وقدامك ولست مستحقاً بعد أن أُدعى لك ابناً » (لو ١٥ : ١٨ و١٩) « اللهم ارحمنى أنا الخاطيء » (لو ١٨ : ١٣) وحينئذ تسمع الرب يقول « اخرجوا الحلة الأولى والبسوه ، واجعلوا خاتماً في يده وحذاء فى رجليه ، لأن ابنى هذا كان ميتاً فعاش وضالاً فوجد » (لو ١٥ : ٢٢و٢٤)

أبغض الخطية وامقتها ، لأنها هى التى جلبت عليك غضب الله ، وأبعدتك عن رحمته ، وأفقدتك الخيرات وصيرتك شقياً بائساً . ولا تبغضها فقط بل أبغض أسبابها وموجباتها وعللها ، وكل ما يؤدى

https://coptic-treasures.com/

إلى طريقها ، وحد عن مسالكها ، لأن الشرير لا يحب الخطية من حيث هى خطية بل يحب مادتها . فهو يحب اللذة الأثيمة لا لأنها أثيمة بل لأنها لذة . فاقطع جرثومتها ، واستأصلها ولا تتبع خداعها ولتكن حلاوتها مرارة . واعزم عزماً ثابتاً على عدم الرجوع إلى الخطية ، لأن عدم الرجوع عنها هو عين التمسك بها . فان كنت قد تخلصت من نيرها فلا تعد تأسر نفسك وتقيدها بسلاسلها . بعد أن خرج بنو اسرائيل من أرض العبودية أسرع فرعون بجيوشه كي يلحق بهم ويردهم ويستعبدهم . كذلك لابان حين تركه يعقوب وسافر تبعه وجماعة معه . فاياك أن يدركك العدو بعد أن طردته ، ويتغلب عليك بعد أن هزمته ، ولا تنس أنه مترقب فرصة لا قتناصك واستعبادك. اذكر قول مخلصك «ها أنت قد برئت فلا تخطىء أيضاً لئلا يكون لك أشر » (يو ٥ : ١٤) « لأن ما انغلب منه أحد فهو له مستعبد أيضاً ، لأنه إذا كانوا بعد ماهربوا من نجاسات العالم بمعرفة الرب والمخلص يسوع المسيح ، يرتبكون أيضاً بها فينغلبون ، فقد صارت لهم الأواخر أشر من الأوائل . لأنه كان

https://coptic-treasures.com/

خيراً لهم لو لم يعرفوا طريق البر، من أنهم بعد ما عرفوا يرتدون عن الوصية المقدسة المسلمة لهم ، قد أصابهم ما فى المثل الصادق كلب قد عاد إلى قيئه ، وخنزيرة مغتسلة فى مراغة الحمأة » (٢بط ٢ : ١٩ ــ ٢٢) عش طاهراً وقديساً بعد التوبة ، ولا تعاود شهواتك السابقة ، غيّر مجرى حياتك وجدد روح ذهنك ، حتى تختبر ما هى إرادة الله وتذوق لذة نعمة الرب

لا تؤخر توبتك إلى وقت آخر ، لئلا يمضى الزمان ويدركك الموت ولا تكون قد بلغت ما كنت تصبو اليه . فليس الرب تحت إرادتك ، ولا حياتك فى قبضة يدك . خلاصك الآن أقرب اليك ، «الآن وقت مقبول،الآن وقت الخلاص ، «فانظروا كيف تسلكون بالتدقيق ، لا كجهلاء بل كحكماء ، مفتدين الوقت لأن الأيام شريرة» (اف ٥ : ١٥ و ١٦) لا تقل في نفسك أفعل هذه الخطية وأتوب، فان ذلك وقاحة على الله وأثم عظيم ،ومثلك فى ذلك كمن يحصل اليوم على لؤلؤة كريمة فيلقيها فى البحر على أمل أن يأتى بعد أيام ويجدها ، ومن يلقي بنفسه في نار متأججة على أمل أن ينجو منها . لا تخطىء

https://coptic-treasures.com/

وتقل إن الله رحيم فان ذلك إهانة كبرى لله . كانك تنسب لله الرحمة وتنفي عنه تعالى العدل ، بل اعلم أن الهالكين برحمته على مثل هذا الخداع أكثر من الهالكين بعد له .

يا هذا إن أنت أهنت العدل ، يمكنك أن تلتجيء إلى الرحمة ، ولكن إن أهنت الرحمة ذاتها فالى من تلتجيء حينئذ .

لاتستعظم خطاياك ولا تستكثرها على رحمة الله وتظن أنه لا يقبلك، فان من يقبل إليه لا يطرده خارجاً «لأنه لم يأت ليدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة » (مت ٩ : ١٣) « وجاء ليطلب ويخلص من قد هلك» (لو ١٩ : ١٠) « وأنه يكون فرح في السماء بخاطيء واحد يتوب أكثر من تسعة وتسعين باراً لا يحتاجون إلى توبة » (لو ١٥ : ٧) قال الرب : « حقاً أنه كما تخون المرأة رجلها هكذا خنتموني ، ارجعوا أيها البنون فأشفي عصيانكم» (ار ٣ : ٢٠ و٢٢) « هلم نتحاجج يقول الرب إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج ، إن كانت حمراء كالدودي تصير كالصوف » (اش ١ : ١٨)

ارجع وتب إلى الرب ، وما دمت مبتعداً عن الرب فلا سلام

https://coptic-treasures.com/

لك ولا راحة . إن الحمامة التى أطلقها نوح لم تجد مكاناً لراحتها فى العالم فاضطرت للرجوع إلى الفلك لان فيه راحتها ، ويونان لما هرب من وجه الرب لقى العناء والتعب ، واقبلت عليه الزوابع فى البحر تطارده وتقاومه ولم يجدسبيلا للنجاة الا بالرجوع إلىالله ، فطلبهوهو فيعمق بطنالحوت . فكفاك أيها الخاطيء شقاء وبلاء . هلأشبعك خرنوب المعاصى وهل حصلت علىسلام من لذات العالم ، وأنىللعاصى أن يجد فيها راحة وسلاما ؟ « أما الأشرار فكالبحر المضطرب لأنه لا يستطيع أن يهدأ ، وتقذف مياهه حمأة وطيناً ، ليس سلام قال إلهى للاشرار » (اش ٥٧ : ٢٠ و ٢١) ألا عد لذاتك ، واخل بنفسك واندم وارجع إلى الرب فيقبلك .

الندم على الخطية معلم ماهر يهذب النفس ، ودواء ناجع يشفى مرض الروح . وهو يذكرنا بما آثمنا ويولد فى صدورنا حبالرجوع إلى الله ، وصوت عذب فى أذنى الله ، يحنن قلبه ويستمطر رحمته ، وبرهان على التوبة الحقة . فاقطع أسباب الخطية وارجع إلى الرب وبادر للشفاء من جراحها . إن الجرح فى بدايته يسهل برؤه ، ولكن

https://coptic-treasures.com/

إن أزمن وإهمل طويلاً يعسر شـفاؤه ويحتاج لعلاج كثير وتعب طويل . فاشف ذاتك بالتوبة سريعاً واعقد الصلح مع الله قبـل أن يستعصى داؤك . فانك لا تحتمل أن تدوم عدواً لله وتستمر عاصـياً له . قبل الخطية يمثل العدو لنا الله مملوءاً رحمة وحناناً ، ولـكن بعد السقوط يمثله لنا عادلاً قاسياً ، لا يعرف الرحمة والشفقة ليوقعنا فى اليأس والقنوط . فاياك وقطع الرجاء بل اجعل رحمة الله نصب عينيك ، وليتقدمك ملاك الرجاء والإيمان ، لأن من قطع رجاءه كان خليقاً أن يكون كيهوذا الذى قتل نفسه وهلك

https://coptic-treasures.com/

الفصل الخامس والتسعون

تجنب الإعتذارات والتعلل عن الخطية

قال داود النبي «لا تمل قلبي إلى أمر رديء لأتعلل بعلل الشر مع أناس فاعلي إثم» (مز ١٤١ : ٤) كثيرون يفعلون الخطية ويرتكبون الإثم ولا يرضون أن يعترفوا بإثمهم ، بل يختلقون لذلك عللاً وأعذاراً باطلة ، كي يبرروا فعلتهم ظانين أنهم بذلك ينجون من طائلة الدينونة . فيا أيها المعتذر ، لمن تقدم هذه الأعذار الباطلة ؟ هل لله الذي لا تخفى عليه خافية ، إخترع ما شئت ، وانتحل من الأعذار ما أردت ، ولكن إعلم أنك إنما تتعب عبثاً وتعمل باطلاً لأن الله عالم ما في نفسك ومطلع على كل ما يدور بقلبك . فان أنت أخطأت فبأى وجه تعتذر عن إثمك ، وأنت حر مريد مختار ، لا مجبور ولا مقهور على عمل ما لا تريد وما لا تحب ، لأن الخطية ليست خطية ما لم تكن بإرادة واختيار . والإرادة ليست ارادة الا اذا كانت مطلقة . فبما أنك حر الإرادة مطلق الإختيار في كل شيء ، فليس لك أن تعتذر عن خطية صدرت منك . أو تنحى باللائمة على

https://coptic-treasures.com/

الطبيعة أو غيرها ، فانه أولى بك أن تعتب على نفسك وتشكو من ذاتك. فلا تتعلم أن تجلب اللوم على غيرك ، فآدم حين أخطأ لم يعترف بذنبه بل قال « المرأة التى أعطيتنى هي أعطتنى فأكلت » من ذلك الحين ترى الناس يقدمون عللاً وأعذاراً عن خطاياهم ، ومن لم يكن له عذر لقنه إبليس ألف عذر

إن المخلص الحمل الوديع الطاهر من كل عيب جاء فى شبه جسد الخطية ، وحمل عنا جميع أوزارنا ، وحسب كخاطىء مذنب وحمّل نفسه كل عقاب الشريعة كمجرم ، فكيف تجسر أنت يامن تستحق الموت لخطاياك أن تبرر عمل ذاتك أمام الله ، وتعتذر عن آثامك كي تظهر أمام الناس باراً صالحاً، إنما أنت بذلك تحكم على نفسك بالدينونة « إن قلنا إن ليس فينا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فينا ، إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل اثم ، إن قلنا اننا لم نخطىء نجعله كاذباً وكلمته ليست فينا» (١يو ١ : ٨ ـ ١٠) «اعترف لك بخطيتى ولا اكتم اثمى ، قلت اعترف للرب بذنبى ، وأنت رفعت آثام خطيتى » (مز ٣٢ : ٥) فما تخفيه وتكتمه

https://coptic-treasures.com/

من خطاياك يشهره الله ويعلنه ، وما تكشفه وتعترف به يستره الله ويكتمه ، بل يمحوه ولا يبقى له أثراً . إن كنت تعتذر وتدافع عن خطيتك كأن لك حقاً فى فعلها فان الله لا يغفرها لك . ان دفاعك عن نفسك دليل على أنك بار غير معترف ولا نادم على خطيتك ، فاياك أن يعميك هذا الخداع فيغشى بصرك النفاق والكذب. إن الفقير المريض يكشف عن قروحه ويظهر أماكن ضعفه كى يحرك شفقة ذوي المروءة والإحسان . والمجرم الأثيم يتذلل أمام القاضى كى يعطف عليه . فان أردت أن يتعطف الرب عليك ، ويغفر لك زلاتك ، فتذلل أمامه واكشف قروح آثامك وقدم اقرارك واعترافك بخطاياك والا استعصى شفاؤك ما دمت لا تستعمل الدواء « من يكتم خطاياه لا ينجح ومن يقرّ بها ويتركها يرحم » (ا م ٢٨ : ١٣) إن اللص اعترف بذنبه قائلاً « أما نحن فبعدل لاننا ننال استحقاق ما فعلنا » (لو٢٣: ٤١) ولذلك استحق الخلاص .والعشار اعترف بضعفه وإثمه فنال التبرير، وأما الفريسى المتكبر فلم ينل سوى الشقاء . لأنه ذكر محاسنه ، ونسى نقائصه

https://coptic-treasures.com/

الفصل السادس والتسعون

شقاء غربتنا على الأرض وسفرنا نحو الأبدية

« ليس لنا هنا مدينة باقية لكننا ننتظر العتيدة » (عب ١٣ : ١٤) إن هذه الأرض ليست وطننا وما نحن فيها سوى غرباء ونزلاء، وما حياتنا الا سفر نحو الأبدية ، وطريق نعبره في الأرض للوصول إلى الوطن الباقي . نحن سائحون فى هذه الدار ، وسيأتي يوم فيه تنتهي غربتنا ، ومهما طالت سياحتنا فى هذه البرية فلا بد من الذهاب إلى البيت الأبدى (جا ١٢ : ٥)

أنظر أيها الحبيب ، وتأمل الأدهار الماضية والأقوام الذين سبقونا ، ألم ينته زمن غربتهم فذهبوا إلى أبديتهم وتركونا . فضع نصب عينيك دائماً أننا غرباء ونزلاء مثل كل أبائنا « أيامنا كالظل على الارض وليس رجاء » (اى ٨ : ٩) « فسر زمان غربتك بخوف » (١ بط ١ : ١٧) « ارجع وأقم مع الملك لانك غريب ومنفى أيضاً

https://coptic-treasures.com/

من وطنك» (٢ صم ١٥ : ١٩) إن هذا العالم ليس بيتك ووطنك ، بل هو نزل بعد قليل تفارقه متوجها نحو دار أبديتك ، فأنت غريب هنا ، وضيف وسائح وعابر طريق .وهل يرتاح الغريب فى غير وطنه؟ إلا يحن شوقاً اليه . إن العروس الذي أهدى عروسه عقداً أو خاتماً مهراً لخطوبته لا يزال فؤاده خافقاً خفقان الحب الى ساعة الاتحاد والاقتران . ونفوسنا المخطوبة ليسوع ظمآنة الى تمام الاتحاد به والارتواء من حبه والتمتع برؤيته ، حين نراه وجهاً لوجه . ولكن مادمنا فى هذه الدنيا فلن نبرح غرباء كما كان شعب الله غريباً فى أرض مصر ، ومضيقاً علينا كما كان مضيقاً عليهم فى أرض العبودية ، لن نزال موثقين بالإغلال مصفدين بالقيود ، مجبرين على الاقامة منفيين وجالسين على أنهار بابل نبكى كلما تذكرنا صهيون (مز١٣٧:١) ولا تزال أنات الأشواق وزفرات الحب لوطننا تخترق حبات القلوب. مثلنا مثل المنفى لا يكف عن الأنين فى دار منفاه ، بل يئن شوقاً للرجوع إلى وطنه . أو العضو المكسور لا يسكن ألمه إلا بوضعه فى مكانه ، والحجر الذى طوح به إلى الفضاء لا يزال مطرباً الى أن يعود الى مركزه فى الارض

https://coptic-treasures.com/

تأمل هذا ولا تعلق قلبك بأمور باطلة، ولا تدعه يشغف بمحبة ماهو فانٍ مع الزمان « غير ناظرين إلى الأشياء التى ترى، بل إلى التى لاترى، لان التى ترى وقتية،وأما التى لاترى فأبدية » (٢ كو ٤ : ١٨) « إننا نعلم أنه إن نقض بيت خيمتنا الأرضي ، فلنا فى السموات بناء من الله، بيت غير مصنوع بيد أبدى، فاننا في هذه أيضاً نئن مشتاقين إلى أن نلبس فوقها مسكننا الذى من السما. ،وإن كنا لابسين لانوجد عراة، فاننا نحن الذين فى الخيمة نئن مثقلين ،إذ لسنا نريد أن نخلعها، بل أن نلبس فوقها ،لكى يبتلع المائت من الحياة، فاذ نحن واثقون كل حين وعالمون أننا ونحن مستوطنون في الجسد فنحن متغربون عن الرب، لأننا بالإيمان نسلك لا بالعيان ، فنثق ونسر بالأولى أن نتغرب عن الجسد ونستوطن عند الرب » (٢ كو ٥: ١-٨) إن الجسد لايزال أسيراً للتجارب والخطية، مادامت تجاربنا فى ميدان الكفاح، وحتى الآن لم ننل الحرية، حرية مجد أولاد الله، ولم نفز باكليل النصر، فنفوسنا لا تزال تهاب سطوة الموت، وما زلنا نجاهد ونصارع الأهواء. فاذاً نحن نتوقع راحة ونتنظر ساعة فيها

https://coptic-treasures.com/

تكف عنا التعب ويبطل النصب . نرجو حياة ليس فيها بكاء ، ولا عناء ، ولا فساد ، ولا هوان أو ضعف ، ونأمل الخلود وعدم الفساد. لننال المجد المزمع أن يتجلى فينا . إننا ورثة ولنا ميراث في السماء لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل . فقلوبنا ملتهبة شوقاً لأخذ الميراث الأبدى والتحرر من كل عبودية . انما نحن سماويون غرباء على هذه الارض، كيف نرتاح ما لم نصعد الى وطننا السعيد ، ونتكىء على صدر أبينا ، لننال فيض التعزيات الكاملة . نحن هنا أشقياء بائسون مع أننا فى الحقيقة ملوك وأبناء الملك السماوى . فكيف نرضى نحن الأمراء بالذل والهوان؟ لن نرضي الا بالجلوس على عروشنا وننال مجد أولاد الله ونتمتع بما خول لهم من حق السلطان والعظمة والمجد . اننا لم نتوج بعد ، ولم يعلن تماماً بأننا أولاد الله ، ولم نلبس حتى الآن البز النقي والحلل الملكية التى تليق بأبناء الملوك • لنجلس على كراسى المجد فى ملك أبينا .

لذلك لا تزال قلوبنا تئن وتتنهد شـــــوقاً الى ظهور ذلك اليوم السعيد ، الذي فيه يزول كل أنين وتعب . وتغيب أحزاننا فى هاتيك

https://coptic-treasures.com/

التعزيات التى لا تخطر على بال. وحينئذ لانذكر الشدائد التى قاسيناها فى هاته الحياة . وما نحن الا كالحمامة التى أطلقها نوح ، تروح وتغدو وهى لله تجد راحة حتى دخلت الفلك . أو كبنى اسرائيل فى البرية ، وقد كلت أقدامهم من تعب الطريق . باطلاً نلتمس الراحة فى البرية ، وهى فى الدخول الى أرض كنعان . نحن كيعقوب وهو ناظر الى العجلات التى بعث بها ابنه ، فكان كلما طال أمد انتظاره اشتدت أشواقه لرؤية وجه يوسف

ليست هاته الحياة سوى أوقات قليلة وكلها تعب وعناء « أليس جهاد للانسان على الارض وكأيام الاجير أيامه » (اي ٧ : ١) « الانسان مولود المرأة قليل الايام وشبعان تعباً . يخرج كالزهر ثم ينحسم ، ويبرح كالظل ولا يقف ، ان كانت أيامه محدودة ، وعدد أشهره قد عينت عندك ، وقد عينت أجله فلا يتجاوزه ، لأن للشجرة رجاءً ان قطعت تخلف أيضاً ولا تعدم خراعيبها ، ولو قدم فى الارض أصلها ومات فى التراب جذعها ، فمن رائحة الماء تفرخ وتنبت فروعاً كالغرس ، أما الرجل فيبلى ، الإنسان يسلم الروح فأين هو »

https://coptic-treasures.com/

(اى ١٤ : ١ — ١٠) «عرفني يارب نهايتي ومقدار أيامي كم هي
فاعلم كيف أنا زائل ، هوذا جعلت أيامي أشباراً وعمري كلا شيء
قدامك ، انما نفخة كل انسان قد جعل ، انما كخيال يتمشى الانسان،
باطلاً يضجون ، يذخر ذخائر ، ولا يدرى من يضمها » (مز٣٩ :
٤ — ٦) « كل جسد كعشب وكل مجد انســــان كزهر عشب ،
العشب يبس وزهره سقط » (١ بط ١ : ٢٤)

« ترجع الانسان الى الغبار وتقول ارجعوا يابنى آدم ، بالغداة
كعشب يزول ، بالغداة يزهر فيزول ، عند المساء يجز فييبس ، أيام
سنينا هى سبعون سنة ، وان كانت مع القوة فثمانون سنة ، وافخرها
تعب وبلية ، لانها تقرض سريعاً فتطير » (مز ٩٠ : ٣و٥و٦و١٠)
« الإنسان أشبه بنفخة، أيامه مثل ظل عابر» (مز ١٤٤ : ٤) « فما
هى حياتكم أنها بخار يظهر قليلا ثم يضمحل » (يع ٤ : ١٤)

الغريب المسافر لا بد أن يتحمل التعب والمشاق حتى يصل إلى
وطنه . وفى هذا الوادي الذى نعبره ينبغي أن نحتمل شدائد كثيرة
ومخاطر عدة . ولا تعبر المجاز بلا محنة ، أو تبلغ الأرب بلا مشقة ،

https://coptic-treasures.com/

ولا يزال أمامك طريق طويل تسير فيه ، ومسلك ممتد لا بد أن تعبره ، إلى أن تبلغ مدينة السلام والراحة ، وتصل إلى القديسين ومقر الأبرار والكاملين ، وكنيسة الأبكار الأطهار ، فسر في طريقك واجعل كل إعتمادك على الله . ولا ترهب عناءً أو نصباً . فسر يتبعك الايمان ويتقدمك الرجاء وتحيط بك المحبة

ما هذا العالم الا مغاور وكهوف في براري قفراء موحشة ، اذا قيس ببهاء ذلك الوطن أورشليم السماوية . فهناك حياة كلها سعادة ، وأفراح وتعزيات وتهليلات دائمة غير متناهية «لا يكون هناك اسدٌ ، وحش مفترس لا يصعد اليها ، لا يوجد هناك ، بل يسلك المفديون فيها ، ومفديو الرب يرجعون ويأتون الى صهيون بترنم ، وفرح أبدي على رؤسهم ، ابتهاج وفرح يدركانهم ويهرب الحزن والتنهد » (اش ٣٥ : ٩ و ١٠)

« اذا إمتلأت السحب مطراً تريقه على الأرض واذا وقعت الشجرة نحو الجنوب أو الشمال ففي الموضع حيث تقع الشجرة هناك تكون » (جا ١١ : ٣) ففي أي مكان وقعت فيه نفسك تستمر الى الأبد ، فاختر لنفسك منذ الآن مقر أبديتك في سعادة أوفي وشقاء ،

https://coptic-treasures.com/

فى الملكوت أو فى جهنم « هوذا أمامك طريقان طريق الحياة وطريق الموت » (ار ٢١ : ٨)

وليس أمامنا حاجز يمنعنا عن الوصول إلى دار أبديتنا سوى هذا الجسد ، فاننا ما دمنا مستوطنين فيه فنحن بعيدون عن الرب ، ولكن سوف يأتى يوم فيه ينقض هذا الحائط ويزول الحاجز ،ويرتفع الحجاب وحينئذ نتمتع بالحرية ، ويتجلى لنا بهاء الرب وسناء مجده ، ونبلغ مقر الراحة الأبدية ، وديار الرب بالتهليل هاتفين « أين شوكتك ياموت ، أين غلبتك ياهاوية » (١ كو ١٥ : ٥٥) «استمع صلاتى يارب وإلى صراخى لاتسكت ، لأنى أنا غريب عندك نزيل مثل جميع آبائى » (مز ٣٨ . ١٢) «غريب أنا فى الأرض فلا تخف عنى وصاياك » (مز ١١٩ : ١٩)

https://coptic-treasures.com/

الفصل السابع والتسعون

التأمل فى الموت

يولد الطفل ولا يستطيع أحد أن يتعرف مستقبله . أيكون عظيماً أم حقيراً ،غنياً أم فقيراً ، صالحاً أم شريراً ، صحيحاً أم سقيماً ، طويل العمر أم قصيره ؟ كل ذلك مجهول لدى الانسان ، ولكن كل إنسان يعرف أنه لا بد أن يموت ، لأن الموت هو طريق الناس جميعاً (١ صم ٢ : ٢) وهو ضربة لازمة على الجميع ، سواء منهم الملوك والأمراء ، والأغنياء والعلماء ، والفقراء والجهلاء . ومهما طالت حياة الإنسان فلا بد من شرب كأس الحمام . ومن أن يترك كل واحد ، وراءه ما قد جمع ولن ينال الإنسان من الدنيا سوى قطعة أرض تضم عظامه البالية . إن الموت لا يخشى سطوة الملوك ولا بأس الجبابرة . يهجم على القوى كما يأتى الضعيف ، ولا يقوى البطش أن يمنعه ولا المال والجاه أن يؤخر ساعته . إن اشتعلت

https://coptic-treasures.com/

النار يمكن اخمادها ، وإذا نشبت الحرب يمكن الحد من سعيرها . نستطيع مقاومة النيران الملتهبة والأمواج المصطخبة ، وصدقوة الملوك المقتدرين ، ولـكن الموت لا يستطيع أحد أن يقاومه ، أو يدفعه . لأنه جبار قوى غالب ظافر ، لا يخاف الغنى ، ولا يهـاب الحراس والجنود ، ولا تمنعه أسوار ولا جدران ، ولا تصـده معاقل ، ولا تدفعه حصون ، ولا يجبن أمام السطوة والعظمة ، ولا يكرم البرفير والأرجوان ، ولا يشفق على الشباب ، ولا يرق لضعف الشيوخ ، ولا تلينه دموع الأمهات ، ولا ثكل الأولاد ، ولا يحجم من أجل الأصدقاء والخلان .

أنظر إلى رجل جبار قوى البنية ، تـكسوه نضـارة الشباب ، وتتلألأ فى وجهه علامات الصحة ، ثم بعد قليل أنظر إلى هذا الوجه الصبوح تره قد استحال إلى اصفرار ، وتأمل العينين النجلاوين تجدهما قد غارتا ، واليدين قد ارتخيتا ، والرجلين وقدوقفتا عن الحركة، ثم ترى أخيراً ذلك الجسد القوى قد صار جثة هامدة لا حراك فيها. تمهل قليلاً تجد أن الذى كان يطأ الأرض بقدميه قد وطأته الأرض

https://coptic-treasures.com/

وطواه الثرى ، والذي كنت تخشاه وتأخذك هيبته . قد نزل حفرة ضيقة وانهالت عليه الاتربة ، وتراكمت بالرمال . وبعد ذلك تراه يستحيل إلى عظام نخرة يأكلها السوس ويفسدها الدود ، وتنبعث منها الروائح الكريهة ولسان حالها « يقول للفساد أنت أبي والدود أنت أختي وأمي » وهو الموت مسرع فى كل حين راكباً جواداً أشهب اللون، وبيده منجل يحصد به السنبل الضعيف اليابس ، كما يقطع زهر الربيع الاخضر الزاهر . لم يرحم ابراهيم لقداسته وعظم ايمانه ، ولا يوسف لعفته ، ولا سليمان لحكمته ، ولا شمشون لقوته، ولاداود لبره ، ولا راحيل لجمالها ، ولا استير لغيرتها ، بل الجميع عنده سواسية ، وهو قريب من كل أحد . فلا تظن أن ترفهك وتلذذك وعنايتك بصحتك يجعلك فى مأمن من هجومه عليك ، فما كان أبشالوم ليظن أن جمال شعره يكون سبباً لموته . وما كان هامان يتخيل أن يصلب على الخشبة التى أعدها لمردخاي عدوه . ولا خطر على بال جليات أن يموت بحجر وتقطع رأسه بذات سيفه بيد داود الفتى الصغير . ولم يخطر بخاطر بلشاصر أنه يموت وهو يتمتع

https://coptic-treasures.com/

باللذة على مائدته . والرجل الغنى الذى كان يعد خيراته لنفسه ويقول « يا نفس لك خيرات كثيرة لسنين عديدة » لم يدر أنه يسمع الصوت حالاً قائلاً « ياغبى فى هذه الليلة تؤخذ نفسك منك ، فهذه التي أعددتها لمن تكون » (لو ١٢ : ٢٠) فما بالك لا تفكر أيها الإنسان فى نهايتك ، وتتأكد أن جمالك سوف يذبل ، وجسدك الصحيح سوف يضحى رمة ، وقوتك سوف تحول ، وعيناك الجميلتان سوف يأكلهما الدود ، وأن أولئك الذين يحبونك ويشفقون عليك سيسرعون بك إلى القبر . وتلك الاعين التى ترمقك وتلاحظك وتسهر عليك ، سوف تشمئز من النظر اليك ، وأصحابك وأعزاؤك سينفرون منك .

إن الرب أعد ليونان يقطينة ارتفعت فوق رأسه لتكون ظلا له ، ففرح بها يونان فرحاً عظيماً ، ثم سخر الله دودة عندالفجر فضربت اليقطينة فيبست ، وضربت الشمس رأس يونان . فهذه اليقطينة كانت بنت ليلة ، إذ في ليلة تكونت ، وفى ليلة هلكت وبادت ، فهى رمز إلى فناء آمال الانسان ، وهناك تحت شجرة الحياة توجد دودة الموت التى تقضى على حياة الإنسان

https://coptic-treasures.com/

يولد الطفل في دار الغموم ويستهل الحياة باكياً ناعياً دخوله عالم الشقاء ، ويعيش صبياً ففتى فشاباً فكهلا ، إلى أن توهن الحياة قواه ، وتقصم المصائب ظهره ، وأخيراً يخطفه باز المنية ، وتنقض على روحه نسور الموت ، فتسلبه الحياة ، فيهبط هبوط البنيان ، ويروح فى قبر النسيان . لأن تلك العناصر لا بد أن تسترد جزئياتها ،وتلك الكليات لا بد أن تسترجع مفرداتها

وطريق الموت هو الطريق الذى سلكه آباؤنا وأجدادنا من قبلنا، وسنسلكه نحن ، والذين يأتون من بعدنا . أين الملوك الذين شادوا القصور وفتحوا الممالك والأمصار ؟ إين الفلاسفة والعلماء ؟ أين العظماء وأصحاب القوة وأرباب السطوة ؟ أين القواد العظام ، والأبطال والجبابرة الذين دوخوا العباد ؟ قد دوخهم الموت . أين الممالك العظيمة والأمم الماضية ؟ قد غرقت جميعها في بحر الموت ، وبادت ولم يبق إلا ذكرها . فتمثل الموت دائماً أمام عينيك وتأمل فيه ، فان التأمل فى الموت حكمة عظيمة . وكلما فكرت فيه

https://coptic-treasures.com/

رغبت عن خداع العالم وغروره ، وزهدت في الدنيا ومشتهياتها ، ورغبت في الآخرة ونعيمها .

كن دائماً حذراً وحكيماً ، فان الحياة زائلة ، وكن كبحار ماهر كي يجعل سفينته تسير حسناً يجلس في مؤخرها عند الدفة ، ويديرها كيف شاء . فانظر أنت أيضاً الى آخرة حياتك ونهايتك ، لتكون سائر أحوالك مستقيمة ، ولا تغرقك زوابع العالم ، وان نسيت ذلك وتغافلت عنه ، فلا تنس أنه سيأتى عليك وقت فيه تقف أمام الموت جزعاً ، رضيت أو أبيت ، حينئذ تعرف — ولا فائدة في المعرفة « ان حياتك ما هي الا بخار يظهر قليلاً ثم يضمحل » (يع ٤ : ١٤)

https://coptic-treasures.com/

الفصل الثامن والتسعون

ان الموت هو خاتمة الاتعاب وبدء الراحة الأبدية

والفرق بين موت الشقى وموت الأثيم

قال الرسول « لى الحياة هى المسيح والموت هو ربح ، لى اشتهاء أن انطلق وأكون مع المسيح ، ذاك أفضل جداً » (فى ١ : ٢١ و ٢٣) وقال سمعان الشيخ « الآن تطلق عبدك ياسيد حسب قولك بسلام ، لان عينىّ قد أبصرتا خلاصك » (لو ٢ : ٢٩)

وقال المرتل « عزيز فى عينى الرب موت أتقيائه » (مز١١٦:١٥) وقال يوحنا الرسول « وسمعت صوتاً من السماء يقول لى اكتب ، طوبى للأموات الذين يموتون فى الرب منذ الآن ، نعم يقول الروح، لكي يستريحوا من أتعابهم وأعمالهم تتبعهم » (رؤ ١٤ : ١٣) وقال بولس الرسول «فنثق ونسر بالأولى أن نتغرب عن الجسدونستوطن عند الرب » (٢ كو ٥ : ٨)

https://coptic-treasures.com/

إن الموت كان فى الأصل عقاباً على الخطية ، ولـكن مخلصنا حوله وجعله واسطة ومعبراً ومجازاً للحياة الأبدية . فهو رقاد لذيذ تعقبه راحة لا نهاية لها . وبدء حياة جديدة ، وخاتمة أتعاب تنتهي ، يتلوها مجد أبدي ، وميلاد جديد سرمدى ، وهو وإن كان مخيفاً ومفزعاً ، إلا أن فى يده مفتاحاً ذهبياً للصديقين ، به يفتحون باب السماء ويدخلون إلى الراحة الأبدية . ما أسعد الراحة بعد التعب ، وما ألذ وأشهى أخذ الأجر والمكافأة بعد العمل والنصب ، ونيل الإكليل بعد الجهاد والكفاح . إن السفينة ما دامت فى البحر معرضة للخطر ، ولا يزال المسافر خائفاً حتى يصل إلى الميناء ، فما دمنا فى العالم فنحن عرضة لسهام التجارب • وما أكثر الزوابع التى تهب علينا ، والأنواء التى تهاجمنا ، لأننا نجاهد ضد الأهواء . فان قهرنا الجسد نهض الطمع ، وإن تغلبنا على الطمع ناصبنا الغضب والـكبر ، وان انتصرنا على الغضب تعرض لنا الحسـد ، وهكذا لا نزال نرى أعداء يتلو بعضهم بعضاً لمحاربتنا ، ولا يكف عنا الأذى ما دمنا فى الجسد ، ولـكن حين يبلى الجسد نبلغ إلى الميناء ، فيكف الحرب ويبطل

https://coptic-treasures.com/

الخوف ويتم الانتصار ، وحينئذ نكون فى سلام وأمان .

أنظر الى الحياة تَرها جهاداً متواصلاً ، وتعباً وألماً وضيقاً وحزناً وبؤساً وشقاء وبكاء ، وزفرات وأنات ، ونواحاً ونحيباً ، وهذه كلها لاتنتهى حتى ينتهى الجسد . ان الله قد سمح باذلال بنى اسرائيل وتركهم زمناً تحت آلام التجارب فى مصر ، كى تزداد كراهتهم لها ، حتى اذا مادعاهم للخروج منها يهرعون لمبارحتها فرحين مسرورين ، ليدخلوا الى أرض كنعان . كذلك الحياة لم تملأ بالأتعاب والأوصاب والأسقام والاضطرابات والهموم والغموم ، الا لنعلم أنها ليست مقر الراحة ، بل ان لنا راحة يجب أن ننتظرها فرحين مستبشرين ، قائلين مع النبى « قوموا واذهبوا لأن هذه ليست هى الراحة » (مى ٢ : ١٠)

لما خرج بنو اسرائيل من أرض الضيق والعبودية انطلقت ألسنتهم بالترنم والتهليل راقصين ، وفى أيديهم الصنوج والدفوف ، ثم جازوا البحر الاحمر وسلكوا البرية ودخلوا أرض كنعان . فمن لايسر حين يرى ذاته دخل الميناء بسلام ، وقد نجا من مخاطر كثيرة وأنواء شديدة وعواصف هائجة . كيف لا يطفر فرحاً ويفيض

https://coptic-treasures.com/

سروراً ذلك التقي المقترب نحو أبواب المنية ، وهو يرى ذاته مقترباً نحو الفوز، واصلاً الى ميناء السعادة الحقيقية والحياة الأبدية . خالصاً من أخطار الهلاك، وناجياً من سيول الإثم ، حين ينال الخلاص الأبدي الذي كان يرجوه ، حين يترك ليل هاته الحياة ، ويدخل نهار الأبدية . ان من يسكن بيتاً متهدماً ومتداعياً الى السقوط لايأمن على حياته الا بالخروج منه ، فكيف بنا ونحن سكان بيوت من طين معرضين للأخطار في كل حين .

لو وعد ملك فقيراً بائساً بأنه بعد زمن يسكنه قصره المشيد ، المزين بأفخر الأثاث والرياش . ألا يقضي ذلك المسكين أيامه منتظراً قرب هذا الأجل لاتمام ذلك الوعد ، ليترك كوخه الحقير ويقطن القصر البهيج . لقد أعد الله لك أيها الحبيب مكاناً في السماء ، ومجداً في العلاء ، كل أمجاد العالم بالنسبة اليه لاتساوى شيئاً، فيجب عليك أن تحن انعطافاً وتئن شوقاً وتنتظر ساعة انتهائك من هذه الحياة للوصول الى دار المجد التي تتمتع فيها بما لا تدركه العقول . ومتى اقبلت الساعة يخفق قلبك ويصبُ عقلك وتميل نفسك الى تلك اللحظة

https://coptic-treasures.com/

التى تترك فيها عالماً حقيراً فانياً لتدخل عالماً سعيداً أبدياً. فما أسعدها ساعة وما أبهجها لحظة ، فيها نستعد لملاقاة الحبيب . ما أحب هذه الساعة لدى محبى الرب ، انهم يلاقونها بهتاف وفرح ، تتهلل له النفوس ، حين ينتظرون مجيء مخلصهم بفرح وسرور ، لا باضطراب ولا انزعاج ولا قلق ، بل تكون نفوسهم مملوءة بتعزيات سماوية ، فرحة بتهليلات الملائكة والأرواح البررة ، فكيف يعتريهم الجزع وهم ذاهبون لرؤية مشتهاهم ، ولنيل اكليل لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل . وما أهول تلك الساعة وأرعبها ، وما أرهبها وأكثر فزعها لأولئك الأئمة ، حين يلجون جوف الأبدية فى ظلام دامس وليل بهيم ، وينزلون القبر بدون رجاء ، ويسيرون نحو العذاب ، ويغوصون فى بحر الأوجاع والاضطراب ، فالامواج تلاطمهم ، واللجج تقذف بهم فى هاوية لا يخمد لهيبها ولا يبرد سعيرها ، ولا يبرحون هناك أشقياء الى الأبد . فان من ينسى الله فى ابان حياته ينساه الله بعدل فى ساعة مماته . وما أعظم الفرق بين انتقال الاخيار وموت الاشرار ، فان موت الاشرار شنيع جداً « مثل الغنم للهاوية يساقون ، الموت

https://coptic-treasures.com/

يرعاهم ، ويسودهم المستقيمون ، غداة وصورتهم تبلي، الهاوية مسكن لهم » (مز ٤٩ : ١٤)

أتريد ألاّ تخاف الموت ؟ اذاً فعش باراً تقياً فتموت صالحاً سعيداً . كن كيوسف العفيف الذى خرج من سجنه بفرح ليرتقى إلى كرسى المجد والرفعة ، ولا تكن كخباز فرعون الذى خرج من الحبس وسيق إلى المشنقة . ولا تدع نفسك تتعلق بأمور الحياة ، فلا ترهب الموت حين وروده . وليكن ضميرك سليماً فلا تخشى سطوة الموت . حين يؤخذ الخروف إلى الذبح لا يصيح ولا يفزع ، ولكن الخنزير يملأ الفضاء صراخاً وصياحاً . إن المجرم المقضى عليه بالاعدام يرتجف هولاً وفزعاً كلما فتح عليه باب السجن،لأنه يعلم أنه ذاهب إلى الموت ، أما الذي برىء من جريمته فانه يبتهج كلما فتح الباب ، لينطلق من سجنه ويذهب لشأنه .

إن المسيحي الحقيقى الذى يسلم قلبه للرب. ويضع عنده كل مشيئته، يبتهج جداً عند ورود الموت ، لأنه يعلم أنه منطلق إلى الآب لينال مجداً وحياة أبدية . وأما المتعلق بالحياة ولذاتها ، فيرتعب لمجرد ذكر

https://coptic-treasures.com/

الموت ، لأن ضميره يوبخه . ذاك يبتدىء من تلك الساعة بالشعور باللذة ويتجلى له النور الباهر . وأما هذا فيســـتقبل مرارة العذاب وألم الضمير

فيارب ارتض أن تحفظني بلا عيب في غربتي ، ولا تدعني أتعلق بما في الحياة من الأوهام ، بل افصلني عن نجاساتها ، حتى تستدعيني من بؤس منفاي كي أرتل دائماً ، متى ينقضي زمان غربتي ؟ «عطشت نفسي إلى الله إلى الإله الحي . متى أجيء وأتراءى قدام الله » (مز ٤٢ : ٢) متى تدنو الساعة لأقول هاأنا ذاهب إلى الآب . فليجر كما تشاء ، ولست آسفاً على رؤية الشمس والقمر ، والغابات والبساتين ، والحقول والزهور ، والجبال والوهاد ، فلم يعد يبهجني جمال الطبيعة ، ولا كل ما فيها ، حين أسرع لأرى جمــال وحسن مبدعها ، وإن كانت هذه القيود والأغلال الجسدية تحجزني ، وتمنع وصولي ، فاني أرغب أن انحل عن الجسد « لأن لي إشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح » (في ١ : ٢٣)

https://coptic-treasures.com/

الفصل التاسع والتسعون

الأبدية المخيفة العديمة القرار

لا شيء يرعب ويخيف ، ويرهب ويفزع ، أكثر من ذكر الأبدية . فان كان الموت مخيفاً ومفزعاً للأشرار ، فالابدية أكثر رهبة وفزعاً . وإن كان ذكر الموت يجعل الإنسان حكيماً ، فتصور الابدية يجعله أحكم ، ويظهر له دناءة الامور الزمنية . « اسمعوا أيها البعيدون ما صنعت ، واعرفوا أيها القريبون بطشي ، ارتعب في صهيون الخطاة ، أخذت الرعدة المنافقين ، من منا يسكن في نار آكلة ؟ من منا يسكن في وقائد أبدية » (اش ٣٣ : ١٣ و ١٤) «فان الاشرار يعاقبون بهلاك أبدى من وجه الرب ومن مجد قوته » (٢ تس ١ : ٩) « ويشربون من خمر غضب الله المصبوب صرفاً في كأس غضبه ، ويعذبون بنار وكبريت أمام الملائكة القديسين وأمام الخروف ، ويصعد دخان عذابهم إلى أبد الآبدين ولا تكون لهم راحة نهاراً وليلاً » (رؤ ١٤ : ١٠ و ١١)

https://coptic-treasures.com/

أبدية هائلة ، عديمة القرار ، لا طول لها ولا عرض ولا عمق ، غير متناهية فلا حد لها . عد ما استطعت العد من السنين ، واحسب ما أمكنك حسابه من الأجيال والدهور ، فلا يمكنك أن تصل إلى مقدار زمن الأبدية. الابدية زمن وجودى كائن دائماً لا أول له ولا آخر ، هى ليل طويل للاشرار لا نهار بعده ، أو نهار دائم للابرار لا يعقبه ليل . إن ليلة يصرفها المريض فى الحمى تظهر له طويلة يشعر فيها بكل مرائر الحياة ، بل يتخيل أن الشمس وقفت دورتها ، والأفلاك وقفت عن مجراها ، وشرائع الطبيعة قد إنقلب نظامها . فماذا يعمل أولئك الذين تمر عليهم تلك الأدوار فى الأبدية ، ويكونون هناك دهر الدهور ، وأبد الآباد . فما أرعب الأبدية وما أخوفها، وما أكبرها واطولها

مثل فى ذهنك أكبر عدد يمكن تصوره ، وضع أمامك أرقاماً طويلة لا تعد ولا تحصر ، واضربها فى مثلها، فلا يمكن أن تكون نتيجة عملك مقدار زمن الابدية ، بل يكون كنقطة لا قيمة لها بالنسبة إلى الأبدية ، العادمة القرار ، لانها أبدية دائمة ما دام الله موجوداً .

https://coptic-treasures.com/

فيا أيتها التصورات المخيفة تصورات الدينونة المروعة ، وياأيتها الابدية الهائلة تعالى وارتسمى فى ذهنى ، ولا تبرحى من مخيلتى وعقلي ، وهدديني بأهوالك المزعجة المفزعة ، حين يريد العالم أن يغويني لاتدنس بدنس الشرور ، ويستميلني إليه ، وتجذبني الخطية إلى آلامها .الا فارتسمي أيتها الابدية فى عقلي ، ولا تنفكي من أفكارى ، ولا تزولى من ذاكرتى ، وصورى فى عقلي العدل الإلهى كى أرهبه وأخشاه مدى حياتى

هناك فى العذاب لا يوجد الا بابٌ واحد يدخل فيه الاثمة ، وليس هناك آخر للخروج منه . لان العذاب أبدي ، والسجن دائم ، والسلاسل متينة محكمة ، وكل شيء هناك الى دهر الدهور وأبد الآبدين. ليس هناك مفتاح للنجاة ، وهناك مسلك للهبوط ، ولا يوجد غيره للصعود . هناك ينقطع الرجاء ، ويسد باب الامل ، وينتهى زمان الرحمة ، ويأتى أوان العدل. هناك لاتفيد التنهدات ولا الأنين ، ولا تنفع الحسرات والعويل

فاذكر أيها الحبيب هذه الكلمات : «أبدية» « إلى الابد»

https://coptic-treasures.com/

وتصور وردد فى ذهنك : دائماً : دائماً ، سرمداً : سرمداً . فان هذه الكلمات كافية لأن تريك مقدار زمن الأبدية ورعبها الشديد . وإن سألت متى تنتهي تلك الأوجاع وتسكت أصوات التنهد ، ويخمد لهيب جمرات النار ، وينتهى هذا العذاب ؟ فالجواب لن تنتهى أبداً ، ولن تخمد النار ، ولن تبرح هكذا كما كانت إلى أبد الآباد ودهر الدهور

الفصل المائة

ملكوت السموات والاشتياق إلى نهار الأبدية

الفردوس هو المكان الشهى الذى أعده الله لمختاريه . فيه مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولم يخطر على بال انسان . فمن ذا الذى يقدر أن يصفه ؟ لا يمكن للغة البشرية العاجزة أن تعبر عن أفراح وأمجاد سامية ، لم ترد قط على ذهن انسان ، ولا يمكن البتة أن تخطر على بال . هو المكان المحبوب ، وهو المحل الأسمى والأمجد والأعظم

https://coptic-treasures.com/

والأبهى والأثمن والأشهى والأعذب والأشرف ، إذ هو غاية آمال الإنسان ومناط رجائه ، ومحط فكره . صف ما استطعت من الوصف ، وعبر ما اقتدرت على التعبير ، واستظهر كل كلمات العذوبة والمجد والسرور ،فلا يمكنك قط أن تصف ذرة من ذلك المجد الباهر، ومهما قلت ووصفت فكأنك لم تقل شيئاً ، فلا شيء على الأرض يمكن أن تستعيره للتعبير عما في السماء . فليس هناك مصيبة أو بلية ، ولا مرض ولا تعب ولا ملل ولا ضجر ، ليس هناك ألم ولا انفعال ولا هرم ولا شيخوخة ولا فناء ولا موت . وإن التمتع بتلك الامجاد لحظة واحدة ، لهو أسمى وأعلى من جميع كرامات العالم وأمجاده بأسرها . هناك يغوص القلب في بحر اللذات الروحية وينجذب اليها بقوة لا نهاية لها .

داود النبي لم يقدر أن يصف مجد السماء ولم يقل سوى «ما أحلى مساكنك يارب الجنود ، تشتاق بل تتوق نفسي إلى ديار الرب ، قلبي ولحمي يهتفان بالإله الحي» (مز ٨٤ : ١) وبولس الرسول الذي صعد إلى السماء الثالثة ، لم يقدر أن يقول سوى أنه « سمع كلمات

https://coptic-treasures.com/

لا ينطق بها » (٢ كو ١٢ : ٤) « وما لم تر عين ، ولم تسمع به أذن، ولم يخطر على بال انسان ما أعده الله للذين يحبونه » (١ كو ٢: ٩)

يكفيك أيها الانسان أن تعرف أنه لا شيء هناك تكرهه ، بل هناك كل ما تحبه وتشتهيه وترغبه وتتوق اليه. هناك الامجاد العالية، والأفراح التي لا تدرك ولا توصف، والتي سوف ننالها في الوطن السماوي السعيد، حين ندخل طريق راحتنا الأبدية . لا فقر هناك ، ولا مرض ولا شدائد ، بل هناك نهار أبدي وصحو دائم ، وربيع متصل ، ونعيم خالد . لا حسد هناك ولا شر ، بل هناك حب نقي مستمر لا تغيير فيه ، وترنيمات شجية ، هناك لا توجد آلام ولا أسقام ولا خوف ولا انزعاج ولا شقاء ولا تعب ولا عناء ولا نصب ، وليس هناك مقاومة ولا شكوى ولا معارضة ولا ظلم ولا حزن ولا اكتئاب ، لا يوجد هناك موت ولا دموع ، بل هناك نصرة أبدية وسعادة تامة، هناك الراحة والمجد وكل الحياة الحقيقية ، هناك خيرات لا نخشى فقدانها ، هناك المكافأة والجزاء بالمجد ، هناك حلل البر ، هناك الارتواء من العطش والشبع بالسرور ، هنـــاك النظر إلى وجه

https://coptic-treasures.com/

المخلص ، وفيه كل العزاء وكل السلوان والبهاء كله والمجد الذي لا يفنى ، والسلام الدائم ، حيث التمتع بالله والاتحاد به إلى الأبد ، هناك تكمل الفضيلة وتتلألأ ، ويشرق البر ، ويفرج عن الأسرى ، ويستغني الفقير ، « هناك يكف المنافقون عن الشغب ، وهناك يستريح المتعبون ، الأسرى يطمئنون جميعاً ، لا يسمعون صوت المسخر ، الصغير كما الكبير ، والعبد حر من سيده » (اي ٣ : ١٧ — ١٩) هناك « يشرق الأبرار كالنور ، والفاهمون يضيئون كضياء الجلد ، والذين ردوا كثيرين الى البر كالكواكب إلى أبد الدهور » (دا ١٢ : ٣) هناك تستحيل ضيقتنا إلى راحة ، ويتبدل نوحنا بفرح ، ونخلع ثوب الحزن ، ونكتسي لباس البهجة والبهاء ، هناك « نقوم فى عدم فساد ونلبس صورة سماوية » (١ كو ١٥) هناك « نعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله » (رو ٨ : ٢١) هناك « سيغير الله شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده » (فى ٣ : ٢١) هناك « نظهر مع المخلص فى المجد » (كو ٣ : ٤) « ونراه كما هو » (١ يو ٣ : ٢) هناك « ننظر مجد الرب بوجه

https://coptic-treasures.com/

مكشوف ، ونتغير إلى تلك الصورة من مجد إلى مجد » (١ كو ٣ : ١٨) هناك « ننال شبع سرور » (مز ١٦ : ١١) هناك « نكون كل حين مع الرب » (١ تس ٤ : ١٧)

فما أجمله منظراً يبهر العيون ويفتن العقول ، متى يأتى ذلك اليوم. متى يأتى النور الدائم ، والضياء المشرق غير المتناهى ، متى ينتهى الجهاد ، ونفوز بالنصر إلى الأبد ، ويدوم الخلاص سرمدياً . حينئذ تتوطد قواعد السلام والأمان، ويزول كل غم واكتئاب ، ويدوم الفرح والسلوان والصحبة اللذيذة الفاتنة للعقول . طوبى لكم يا من جاهدتم الجهاد الحسن وأكملتم الإيمان ، فقد لبستم لباس الخلاص ، ووضع لكم اكليل البر الذي لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل . طوبى لكم فانكم الآن تفرحون وتتعزون . ما أكثر غبطتكم انكم الآن تستريحون وتطمئنون ، الآن تتعزون وتتنعمون وتبتهجون . يانفسى أنظرى مجد القديسين النقى . تطلعي بشـــوق الى الرجاء الموعودين له ، تيقظى وتأملى . آه لو كنت تعرفين ما أعد لك في السماء من المجد لازدريت بكل ما في العالم ، واحتسبته نفاية وشيئاً مزدرى به .

https://coptic-treasures.com/

يا له من نهار دائم الضياء والاشراق لا يعتريه ظلام ولا يعقبه ليل . فمتى يارب يشرق ضياء هذا اليوم . متى يأتي ملكوتك . إني أشتاق يارب أن أنحل من الجسد وأكون معك الى الابد . فمتى تستدعيني من منفاى ، وتبرد أشواق قلبي وتطفيء ظمأ نفسي التائقة اليك . متى أنجو وأتخلص من آلام هاته الحياة . متى تنتهي شرور هذا العالم . متى أحصل على الحرية الكاملة ، وأتمتع بالسلام الدائم . متى اتحد بك اتحاداً كاملاً ، وأعود لا أرى ولا اذكر ولا اهتم ولا أفرح بشيء سواك ، أنت وحدك يارب . « كما يشتاق الايل إلى ينابيع المياه ،هكذا تشتاق نفسي الى الله،الى الإله الحي.متى أجيء وأتراءى قدام الله » (مز ٤٢ : ١و٢) « ارسل نورك وحقك هما يهديانني ويأتيان بي الى جبل قدسك ، والى مساكنك فآتي الى مذبح الله بهجة فرحي ، واحمدك بالعود ياالله إلهي. لماذا أنت منحنية يا نفسي،ولماذا تئنين فيَّ؟ترجى الله لأني بعد احمده ، خلاص وجهي والهي » (مز ٤٣ : ٣ — ٥) « ما أحلى مساكنك يارب الجنود، تشتاق بل تتوق نفسي الى ديار الرب ،قلبي ولحمي يهتفان بالإله الحي»

https://coptic-treasures.com/

(مز ٨٤ : ١و٢) الى متى يارب أسكن فى هذه البرية ، حتى متى أعثى فى هذا الوادي المقفر « يا الله إلهي أنت اليك أبكر ، عطشت اليك نفسى ، يشتاق اليك جسدى في أرض ناشفة ويابسة بلا ماء» (مز ٦٣ : ١)

من يستطيع يارب أن يصف مجد ملكوتك . كلّ الكلام يقصر عن وصفه . والعين لا تشبع من النظر ، والأذن لا تمل من السمع ، فأومن ايماناً أكيداً بما وعدت به . عاملني يارب بما تشاء ، وأدبنى كما تريد وتحب ، لأتمم مرضاتك ، افعل بى ما تشاء ، ولكن لاتفقدنى محبتك ومجدملكوتك، لأتمتع برؤياك ونجواك، ليس باستحقاقى ولكن باستحقاقك . المجد مجدك والملكوت ملكوتك ، السماء سماؤك وكل شيء لك . أما أنا فلا شيء أملكه وأستحقه ، فليكن كل شيء منك وباستحقاقك ومن كرم جودك . فليأت ملكوتك إلى نفسى ، مر نفسى أن تنتظرك وأيد روحى كي تشتد بوعدك . متى يارب تقترب نفسي اليك. إن عواطفى تئن كلهاشوقاً، وقلبي قد ذاب حباً إلى رؤياك .

يانفس اجعلى ملكوت الله ومجد القديسين إزاء عينيك ، وحين تثقل عليك يد التجارب ، تطلعي إلى الرجاء الموضوع أمامك .

https://coptic-treasures.com/

« فان كان انساننا الخارج يفنى ، فالداخل يتجدد يوماً فيوماً ، لان خفة ضيقتنا الوقتية تنشىء لنا أ كثر فا كثر ثقل مجد أبدياً » (٢ كو ٤ : ١٦ و ١٧) فلا تخافى فقد قرب يوم الإنتصار ، وحان زمان زوال التعب ، وانحلال هاته الحياة. إن يوم الرب قريب ، فتأملى فى تباشير الفرح ، وانتظرى ، واصطبرى ، وتأنى قليلاً ، فبعد قليل يأتى ولا يبطىء من تحبينه ، وساعة اتحاده بك قريبة

« ها أنا آتى سريعاً وأجرتى معي، لأجازى كل واحد كما يكون عمله . يقول الشاهد بهذا نعم أنا آتى سريعاً ، أمين تعال أيها الرب يسوع » (رؤ ٢٢ : ١٢ و ٢٠)

تعزى يانفس بهذا القول ، لأنه بعد قليل يأتى ، بعد حين ترينه، بعد برهة من الزمان تتحدين به ، ولا تنفصلين عنه إلى الأبد

فيا أيتها السعادة العلوية ، ويا أيتها الامجاد السماوية ، افتنى عقلى، واملكى فؤادى وأشرقى فى أعماق قلبي، ليتبدد منى الجبن والكسل، ويزول أنينى وتنهدى . برّد يارب لواعج أشواقي ، وسكن حركات تنهداتى وزفراتى . وعلمنى أن أنتظر تلك الساعة ، التى فيها تتخلص روحى من ضيقها ومن سجنها . كى تطمئن نفسي المتوقعة استعلان مجدك .

https://coptic-treasures.com/

وأنتِ أيتها الأماني الدينوية الباطلة دعيني ، واتركيني ، واهجري قلبي ، وأبتعدي عني . أخلي كل ما في باطني ليسوع ربي وحده ، الذي أريد أن يملك فؤادي ويتملك قلبي

نعم يارب هكذا أنت تشاء ، وهكذا أنا أتشوق ، فتعال يارب وليكن في يدك زمام نفسي . ياعذوبة لا توصف ، ويامجداً لا يحد ، ويابحراً لا ساحل له ، ويا سعادة لا تنتهي ، حل في قلبي يارب واملأني رجاء وإيماناً ، ولتحفظني نعمتك لأتمم مشيئتك ورضوانك.

ياأيتها السعادة الأبدية وياأيها الملكوت السعيد. وياأمجاداً عالية، ويانغمات لذيذة ،ويارؤيا مبهجة، علميني كيف انتظرك واستعد لاكون مستحقاً لك . متى يارب يتم لي ذلك . متى أراك وجهاً لوجه ، متى يرتفع الغطاء . فأتحد بك دائماً بلا خوف ولا وجل . تعالى أيتها الامجاد العلوية ، واشرقي في قلبي ، واجتذبيني اليك ، وامسكيني بيمينك ، وقربيني نحوك ، حتى أبلغ ما أصبو اليه ، وأرى ذاتي مطروحاً عند قدمي يسوع مخلصي في السماء ، وأدخل ملكوته ، واتمتع بنور وجهه ، وإاغوص في بحر حبه الصافي،ولا أعود أذكر شيئاً سواه إلى أبد الآبد.

https://coptic-treasures.com/

خطأ وصواب

خطأ	صواب	صفحة	سطر	خطأ	صواب	صفحة	سطر
أزق	أرق	٣	١٠	وتتحتمل	وتتحمل	١٨٢	١
يأسر	يأسو	٤	١٠	كأنوا	كأنوار	٢٢٥	١٢
يانبلاج	بانبلاج	٩	١٠	دعباواجعلها	اجعلها	٢٤٠	٣
ويضنى	ويضفى	٥٥	٩	الغيوت	العيوب	٢٧٦	١٣
فذهب	نذهب	٨٧	٦	اخواتك	اخوانك	٢٧٧	٦
عبادتة	عبادته	٩٢	٩	ويؤلف	وتؤلف	٢٨٠	١٢
يسبح	يسيج	٩٤	٤	سؤال	سؤل	٣٠٦	٣
احتصاء	احصاء	١٠٠	١١	زراعيك	ذراعيك	٣١٠	١٠
فيا	فيها	١١٩	٧	لتسطيع	لتستطيع	٣٢٥	١٤
جعلنا	جعلتنا	١٣٢	٨	اتسطتيع	اتستطيع	٣٤٢	٧
سرور	سروره	١٤٨	١٥	نجثوا	نجثو	٣٤٣	١
مخافة	مخافتة	١٤٩	٣	صورا	صور	٣٦١	٦
فنفسك	نفسك	١٥٣	٦	نعبرء	نعبره	٣٧٧	٥
ونتأثر وتولد	تتأصل وتولد	١٥٦	٥	تخلعها	نخلعها	٣٧٩	٩
بقلتها	بقتلها	١٥٦	٦	لله	لا	٣٨١	٣

https://coptic-treasures.com/

فهرست

الفصل	الموضوع	صفحة
الفصل الأول .	يسوع هو الباب والطريق والحق والحياة	١
« الثانى .	يسوع لنا كل شيء في كل شيء	٣
« الثالث .	عذوبة محبة المسيح	٧
« الرابع .	تطهير القلب واعداده لسكنى يسوع	٩
« الخامس .	يسوع يشبع النفس	١٣
« السادس .	تهيئة النفس ذاتها لسكنى العروس الالهي	١٤
« السابع .	تكريس القلب ليسوع	١٦
« الثامن .	عدم تعلق القلب بالعالم	٢٠
« التاسع .	عدم محبة العالم للوصول إلى الله	٢٥
« العاشر .	بطلان العالم وكل ما فيه	٢٦
« الحادى عشر .	التأمل فى حياة يسوع يعلم احتقار العالم	٣٠
« الثانى عشر .	الاتحاد بالله	٣٢
« الثالث عشر .	حاجتنا إلى النعمة وطاعة القلب لفعلها	٣٥
« الرابع عشر .	اغتنام الفرصة واستماع صوت الله لقبول النعمة	٣٩
« الخامس عشر .	جزاء من لا يسمع صوت الرب ورفضه	٤٢
« السادس عشر .	وجوب توجيه كل الرغبة والثقة في الله وحده	٤٦

https://coptic-treasures.com/

الفصل	الموضوع	صفحة
الفصل السابع عشر	. عدم طلب السلام من العالم	٤٩
« الثامن عشر	. طلب السلام والراحة في الله وحده	٥٣
« التاسع عشر	. فيما يجلب السلام الحقيقي والراحة الكاملة	٥٦
« العشرون	. في تسليم الذات لارادة الله	٥٩
« الحادى والعشرون	. في اتمام ارادة الله كل الفرح والسرور	٦٣
« الثاني والعشرون	. أمثلة على ارادة الله وسماحه تعالى	٦٥
« الثالث والعشرون	. في الخضوع لارادة الله فى زمن الشدة أكثر من زمن الرخاء	٧١
« الرابع والعشرون	. شقاء النفس الخالية من الله واستدعاء الله لانارتنا	٧٤
« الخامس والعشرون	: تجديد القلب وانطباع صورة الله فيه	٧٨
« السادس والعشرون	. بر يسوع يجب أن نلبسه	٨١
« السابع والعشرون	. حضور الله فى قلوب قديسيه	٨٥
« الثامن والعشرون	. نصائح لطالب الحكمة	٨٩
« التاسع والعشرون	. مخافة الرب	٩٢
« الثلاثون	. ابتغاء الفضيلة والرغبة فيها	٩٥
« الحادى والثلاثون	. التقدم والنمو فى الفضيلة والثبات عليها	٩٧

https://coptic-treasures.com/

الفصل	الموضوع	صفحة
الفصل الثانى والثلاثون .	نصائح لتقويم الأعمال فى الفضيلة	١٠٢
« الثالث والثلاثون .	النظر الى سيرة القديسين والاقتداء بهم	١٠٥
« الرابع والثلاثون .	تفتيش الذات وفحص الضمير وحراسته	١٠٨
« الخامس والثلاثون .	العمل وعدم الكسل والبطالة	١١٢
« السادس والثلاثون .	اماتة الذات وكبح جماح الشهوات	١١٤
« السابع والثلاثون •	قهر الذات يرفع النفس الى الروحيات	١٢٠
« الثامن والثلاثون .	الجسد هو عدونا الألد	١٢٣
« التاسع والثلاثون •	عدم الاستسلام للاهواء	١٢٦
« الأربعون .	تشخيص نجاسة الخطية وتأثيرها على الطبيعة البشرية	١٢٨
« الحادى والاربعون •	مقاومة اهواء الخطية واشهار الحرب عليها	١٣٥
« الثاني والاربعون .	الحياة حرب وجهاد دائم	١٤٠
« الثالث والاربعون •	الاحتراس من تجارب العدو	١٤٤
« الرابع والاربعون •	فى تجارب الحياة وفوائدها	١٤٦
« الخامس والاربعون •	احتمال المشقات على مثال المسيح ولاجله	١٥١
« السادس والاربعون •	الاحتراس من الصغائر وقتلها قبل أن تستعصى	١٥٥

https://coptic-treasures.com/

الفصل	الموضوع	صفحة
الفصل السابع والاربعون	في الثقة بالله وقت التجربة	١٥٨
«	الثامن والاربعون • الاطمئنان بالرب والاحتماء فيه	١٦٤
«	التاسع والاربعون • استدعاء الرب للنجاة من التجارب	١٦٩
«	الخمسون • الاستهانة بضيقات الحياة لاجل الملكوت	١٧١
«	الحادي والخمسون • الاحتشام والادب وحسن السيرة	١٧٦
«	الثاني والخمسون • التواضع	١٨٠
«	الثالث والخمسون • نصائح للاتضاع	١٨٦
«	الرابع والخمسون • شر الكبر	١٩١
«	الخامس والخمسون • المجد الباطل	١٩٥
«	السادس والخمسون • عدم مدح الانسان ذاته	١٩٩
«	السابع والخمسون • عدم التفاخر بشرف الجنس	٢٠١
«	الثامن والخمسون • عدم التباهي بالقوة والشدة	٢٠٥
«	التاسع والخمسون • بطلان جمال الجسد	٢٠٨
«	الستون • عدم التأنق الزائد بالملابس الفاخرة	٢١١
«	الحادي والستون • عدم توخي مرضاة الناس	٢١٣
«	الثاني والستون • عدم الاكتراث لاقوال الغير وأنه لا ينبغي ترك عمل الخير لاجل كلام الناس	٢١٦

https://coptic-treasures.com/

الفصل	الموضوع	صفحة
الفصل الثالث والستون	• عدم التهاون بصيتنا	٢٢٤
«	الرابع والستون في وجوب اقتران العلم بالعمل	٢٢٧
«	الخامس والستون • ان الرؤساء هم قدوة لغيرهم	٢٣٢
«	السادس والستون • المحبة	٢٣٥
«	السابع والستون • تعليم الكتاب عن المحبة	٢٤١
«	الثامن والستون • نصائح لحفظ المحبة	٢٤٤
«	التاسع والستون • الوداعة	٢٤٦
«	السبعون • الحلم والرفق والدعة على مثال المخلص	٢٤٩
«	الحادي والسبعون • الوداعة والمسامحة وعدم الانتقام من المسيئين	٢٥٣
«	الثاني والسبعون • كيف نتخذ الاصدقاء ومعاشرة الاتقياء	٢٦٠
«	الثالث والسبعون • اجتناب دينونة الآخرين	٢٧١
«	الرابع والسبعون • الاغتياب والنميمة	٢٧٨
«	الخامس والسبعون • طول الروح وعدم الغضب	٢٨١
«	السادس والسبعون • الصمت والاحتراس من فضول الكلام	٢٨٥
«	السابع والسبعون • الصبر	٢٩٢
«	الثامن والسبعون • التحلي بالحق والصدق وعدم الكذب	٢٩٧
«	التاسع والسبعون • تجنب المزاح	٣٠١
«	الثمانون • البشاشة والفرح بالرب وعدم الحزن	٣٠٥
«	الحادي والثمانون • رقة القلب وقساوته	٣٠٩

https://coptic-treasures.com/

الفصل	الموضوع	صفحه
الفصل الثانى والثمانون	الغيرة على خلاص القريب	٣١٢
« الثالث والثمانون	الطمع والبخل ومحبة المال وتعلم السخاء والعطاء	٣١٧
« الرابع والثمانون	شر الحسد	٣٢٢
« الخامس والثمانون	العفة والطهارة	٣٢٥
« السادس والثمانون	بساطة القلب وسلامة النية واقتران البساطة بالحكمة	٣٢٩
« السابع والثمانون	الصلاة والمداومة عليها	٣٣٣
« الثامن والثمانون	كيف نتقدم بخشوع فى الصلاة	٣٤١
« التاسع والثمانون	التأمل قبل الصلاة	٣٤٥
« التسعون	الاختلاء الروحى	٣٤٧
« الحادى والتسعون	تلاوة الكتاب المقدس والكتب الروحية	٣٥٠
« الثانى والتسعون	نصائح وقواعد لدرس الكتاب	٣٥٥
« الثالث والتسعون	عدم فحص ما يتجاوز عقولنا	٣٦٢
« الرابع والتسعون	التوبة	٣٦٦
« الخامس والتسعون	تجنب الاعتذارات والتعلل عن الخطية	٣٧٤
« السادس والتسعون	شقاء غربتنا على الارض وسفرنا نحو الابدية	٣٧٧
« السابع والتسعون	التأمل فى الموت	٣٨٥
« الثامن والتسعون	الموت خاتمة الاتعاب وبدء الراحة الابدية	٣٩١
« التاسع والتسعون	الابدية المخيفة العديمة القرار	٣٩٨
« المائة	ملكوت السموات والأشتياق الى نهار الأبدية	٤٠١

https://coptic-treasures.com/